

اللغة العربية



مجلة نصف سنوية محكمة تعني بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية
تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر

كلمة

العدد الرابع والثلاثون - السداسي الأول 2016

المجلس الأعلى للغة العربية

اللغة العربية

34

تقرأون في هذا العدد:

- « رآها حبة وأراها قبة » (4)
أ.د. مختار نويوات. (ج. باجي مختار-عناية-).
- العربية في ظل الإسلام
أ.د. عبد الجليل مرتاض (ج. تلمسان).
- الاتجاه الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث
د. عبد الله لطرش (ج. تلمسان).
- آليات الإقناع في الخطاب البياني
د. غانم حنجار (ج. ابن خلدون-تيارت-).
- السياحة الحلال بين النظرية والتطبيق تجربة ناجحة لدولة
غير إسلامية «- بريطانيا-»
أ. إلياس سليمان وأ. سعاد دولي (ج. بشار).
- الأمثال العربية في معجم لسان العرب «إحصاء ودراسة»
د. أحمد بن عجمية (ج. حسيبة بن بوعلي-الشلف-).

اللغة العربية



مجلة نصف سنوية محكمة تعني بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية
تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر

العدد الرابع

العدد الرابع والثلاثون - السداسي الأول 2016

المجلس الأعلى للغة العربية

العدد الرابع والثلاثون

34

تقرأون في هذا العدد:

- « رأها حبة وأراها قبة » (4)
أ.د. مختار نويوات. (ج. باجي مختار-عناية).
- العربية في ظل الإسلام
أ.د. عبد الجليل مرتاض (ج. تلمسان).
- الاتجاه الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث
د. عبد الله لطرش (ج. تلمسان).
- آليات الإقناع في التخاطب البياني
د. غانم حنجار (ج. ابن خلدون-تيارت).
- السياحة الحلال بين النظرية والتطبيق تجربة ناجحة لدولة
غير إسلامية «- بريطانيا»
أ. إلياس سليمان وأ. سعاد دولي (ج. بشار).
- الأمثال العربية في معجم لسان العرب «إحصاء ودراسة»
د. أحمد بن عجمية (ج. حسيبة بن بوعلي-الشلف).

اللغة العربية

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية

عربية

العدد الرابع والثلاثون



مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية

المدير المسؤول

أ. جيلالي علي طالب
أمين عام المجلس

رئيس التحرير

أ.د. مختار نويوات (ج. باجي مختار- عناية)

هيئة التحرير



- د. سعيد شيبان
- أ. د. عثمان بدري
- أ. د. عبد الجليل مرتاض
- أ. د. صالح بلعيد
- أ. د. طاهر ميله
- أ. د. عبد المجيد حنون
- د. بوزيد بومدين
- أ. د. عبد الرزاق عبيد
- أ. د. محمد تحريشي
- أ. محمد سي فضيل
- د. محمد بن قاسم ناصر بوحجام
- أ. حسن بهلول

تصنيف وتوضيب: أ. نورة مراح

مجلة اللغة العربية

دورية تعنى بقضايا اللغة العربية وترقيتها
يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية.
المجلة منبر حر، وليس كل ما ينشر فيها معبرا بالضرورة عن موقف المجلس

قواعد النشر

- ✓ التقيد بالمعايير العلمية والأكاديمية المتعارف عليها: كالتوثيق..
- ✓ أن تكون الأعمال أصيلة لم يسبق نشرها من قبل.
- ✓ ترسل النصوص مرفقة بقرص مسجل باسم رئيس المجلس أو رئيس التحرير على العنوان المذكور أدناه.
- ✓ أن توضع الهوامش والمراجع في آخر المقالة.
- ✓ المقالات التي ترد إلى المجلة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.

التحرير والمراسلة:

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرنكلين روزفلت الجزائر

ص.ب . 575 ديدوش مراد – الجزائر

الهاتف: 21 23 07 24/ 25 (00213)

17 / 16 21 23 07 (00213)

الفاكس: 21 23 07 07 (00213)

الترقيم الدولي الموحد للمجلات (ر.د.م.م): 3575.1112

الإيداع القانوني: 02/ 20 7/

الفهرس

- 7 كلمة رئيس التحرير « رآها حبة وأراها قبة » (4)
أ.د. مختار نويوات. (ج. باجي مختار-عناية).
- 13 آليات الإقناع في التخاطب البياني
د. غانم حنجار (ج. ابن خلدون-تيارت).
- 33 واقع استخدام اللغة العربية في الإدارة الجزائرية
أ.د. عبد الناصر بوعلي (ج. تلمسان).
- 47 الأمثال العربية في معجم لسان العرب «إحصاء ودراسة»
د. أحمد بن عجمية (ج. حسيبة بن بوعلي-الشلف).
- 83 العربية في ظل الإسلام
أ.د. عبد الجليل مرتاض (ج. تلمسان).
- 103 العلة في النحو العربي «المفهوم والمصطلح» - نماذج
من كتاب سيبويه-
أ. رقيق كمال (ج. بشار).
- 141 بؤادر الءرس الصؤتي عئء العرب
د. واءى ءاءة عبء الءكيم (ج. تلمسان).
- 159 الاءاءه الإصلاءى فى الشعر الءزائرى الءءىء
د. عبء الله لطرش (ج. تلمسان).

- 189 الدلالة الصوتية في ديوان (مآسي وابن الآسي) لأبي
الحسن علي بن صالح الفرداوي
د. بن نافلة يوسف (ج. حسيبة بن بوعلي - الشلف) .
- 215 السياحة الحلال بين النظرية والتطبيق « تجربة
ناجحة لدولة غير إسلامية » - بريطانيا -
أ. إلياس سليمان وأ. سعاد دولي (ج. بشار) .
- 233 اضطرابات اللغة والكلام لدى المصابين بمتلازمة
داون - الظاهرة والأسباب -
أ. نزهة خلفاوي (تلمسان) .

كلمة رئيس التحرير

يرأها حبة وأراها قبة - 4 -

أ.د/ مختار نويوات (ج.عناية)



... ويقولون ثَوْرَاتُ الشعوب وجَلْسَاتُ البرلمان غير آبهين بقواعد الصرف العربيّ، واللّغَةُ لا تجيز إلاّ الثَوْرَات لسكون واوها- وهي التي يسمّونها عين الكلمة- والجلّسات لصحّة لامها وهي عين الكلمة أيضا. جمعُ جَوَلَةٍ وصَوْلَةٍ ورؤُصة وجَوُزة جَوَلَاتٌ وصَوْلَاتٌ ورؤُصات وجَوُزات. وجمع عُبْرَةٍ وسَكْرَةٍ وعَشْرَةٍ عِبْرَاتٌ وسَكْرَات وعَشْرَات لصحّة عين كلمتها وفتح فائها ولكونها أسماء.

أمّا الصّفات المؤنّثة فتجري في جمعها على لفظ مفردھا مطلقا. يقال ضَخْمَةٌ وضَخْمَات، وحُلُوةٌ وحُلُوات، وخَشِنةٌ وخَشِينات، وحَسَنَةٌ وحَسَنَات.

ويقولون "حَسَبَ رَأْيِهِ" يريدون وَفَّقَ رَأْيِهِ (بفتح الواو). والإعراب "على حَسَبِ رَأْيِهِ".

أمّا حَسَبَ فاسمُ فعلٍ ومعناه يكفي كما في قوله تعالى : " قل حَسْبِيَ اللَّهُ عليه يتوكّل المتوكّلون " (الرُّمَر:38) ومنه المثل " حَسْبُكَ من شَرِّ سماعه ".

ويقولون "أَشْتَهَرَ القاضي فلانٌ بعدله" بالبناء للمفعول ولا مفعول له للزومه. فصوابه اَشْتَهَرَ بعدله؛ كما يقولون تَوَفَّى فلان أمسي "ولا مُتَوَفَّى إِلَّا الله" يَتَوَفَّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها " (الرُّمَر: 42).

ويغرزون الملعقة فيما يقدّم إليهم من طعام قائلين " سوف نتناول اليوم طعاما طيبا " وسوف للمستقبل البعيد لا للحال. محصها الله ليوم القيامة في أغلب آياته. قال : "ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا " (النساء 30) وأخلصناها نحن عباده للحاضر في الطعام وفي كلّ ما يلدّ لنا تعجيله. لا نعرف التسويف بمعناه العربيّ إِلَّا في قضاء واجب أو دين. والتسويف أن تقول : سوف أفعّل. وقالوا : فلان يقتات السَّوْف إذا كان يعيش بالأمان.

وينصحون بالتواضع فيقولون " أَجْلِسْ أين انتهى بك المجلسُ ". وأظنهم يترجمون اللفظ الفرنسيّ ou بما لا يوافق الروح العربيّة. ولا يخطئ في هذا إِلَّا بعضُ مُزْدَوِجِي اللّغة أو بعض من قلدهم. الصحيح أن يقال " اجلس حيث انتهى بك المجلس".

وما تُنكر مِنْ قِيَم ؟

- أخذوها من القيَمَة وظنّوا أنّ الياء فيها أصليّة أو عرفوا أنّها مقلوبة عن واوٍ سُبِقَتْ بكسرة كالصيام والعيادة والريادة (من صام يصوم وعاد يعود وراد يرود). وأرادوا أن يميّزوا بين قَوْمِ الْمُعَوِّجِّ وبين قَوْمِ السلعة فقالوا في السلعة وما أشبهها في نظرهم قيَم السلعة وقيَم الكتاب مع أنّ السياق يميّز بينهما. عَنَوْنَ الجغرافيّون العرب بعض كتبهم بـ " تقويم البلدان " وما التبس على أحد من القراء دلالة التقويم ولا ظنّ أنّها من

قَوْمُ الْمُعَوِّجِ. كذلك فعلت العامة قالت قِيَمَها تريد المبالغة في ردّ الفعل. أخذتها من القيامة، وأصلها القِوامة، سُبِقَتْ واوها بكسرة فقلبت ياءً.

وَأُلْفَتَ انتباهي، والمُلْفَتَ للانتباه، وإِلْفَاتُ نظِرٍ خطأ فادح. لا يستعمل إلا ثلاثياً. فالصحيح لفت انتباهي، والالَافَت للانتباه، وَلَفْتُ نظِرٍ.

وما تَنْقِمُ مِنّا حين نقول: "وضعنا أقلامنا فوق الطاولة"؟

- أَنْقِمُ منكم أنكم لا تَمَيِّزُونَ بين على وبين فوق. على تدلّ على المماسّة بخلاف فوق. يقال "وضعتُ القلمَ على الطاولة" و"السماءُ فوقنا والأرضُ تحتنا". ويقال "فوق كلّ ذي علم عليمٌ".

- وما رأيك في قولهم "كَأَنَّ على رؤوسهم الطير"؟ - هذا عليك لالك. على للمباشرة كما ذكرت لك. ذلك أَنَّ البعير يلصق به القرادُ ويقع الطائر على رأسه ليقتات ممّا لصق بها وبجسمه من قراد. فيسكن البعير سكونا تاماً لئلا يزعج هذا الطائر الذي يخلّصه ممّا يؤذيه.

- وكيف تخطئ من روى قول الجاحظ كما وجده؟ ألم يقلّ الجاحظ: "البلاغة هي الإيجاز"؟

- أبداً، إنّما قال: "البلاغة الإيجاز". لا يفصل الجاحظ بين المبتدأ والخبر بالضمير هو أو هي فصلاً مطلقاً كما يفعل الكثير ممّن. ذلك ينافي الأساليب العربيّة. إنّما كثر هذا الفصل بأثر من نقل النصوص اليونانيّة إلى العربيّة. أمّا في باب: كان وإنّ فيصحّ الفصل بين الاسم والخبر بضمير يدعى ضمير الفصل وضمير الشأن وضمير القصّة. ومنه "ألا إنّ الله هو الغفور الرحيم" (الشورى 5) ومنه "وأنّه هو أضحك وأبكى وأنّه هو أمّات وأحيا" (النجم 43).

- وكيف يُضحكننا الله ؟

- إنَّ الله لا يلعب معنا. تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً. المراد بأضحك : جعل

الإنسان يضحك، خلق فيه القدرة على الضحك. لِنَعُدَّ إلى ضمير الفصل فإنَّ الطلبة كثيراً ما يخطئون فيه ويجعلونه مبتدأً ثانياً. يكتبون مثلاً : "كنتُ أنا القائمُ عليهم" وليس لضمير الفصل عمل. الصحيح : " كنتُ أنا القائمَ عليهم".

ومن قال " المنسوب له " كمن قال " المضاف له ". إنّما التعبير الصحيح " المنسوب إليه " و" المضاف إليه ". ما أكثر ما يخطئ الناس في التعديّة بالحرف لعدم تمكّنهم من الأساليب العربيّة !

- وأين اللّحن في " مدّوا أياديهم إليه يلتمونه التهاما " ؟

- لِّلْيَدِ معنيان : الجارحة التي نتناول بها الأشياء ونعمل بها وجمعها أيْدٍ، والنّعمة -وهي على المجاز- وجمعها أيادٍ. ومن ذلك قول المتنبيّ:

وكم في ظلام الليل عندك من يدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ المَانُوِيَّةَ تكذبُ !

وقول البحريّ :

واجتماع الأضداد فيما تُوالي من أيادٍ فينا ثقالٍ خفافٍ

فالتعبير الصحيح " مدّوا أيديهم إليه يلتمونه التهاما ".

ويكثر اللّحن في التشديد وعدمه وبخاصّة في حروف العلة. يشدّد بعض الطلبة الياء في " أقدار متساوية " (متساوية) ويخفّفونها في " مشكلة سهلة عادية " (عادية) مع أنّ الأولى على وزن مُتَفَاعِلَة والثانية ياء النسبة. وقد

لاحظت أنّ الذين يخطئون في مثل هذه المعتلات لا يعرضونها على أوزانها الصرفيّة ولو فعلوا لأستراحوا من عنائها. ولا يبسطون الجمل لينتموها إلى أنّ تركيبها فاسد. لا يوجد تلميذ في الابتدائيّ بله الطالب المترشح لشهادة الدكتوراه يقول " جاء والتلميذ " بعطف الفاعل على فعله. ومع ذلك من هؤلاء الطلبة ومن الصحفيين والمذيعين من يقول " سبق وأن أشرنا " يريد " سبق أن أشرنا إلى... ". ولو بسط التعبير لقال " سبقت الإشارة " وأدرك أنّ " سبق وأن أشرنا " أبعد ما يكون عن العربيّة " بُعْدَ " سبقت الإشارة ".

ومنهم من يدخل لما على المضارع المرفوع. يقول أو يكتب " لما نقوم " يريد " حين نقوم أو " عندما نقوم ". وهو تعبير عامّي وقع فيه " علماء أجلاء ". لا تدخل لما إلا على ماض (لما قام) أو على مضارع تجزمه وتجعله دالاً على زمن ماض (لما يقيم).

وما عندك في إنّ بعد القول ؟

- قليل من كثير أوجزه في مثالين :

لنتخيّل رجلين خائضين في حديثٍ وبالقرب منهما ثالثٌ. يقول الأوّل لصاحبه : " إنّني راضي بما كتب الله لي ". أراد الثالث أن يعرف ما قال. فسأل الثاني عن ذلك ولم يكن سمعه. فأجاب الثاني : قال : " إنّني راضي بما كتب الله ". من الواضح أن الثاني لم يزد على أن روى قول الأوّل حرفياً . هذا ما سمّاه النحاة " الجملة المحكيّة بالقول " وقالوا بوجوب كسر إنّ المحكيّة بالقول.

فإن كانت قال بمعنى ظنّ نصبتُ مفعولين. ونُمثّل لها بما يفيد الظنّ
مثل "أتقول أخاك آتيا بعد غدٍ" ؟ تريد : أظنّه آتيا ؟ وبما أنّ ظنّ تطلب
مفعولا وجب فتح همزة إنّ بعد قال المفيدة للظنّ أو ما يقرب منه. ومثال
ذلك "أتقول أنّ أخاك آتٍ" ؟

هذا بالضبط ما نجده في حديثنا اليوميّ : "واشّ تقول في القضية ؟"
بمعنى "ما رأيك في القضية ؟ أبدي رأيك فيها. ما ظنّك ؟ ... ويكون الجواب:
أقول أنّ المسألة ... ، أرى أنّ ...

عبّروا بالقول لأنّ الرّأي لا يكون إلّا به.

ممّا سبق يتضح الفرق بين قال إنّ ... وقال أنّ ...

أمّا ما زال ولا زال وما إليهما فخرجي القول فيهما إلى لقاء آخر.

آليات الإقناع في التخاطب البياني

د: غانم حنجار (ج. ابن خلدون-تيارت-)

مقدمة:

شاع الاعتقاد بالتمايز العقلي بين الأمم والشعوب، ومرد ذلك الاختلاف أمر مكين بقوة الفطرة « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »⁽¹⁾. وتأسيسا على ظاهرة التمايز الفكري الذي ينبغي إدراجه في سياق التكامل الإنساني لا التفاضل الجنسي- كما أرادت بعض المفاهيم المتعصبة ترسيخه- فإن مقولة «الشرق بياني والغرب برهاني» لا يمكن اعتبارها إلا ضربا من التصنيف المغالط، الذي يجعل الحضارات مرهونة لهذا التصنيف أو ذاك. فإذا كانت الحضارة الإغريقية قد قامت على العقل، والعقل صفة في الإنسان مقدّم على سائر الصفات والقيم. فلا يعني بحال أن تكون حضارة اليونان ملهمة لبقية الحضارات الإنسانية كما يزعم بعض الدارسين؟ أو يكون الرجل الغربي بفعل هذا الشعور هو وحده من يستأثر بالعقلانية، والفكر الراشد، والأمر سيان بالنسبة لأهل البيان. فالأمة العربية ذات بيان عال، يشهد لبراعتها البلاغية كل من احتكّ بها في مضمار التخاطب والكلام، ومع هذا لا ينبغي عدّها هاته الخصية سببا تفوقيا، تتأسس عليه حضارة البيان في مقابل حضارة البرهان.



والذي ينبغي ادّعاؤه هو أنّ الأمم متكافئة بفضل مواهبها الإدراكية، وهي في ذلك على أقدار متفاوتة من العقل والبيان، لما بينهما من تعلق، وتكامل، وتأثير. وإن جرى في معتاد الناس أنّ التخاطب الإقناعي لا محالة يحصل بقوة البرهان، وحجّة العقل.

فإلى أي مدى يمكن تصديق هذا التوهّم؟ ألا يمكن فرض الإقناع بسلطان البيان متى توافرت الشروط، وتهيأت لذلك السياقات؟ كيف يقنع البياني مخاطبيه؟ وما هي آلياته الوظيفية في ذلك الاختيار؟

هذا ما تسعى الدراسة إلى بسطه من خلال التعرّض لأهمّ العينات النصية الدالة، ومن مختلف الأجناس الأدبية.

1 - البيان: الدلالة والسياق:

تفحص المعجميون مادة «بين» فوجدوها جامعة لمعاني الوضوح، والإظهار، والفصاحة، يقول الإمام الجوهري (393-هـ): «البيان، الفصاحة واللّسن»⁽²⁾، وتعني عند ابن منظور (711هـ): «... والبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ. وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن. وأصله الكشف والظهور»⁽³⁾.

أما في مدوّنات التفسير؛ فللعلماء إزاء لفظ البيان أقوال لم تحد بعيداً عمّا أشار إليه اللغويون المذكورون. فهم يفسرون قوله تعالى: «خلق الإنسان علّمه البيان» بحسب كل مدرسة، وما عرفت به من التوجّه في فهم الظواهر القرآنية. فالإمام ابن كثير (...774هـ) يعتمد رأي الحسن البصري (110هـ) «قال الحسن: يعني النطق، وقال غيره: يعني الخير والشر. وقول الحسن ها هنا أحسن وأقوى، لأن السياق في تعليمه تعالى



القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الحلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها على اختلاف مخارجها وأنواعها»⁽⁴⁾

أما الإمام جارا لله الزمخشري (467 - 538هـ) فيرى البيان هو «ما تميز به عن سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب»⁽⁵⁾

في حين يذكر الإمام الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين «...وحيث أن المراد بالبيان علم ما كان، وما يكون، وما هو كائن. وقيل: آدم عليه السلام، والمراد بالبيان أسماء كل شيء، ما وجد، وما لم يوجد بجميع اللغات، فكان مئة لغة أفضلها العربية»⁽⁶⁾

فجملة هذه التخريجات تتقارب في المدلول، وتلتقي عند معنى النطق والفصاحة التي لا تحيد عن مدلول البلاغة إلا بقدر من التلاؤم مع الحقل الجمالي، كون مصطلح البيان في الدرس البلاغي شديد التعلق بالصفة الجمالية، التي اشتغل على أثرها ثلة من النقاد، والبلاغيين بدءًا بالجاحظ (255هـ) وانتهاء بالإمام السكاكي (626).

فيكفي أن يكون الجاحظ ألف كتابا صريحا فيه، وحشد في مضامينه نصوصا وشواهد واستدلّ بالشروح، وأفاض بالأخبار لغرض إقناع الخاصة قبل العامة بشرعية السلطة البيانية من باب كونها مزية عربية، وخصيصه قومية نطق بوجودها القرآن. ولأجل هذه القيم عرفه الجاحظ بقوله: «البيان اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام.



فبأيّ شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع». (7)

فالجاحظ يستجمع لصفة تحقق البيان في الخطاب أطراف التخاطب، ومقاصده، وطرائق تحقيقه وسياقاته، فيكون قد وسّع من مدلوله وربطه بالوظيفة التواصلية، التبليغية التي تقتضيها الوظيفة الإمتاعية في المقام المتأدّب. ومن هنا يقنعنا أن البيان خصوصية لسانية يتعذر إتيانها لدهماء الناس وعمومهم.

أما السكاكي فقد فسّر البيان مستفيدا من الآراء السابقة له في باب النقد البلاغي. فنظر إلى البيان نظرة معيارية. «فأدخل الدلالات في تقسيم موضوعاته التي انحصرت في التشبيه والمجاز بأنواعه والكتابة» (8) قاصدا المعنى التصويري بفعل التخيل، وهو العنصر الذي تقتضيه أدبية التصوير في السياق الجمالي.

والخلاصة من كلّ هذا. إنّ مصطلح البيان واسع الدلالة، متشعب المراد، لا ينضبط إلا بحدّ سياقاته المعرفية التي تتعاضد في كلّها مشكّلة التوصيف المدلولي بسمته اللغوي والاصطلاحي.

2 - آليات الإقناع في مقامات التخاطب البياني:

إنّ العلاقة التي تجمع بين ثنائية المقام والمقال لا يمكن اختزالها في المتن القول، وتحديد المناسبة التي سيق فيها ذلك القول. ولكن مدار الأمر يقتضي الشعور بأطراف الخطاب من: متكلم بمواصفاته العقلية والنفسية، ومتلق مقصود بذلك الخطاب، لغاية يحملها المخاطب سلفا في وعيه. ولأجل هذا تكون مقولة: «لكلّ مقام مقال» قد أحاطت ضمنا بالدورة الخطابية إحاطة تامة، وفرضت على المتكلم حينها الشعور



بمسؤولية التبليغ والإفهام، الذي لا يعني أكثر من كونه مخاطبا بليغا، تترتب عليه واجبات التأديّة في أعلى مستوياتها. يقول ابن المقفع «إذا أعطيت كلّ مقام حقّه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام...»⁽⁹⁾

فإرضاء من يعرف حقوق الكلام بأية أداة يكون ؟ وإلى أيّ سبيل ينتسب؟

فالناس مفطورون على الاختلاف، ومحتوم عليهم الانتهاء إلى حد من التلاقي والتفاهم. لكن ما السبيل إلى ذلك ؟

«فطرق التصديق الموجودة للناس ثلاثا: البرهانية ، الجدلية، الخطابية... وكأنّ الناس كلّهم ليس في طباعهم أن يقبلوا البراهين. ولا الأقاويل الجدلية فضلا عن البرهانية من العسر.»⁽¹⁰⁾

وهذا إشكال متحقّق ، وسيظل قائما بين المتخاطبين على مستوى التواصل ولا سيّما إذا ما كانت البرهانية، أو الجدلية خيارا تخاطبيا. لأنّ طبيعة اللغة البرهانية بتجريدها، وجفاف مقولاتها، والتواء طرق تعبيرها عن الأفكار تلحق النفور لا محالة، وتلقى البرودة في حسّ المتلقي. وهذا مؤشّر كاف على عجز التلقي والاستيعاب.

فالحكم هذا لا يعني بحال أنّ التواصل قد ينصرم حبله بين الأطراف، لأنّ الإقناع البرهاني متوقّف على قوّة الاستدلال الحجاجي، وعلى تخيّر النخبة المقصودة بالسماع، فالمعاني اللطيفة «لا يبصرها إلّا ذوو الأذهان الصافية، والعقول النافذة، والطباع السليمة، والنفوس المستعدّة، لأنّ تعي الحكمة، وتعرف فصل الخطاب.»⁽¹¹⁾ ممّا يبيّن للقول:



إنَّ الإرضاء بالبيان، والإقناع بفن الخطاب يكون خليقا بأن يستغرق الكثرة الكثيرة من طبقة الخواص، ممَّن هم في مقام التلقِّي، إن حشِرله من أدوات التبليغ ما يوفي الغرض حقّه.

وحَتَّى نعدّد بعض أهم الآليات الإقناعية بالبيان فلا مناص من التمثيل لها، وبأوضح النماذج الصالحة، وبقدر من التنوع النصّي من خلال الجمع بين الحديث النبوي، والمقطوعة الشعرية والمساءلة الهادفة، والتوقيع الرسمي، إيماناً مناّ بصلاحية هذه العيّنات لا اشتغالها على شرائط التخاطب التواصلي في بعده الجمالي.

1 - النبذة الصوتية:

ويراد بها التأدية الشفوية للخطاب، حيث يعدّ الصوت قيمة مطلقة، ذات محمولات دلالية تجاه المتلقّي، وفي سياقات معينة. لأنّ العرب وضعت شرطاً في الخطابة، يتعلّق بصفة الصوت. فكان إذا سُئل أحدهم عمّا هو الجمال؟ قال: طول القامة، وضخم الهامة، ورحب الأشداق، وبعد الصوت. وهو ما يفسر اقتناع الجاحظ بأنّ الصّوت البشري هو كل شيء بل هو الإنسان نفسه⁽¹²⁾. فبه نتسامع، وبه نتفاهم وعليه مدار التبليغ. فهذا نبينا- صلى الله عليه وسلم - لم يمنعه في حجة الوداع الاستعانة بصوت عمّه العباس، وسياق الحدث أمر جامع للناس، من كلّ جنس وجهة. قاموا مصغيين له، منصتين لمقرّراته - صلى الله عليه وسلم - على أنّها مقرّرات حاسمة وأبدية ملزمة. وسياق الخطاب هنا يستلزم حسن إفهام الخطيب، مع حسن فهم السامع.

ولكن من ذا الذي يجرؤ على الشكّ في كفاءته - صلى الله عليه وسلم - لحظة التبليغ فيطلب منه بلاغة الخطاب، وهو الذي استوي له عود الكلام، وأوتي جوامعه مختصراً؟ ولكن استعانتته بصوت العباس كان



قد حَقَّق غرضه الإبلاغي بانتفاع المسلمين في هذا اليوم المشهود، كما انتفعوا ثانية بصوته يوم حنين، ساعة انكفأ المسلمون عن رسول الله فَرَقًا وبقيَّ وحده- صلى الله عليه وسلم - تترَبَّص به دوائر الشَّماتة والرَّيب في حصول النصر. وكان إلى جنبه «العباس آخذًا» بلجام بغلته دلدل وهو عليها وكان العباس جسيما، شديد الصوت فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : « يا عباس اصرخ: يا معشر الأنصار. يا أصحاب السَّمرة. ففعل فأجابوه» ⁽¹³⁾ وزاد مسلم: «فقلت – أي العباس- بأعلى صوتي: يا أصحاب السَّمرة فقال: فوالله لكأنَّ عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها...» ⁽¹⁴⁾

والقيم التعبيرية للصوت شديدة الظهور في كلِّ المقامات الحاسمة، من تاريخ الصراع الحضاري للأمة. فالمفاوض والخطيب، والقائد على حدِّ سواء مطلوب منهم في سياق العسرة والشدة التَّقَوُّي بالمظهر، والسَّمَت المعبر، لأنَّ التَّأدية الصوتية تكون وقتئذٍ أولى رسائل التبليغ نحو عقول، ونفوس الخصوم. فقد روى الجاحظ أنَّ عبد الملك بن صالح قد ترأَّس الوفد العربي في إحدى الجولات التفاوضية مع الروم، وحدث أنَّ عطس أحد الوافدين المسلمين في حلقة الاجتماع عطسة باهتة، ضعيفة فوبَّخه عبد الملك بالقول: «ويلك هلاً كنت ضيق المنخر، كزَّ الخيشوم أتبعها بصيحة تخلع بها قلب العالج.»

2 - ملازمة الحقيقة ومطابقة الواقع:

جلَّ الناس يحفظ قوله – صلى الله عليه وسلم -: « إنَّ من البيان لسحرا» ⁽¹⁵⁾ ، وقلة هم من يدري سياق الحديث، وملابساته الظرفية، وآثاره السلوكية في السامعين المعنيين به.



« سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن الأهم عن الزبرقان بن بدر؟ قال: مانع لحوزته، مطاع في أذنيه فقال الزبرقان: أما أنه قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي. فقال عمرو: أما لئن قال ما قال. فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر، زمر المروءة، لنميم الخال حديث الغنى. فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول، ورأى الإنكار في عيني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت. وغضبت فقلت أقبح ما علمت. وما كذبت في الأولى. ولقد صدقت في الأخيرة. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « إنَّ من البيان لسحرا. »

فالحاصل أنَّ هذه المسألة تحيل إلى جملة من الدلائل والإشارات نذكرها كالآتي:

أ. إنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث اللقاء بهذا الوافد، وكان من خصاله - صلى الله عليه وسلم - تهية سياق المعاملة لكل ضيف يقصده، كي ينزل الناس منازلهم. ويتعرف على ذوي المروءة من الأشخاص بوصفهم أعيان أقوامهم.

ب. كان - صلى الله عليه وسلم - يستعين مع نبوته وعصمته بأصحابه، وجلسائه حتى في الشأن العادي، غير أنه ما كان يأخذ الأقوال، ويقبل الشهادات، والآراء على علائها من دون نظرو تدبر..

ج. إنَّ عمرو بن الأهم رجل لسن فطن، بارع في الأنساب. وإنَّ قوله الأول في الزبرقان كان قد فهمه - صلى الله عليه وسلم - ، وما انطوى عليه من البيان، فقد التبس المدح الظاهر بالهجاء الباطن، وهو ما يعرف عند البلاغيين بفن التعريض.



د. إنّ انفعال الزبرقان، وطبيعة ردّه الصريح يكشف عن خيبة ظنّه في صاحبه، وإنّ إحساسه بانتقاص القيمة بحضرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر محرج قد يضرّ بسمعته في مجتمع القبلية.

هـ. إنّ قول عمرو الثاني في الزبرقان ينمّ عن طويّة، جعلت ابن الأهتمام يتمادى حدود اللياقة في ذلك المقام المهيّب (مقام النبوة)، فطاوعه لسانه من حيث إنه تعمّد - بمقتضى السياق - الطعن والسبّاب بطائل من الأوصاف راعى فيها: حسن التقسيم، ورصف النعوت وإغلاظ القول... ومن الطبيعي المنتظر عقب هذا الموقف المثير أن يمتعض النبي - صلى الله عليه وسلم - لتناقض الجوابين، فتعجّن عليه ملامح السخط لما شاهد وسمع - وحاشاه - صلى الله عليه وسلم - أن يشهد زورا أو يقرّ منكرا.

فاستعجل عمرو الموقف - مستدركا - بعبارات كلّها وضوح، وصدق وبيان. مخافة أن يطاله غضب النبي - صلى الله عليه وسلم - وحينها فقط قال - صلى الله عليه وسلم - : (إنّ من البيان لسحرا).

فالتزام الحقيقة، ومراعاة الواقع من مقتضيات البيان الحجاجي حتّى في المقامات الحرجة.

3- الإقلال والإدلال:

يروى ابن الأعرابي * (188هـ - 264هـ) أنّ معاوية قال لصحّار بن عيّاش العبدي:

«ما هذه الفصاحة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا، فتقذفه على ألسنتنا. فقال رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين هم بالبُسْر والرُّطْب أبصر منهم بالخطب، فقال صحّار: أجل. والله لنعلم



أَنَّ الرِّيحَ لتَنْفِخه، وَأَنَّ البَرْدَ لِيَعْقِده، وَأَنَّ القَمَرَ لِيَصْبِغه، وَأَنَّ الحَرَّ لِيَنْضِجَه فقال معاوية: ما تَعْدُونَ البلاغة فيكم ؟ فقال: الإيجاز. قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تسرع فلا تبطئ، وأن تقول فلا تخطئ،»⁽¹⁶⁾

فسياق المحاوراة تحيل إلى الأحداث العلمية في المجالس الرسمية التي يشرف على إدارتها الساسة والقادة من أمراء الكلام أمثال معاوية - وهو ما هو في البيان وفن المفاوضات -.

فطابع اللقاء علمي مفتوح على الخاصة والعامة، من عرض القوم لغايات محسوبة منها: التعبئة العلمية، والرعاية الاجتماعية الكافلة أقدار النخب العارفة، فضلاً عن مقاصد يراد منها التعليم وحسن التأديب. إلا أن اللافت في السياق التحواري هو الإقناع البياني، والطريقة الحاصل بها. وهي طريقة استجوابية، قائمة على المواجهة والمباشرة، والارتجال الذي يفهم منه سرعة الخاطر المجسد في الالتفات الخاطف، والتنقل بين المقامات الخطابية وفق حال كل سائل وسامع، وبقدر من الكلام الدال الموجز، الذي لا يحصل بعده تعقيب، أو تقصص علامة على قوة الحجة، ووضوح الفكرة التي تقضي بالأقل الأدل.

وهذا القليل الدال كثير في موروثنا التخاطبي، والأكثر فيه ما نلاحظه في فن التوقيعات التي تعتمد صفة «الإقلال والإدلال» رعاية لخلفية المتكلم البياني، والمتلقي المماثل الذي يفهم إشارة الموقع على ومضيتها، ولطافة معانيها، فقد وقّع خليفة إلى أميره نصّاً جاء فيه: «كثُر شاكوك وقل شاكروك. فإمّا اعتدلت، وإمّا اعتزلت».

«فهذا إيعاز خاطف ينطوي على أسرار بيانية توزعت في مستويات البناء التركيبي والدلالي، مشيرة إلى طائل من الملامح البلاغية على مستوى بناء التوقيع .



فالموقع بنى نصه بتحديد أطراف الخطاب وهم:

1. الأمير المخاطب وما يحمله من صفات النفوذ والسلطان.
 2. الوالي المخاطب وما يترتب عليه إزاء هذا الإشعار المستعجل.
- فهذان الطرفان ظاهران بالقرائن اللفظية، والسياقية، والموضعية، ممّا يجعلهما في مقام المعلوم المشخّص، وهو أسلوب إضماري يدنو من الكشف والتصريح، في حين أخفى السياق الخطابي بقية الأطراف كلّها، واكتفى بالإشارة التوصيفية لهم بلفظ «الشّاكون والشّاكرون».
- وهما توصيفان مشحونان بالمعاني الرّامزة، والتي يفيد معها التركيب اللفظي عدد الشاكين والشاكّرين من جموع المسكوت عنهم من الرجال والنساء، حتّى وإن قضى العرف التخاطبي التصريح بقرينة الواو والنون للدلالة على جمع السلامة انسجاماً مع قاعدة «التغليب».
- أما على مستوى ترتيب المعاني المتضمّنة في نص التوقيع، فالمتكلّم حين كان على حال من الكفاءة البيانية، وفي مقام إثبات الحجّة - بالدليل الفصيح - على مخاطبِهِ فقد عمد إلى ترتيب الأفكار في سياق منطقي، يشمل مقدّمة واقعية أساسها: «كثرة شاكيّة، وقلة شاكرة».
- استلزمت نتيجة مفادها: «الاعتدال أو الالتزام». فهذا التوازي البياني في رّص الألفاظ، ودقّة التقسيم، وخفّة العبارة، وصرامة الموقف، وتخيّر المعنى المناسب للموقف المناسب، كلّها إجراءات بلاغية أملتّها ضرورة التشكيل البياني، في مثل هذه الالّفات الكلامية العاجلة.
- ثمّ من اللطائف البيانية المؤثّرة في نص التوقيع أنّ الأمير ذو دراية بدبلوماسية الخطاب. فهو يدري سلفاً حجم الهزّة النفسية على عقل،



وحسّ متلقّيه، فبالقدر الذي آلمه وأرعبه وأشقاه، بقوله: «كثّر شاكوك، إمّا اعتزلت» فقد فتح أمامه فسحة الأمل بإمكانية الاستمرار في المنصب شريطة تحقّق الإنابة والالتزام، من خلال قوله: «قلّ شاكروك. إمّا اعتدلت.»

فهذه الصنائع البلاغية اقتضتها الحقائق المرّة ، ولأجلها قالوا قديما:«الحقائق مرّة فالتمسوا لها خفة البيان.»

فخفة البيان، واقتصاد اللغة، واستحضار المكوّنات الخطابية، جميعها مستلزمات تصبّ في حقل الاحتجاج البياني، الذي يُراهن على حضوره في التخاطبات الأدبية الحاسمة.

4- حضور البديهة وسرعة الخاطر:

نستدل لهذه الآلية التخاطبية في مقام الإقناع البياني بقضية الشاعر أبي تمام (180هـ- 228هـ) حين أنشد سينيته المشهورة لحضرة فيلسوف الإسلام يعقوب بن إسحاق الكندي في الأمير أحمد بن المعتصم فلما بلغ قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم *** في حلم أحنف في ذكاء إياس
قال له الكندي: ما صنعت شيئا، ما زدت أن شِيت أمير المؤمنين
بصعاليك العرب، فأطرق أبو تمام، ثمّ أنشأ يقول:

لا تنكروا ضربي لمن دونه مثلا *** شرودا في الندى والبأس
فالله قد ضرب الأقلّ لنوره *** مثلا من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا في القصيدة. فتزايد العجب منه، ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندي: «ولّوه لأنّه قصير العمر، لأنّ ذهنه ينحت من قلبه. فكان كما قال.»⁽¹⁷⁾



فمن غريب المصادفات أن يجمع المقام برهانيا جدليا، إلى جنب شاعر بياني لهما من اختلاف القناعات، والرؤى ما يتعسّر معهما تحقق الوفاق. فاعتراض الكندي وطعنه في شعرية أبي تمام له وقعه في الشاعر بخاصّة. في تلك المناسبة المهيبة، ولو قُدِّر لأبي تمام أن أرتج عليه ، أو انحبس عليه نفس الشعر خلال الإلقاء كان هو العجز والعِيّ ، ولصار الموقف أدعى إلى الشماتة والتشقي. لكنّ الخلاص من حرج الموقف جاء بفعل عفوية الشاعر، واقتداره على الاسترسال بما ليس في خاطر من قول أبلغ وأسرع، سدّ عليه منافذ الانتقاد، وحوّل الرأي المشاكس إلى حال من الرضا والاقتران بمهارة الشاعر، الذي لم يكن إلّا بيانيا يستمدّ الحجّة من سند البديهة، وحضور خاطر. وليس ذلك مُتاحا لعامة المتكلمين.

5 - الاستمالة والتأثير:

إنّ أبرز مهمّات الخطاب الفني هو التأثير في الدّات السامعة ، وإمتاعها حسّيّا، ووجدانيا بما تقتضيه آليات الوظيفة الشعرية. ومن هذا التوجيه كان الإلذاذ مقصودا في وعي الشاعر، والخطيب والبياني، فكلّ يستخدم غالبا معجما عاطفيا المراد منه كسب الآخر، واستمالاته بغرض إقناعه بوجهة نظره، التي يسوّقها جماليا بعبارات أوضح ما تكون عليه من وحي الدلالة، وصدق الفكرة⁽¹⁸⁾ وحجّة الصياغة، لأنّ البياني المتكلم هنا تدفعه إلى تغيير حال سامعه، والتصديق بمحمولات الرسالة الخطابية الموجهة بشأنه عاملان انفعاليان هما:

الخوف والطمع. والكلام في جلّه إذا ما انطبع بطابع الانفعال الذاتي كتُب له صدق الادّعاء لأنّه وليد التأمل الذاتي. فهو إلى الاستبطان والتأمّل الداخلي أقرب منه إلى استقراء الأسباب بالعقل الظاهر.



فكعب بن زهير قد أهدر النبي ⁽¹⁹⁾ - صلى الله عليه وسلم - دمه،
وشاع خبره بين الناس مسلمين ومشركين فقاده الخوف والطمع في أن
يقصد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منيها مستغفرا.

يقول كعب بن زهير: «فعرفته - صلى الله عليه وسلم - بالصفة
فتخطيت الناس إليه فأسلمت، وقلت: الأمان يا رسول الله، هذا
مقام العائد بك... فأنشده قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *** متيم عندها لم يُفد مكبول

وكانت القصيدة طويلة. ابتدأها على سنة الجاهليين بالتشبيب، حتى
إذا تخلص من الحديث عن سعاد، انبرى يخاطب النبي - صلى الله عليه
وسلم - مستعطفا، معذرا، ملقيا اللائمة على الوشاة الذين بغضوه
إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه، بمعان وألفاظ إيمانية تشهد
لصحّة إسلامه، حتى إذا وصل إلى قوله:

نبئت أنّ رسول الله أوعدني *** والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاهداك الذي أعطاك نافلة ال *** قرآن فيها مواعظ وتفصيل

لاتخذني بأقوال الوشاة ولم *** أذنب وإن كثر في الأقاويل

إنّ الرسول لسيف يُستضاء به *** مُهتد من سيوف الله مسلول

انفتحت بعد هذا التوصيف الرائع أسارير النبي - صلى الله عليه وسلم -
وخلع عليه برده الشريفة، قابلا عذره، راضيا عنه بفعل قوته البيانية،
التي حققت العطف والاستمالة، وقلبت المقام إلى نقيضه. وهكذا يكون
كعب قد استعبد قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - بإحسان القول فيه.
فعاد وقلبه مطمئن بالإيمان.



6 - جمال الهيئة وحسن الشارة:

هاته ليست صفة كلامية ولكنها حالة متعلّقة بالمتكلّم لحظة التّأدية الخطابية، من باب تعلّق الصفة بالموصوف. فللمظهر دلالة على المخبر، وحسن السمّت غالبا ما ينطوي على همّة، وعقل وكمال. ولأجل هذا اشترط أهل الحديث في المحدث: أن يكون حائزا على شروط تأنقيّة، تبعث على الإكبار، والإعجاب منها :

أن يكون مُحكّما عمامته، مُمَشّطا لحيته. بل جاء في الأثر: « أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم. فوالله إنّ أحدهم ليعثرويه بيد الرحمان. » ولم يعتن الإسلام بالحث على إبداء الزينة، وتحسين السمّت في مقامات الاحتفال بالناس إلّا من باب اعتبار ذلك دليلا صريحا، وعنوانا شاهدا لحقائق كامنة تحيل إليها الظواهر، مادام الإنسان مأخوذا بها. فإذا انعدمت هاته الصفة في البليغ أو المُحاجّج أو المحدث، أو البياني ضاع كثير من شأنه الاعتباري، وسقط في أعين الناس وهانت همّته لهوانه عليها. وقديما قالوا: «تسمع بالمُعَيدي خير من أن تراه». ومورد المثل يحيل إلّا أنّ المُعَيدي رجل له شأن في المعنى، والأثر والسلوك، ولكن حين لزمه قبح المنظر، وعُدم جمال الشارة لم يشفع له المضمون النفسي ولا الوزن العقلي، ولم يعد يقنع الرائي بحال.

فالإقناع بالهيئة الحسنة قيمة مضافة لشخص المخاطب، تتعرّز بجمالية البيان، والتأديّة، والإسماع لأنّ « المرء مخبوء تحت لسانه»، «وإنما جُعِل اللسان على الفؤاد دليلا.»



الخلاصة:

بناء على ما تقدّم من الشروح والاستدلال بالنصوص المحقّقة، فإنّنا ننتمي إلى الملاحظات الآتية:

1 - إنّ التواصل اللغوي يظلّ قائماً بين المتخاطبين، سواء حصل ذلك بخلفية البيان، أم البرهان.

2 - إنّ التمايز الحاصل بين الخطابين - البرهاني، والبياني - مردّه إلى ثقافة المتكلم، ومدى الطاقة الكلامية التي يمارس بها فعل الإقناع.

3 - قد يجتمع لدى المتكلم البليغ الفن البرهاني، والصناعة البيانية في مقام واحد، حيث يتماهي الموضوعي بالذاتي. ومثل هذا التوجّه كثير في خطابات أهل الحكمة، واللغة المتعلقة من أمثال زهير وأبي تمام، والمتنبي، والجاحظ، والعقاد، والمعري، وأبي حيان التوحيدي، والبوصيري ...

4 - إنّ المتنبي ولخصوصيّة حاجيّة استطاع إقناعنا بأفضلية المرأة على الرجل في سياق مخصوص، رغم استحالة القبول بهذا الحكم، وفي هذا المجتمع المرهون إلى فكرة أفضلية الذكر على الأنثى أبداً.

5 - إنّ عماد المتنبي في تقرير أفضلية المرأة على الرجل - أحياناً - كامن في الاحتجاج العقلي في سياق بياني جمع خلاله بين ثنائية العقل والقلب - أي الموضوعي والذاتي - بنصاعة الفكرة وقوّة الحجّة. ورونق العبارة. وحسن المقايسة والتمثيل.

وهذه عناصر عزّ اجتماعها إلّا لمتكلم مخصوص، وفي مقام أدقّ خصوصية، كما هو الحال في مراثيته لأخت سيف الدولة، التي افتتحها بالقول:



نُعِدُّ المِشْرِفِيَّةَ والعَوَالِي * * * وَتَقْتَلِنَا المَنُونُ بِلا قَتال (20)

فاسترسل في الإنشاد، حتَّى إذا بلغ مقام الإشادة بالأميرة الفاضلة، تجرَّد من الضابط العقلي وأذعن إلى خياله بحسٍّ غير مسئول، فقال حينها:

ولو كان النساء كمن فقدن * * * لَفُضِّلَتِ النساء على الرجال (21)

ولكنَّه أدرك أنَّ المتابع العربي عضو في مجتمع ذكوري. وهيهات أن يتقبَّل منه هذا التقرير الجريء. فاستدرك على الفور باستدعاء الواقع المنظور، ليكون حجة برهانية على كل ذي بصرو بصيرة. فقال:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب *** ولا التذكير فخر للهِلال (22)

فيكون بهذه المقايسة السليمة، وبهذا التمثيل البليغ قد شكَّ الحجة الدامغة في إقرار الفكرة صورة وحكما، لأنَّه يمتنع على أيِّ عربي، وفي أيِّ حال ومقام من الزمان، أن يقرَّ بأفضلية القمر على الشمس.



الإحالات

- 1 - الروم: آية 29.
- 2 - الجواهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت ج 5/ 2082.
- 3 - ابن منظور، لسان العرب،
- 4 - مختصر تفسير ابن كثير، تح محمد علي الصابوني، دار القلم، بيروت، ج 3/ 45.
- 5 - جارا الله محمد بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ج 4/ 49.
- 6 - أحمد الصاوي المالكي، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، دار الفكر، بيروت ج 2/ 153.
- 7 - الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، ط 3، د. ت.
- 8 - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، 2007.
- 9 - ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2014، ص 314.
- 10 - ابن رشد نقلا عن محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا، أفريقيا الشرق لبنان ط 2، ص 36.
- 11 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط 3، 1983 ص 60.



- 12 - محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال «البيان والتبيين»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983. ص 111.
- 13 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 2/ 179.
- 14 - محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط 7، 8، ص 386.
- 15 - ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 1، ص 174.
- 16 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1/ 109.
- 17 - ينظر أحداث القصة في كتاب: شهاب الدين محمد بن أبي الفتح الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ج 1، ص 104.
- 18 - أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ص 156.
- 19 - تراجع القصة بتمامها بالكامل لابن الأثير، ج 2، ص 186 وما بعدها.
- 20 - المتنبي، الديوان، بيروت للطباعة والنشر، 1980، ص 265.
- 21 - ديوان المتنبي، ص 267.
- 22 - ديوان المتنبي، ص 267.



مكتبة البحث:

القرآن الكريم.

- 1 - ، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب.
- 2 - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، د ت.
- 3 - جار الله محمد بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دارالمعرفة، بيروت، ج4.
- 4 - الجواهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دارالعلم للملايين بيروت، ج5.
- 5 - حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، داركنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014.
- 6 - شهاب الدين محمد بن أبي الفتح الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ج1.
- 7 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
- 8 - المتنبي، الديوان، بيروت للطباعة والنشر، 1980.
- 9 - محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط7، 8.
- 10 - محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 11 - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا، أفريقيا الشرق لبنان ط2. مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القلم، بيروت، ج3.
- 12 - ابن منظور، لسان العرب.

واقع استخدام اللغة العربية في الإدارة الجزائرية

أ.د. عبد الناصر بوعلي (ج. تلمسان)

تقديم

أودُّ في بداية مقالي أن أقدر الجهود التي بذلتها الجزائر في مجال تعريب الإدارة العمومية في الجزائر، والتي انطلقت حقيقة في نهاية السبعينيات من القرن الماضي وامتدت لسنوات عدة، محققة نتائج لا يمكن لأي أن يزايد فيها أو يقفز على أرقامها، خصوصاً إن نحن وقفنا على حالة الإدارة الجزائرية غداة الاستقلال والسنوات التي تلت ذلك، حيث كانت العربية مغيبة حتى في الحالة المدنية التي تعد منطلق الهوية الشخصية لكل مواطن.

لقد كانت الإرادة صادقة في الدعوة إلى تعريب الإدارة، وتجسيدا لذلك سنت قوانين وصدرت العديد من القرارات والتعليمات من مستويات عليا لأجل تطبيق اللغة العربية، وتكوين الموظفين والأعوان الذين يسهرون على هذا التطبيق، على أن الفجوة بقيت قائمة بين هذه القرارات والجهات المخولة للتطبيق لأسباب يطول الحديث فيها، ولا بد أيضا أن نقر- وهذا اعتماداً على الواقع- أن هناك تهاونا يلاحظ أولاً في المحافظة على المكتسبات المحققة، ولا أقول رجعة أو تراجعاً كما يحلو للذين يريدون تسويد الوضع وتشويه الجهود المبذولة، وإنما نلاحظ ثاقلاً العجلة، وحتى لا تتوقف؛ نرى من الواجب تحريك الهمم والدعوة إلى تبني



إستراتيجية ممنهجة للنصوص مجددا في سبيل تطوير استخدام اللغة العربية في إدارتنا العمومية، هذه الإدارة التي تعد واسطة بين المجتمع الجزائري الممثل في جانبه المدني، والجهات السياسية العليا القابضة لدواليب الحكم، والتي يقع على عاتقها التدبير والتخطيط والتسيير.

وسأحاول إذاً معالجة القضية في محورين، المحور الأول يتناول إشكالية استخدام اللغة العربية في الإدارة، والمحور الثاني أخصه لتقديم نظرة تحمل توجهات تأهيل الإدارة الجزائرية؛ حتى تستعمل اللغة العربية فعلا.

إشكالية استخدام اللغة العربية في الإدارة:

أ-الاستخدام اللغوي: يوحى مصطلح الاستخدام بالجانب الوظيفي الذي تؤديه اللغة في المجتمع الإنساني، فقديمًا عرف ابن جني اللغة «بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»¹، ونجد آخر تعريف يتداوله اللسانيون الغربيون ينص أن اللغة «قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما»²، وبذلك نجد العلماء دأبوا على اعتبار وظيفية اللغة الركن الأساس في تعريفها، وهذا يدل على الأهمية القصوى في ربط أواصر التعامل والتواصل بين أفراد المجتمع، ولولا هذه الوظيفية التي تختص بها اللغة لأمت ضوضاء منتشرة في الفضاء، لا يلقي لها بال ولا تحظى بالعناية.

ومن هذه الوظيفية بنيت نظرية التواصل والاتصال التي أصبحت تقوم على تحليل العوامل المكونة لكل اتصال بين شخصين يتم بواسطة اللغة، وقد عدد اللسانيون الوظائف الأساسية للغة فحصروها في



الوظيفة التبليغية، والوظيفة التعبيرية، والوظيفة الإيعازية، والوظيفة التواصلية، والوظيفة البلاغية، والوظيفة القواعدية، والوظيفة المعلوماتية، والوظيفة الفكرية، والوظيفة الاجتماعية، كما تطرقوا إلى الحواجز التي تعرقل الاتصال وتحول دون تحقيق هذه الوظائف.

وقد تعمدت الحديث عن طبيعة اللغة وإبراز أهميتها من منطلق قيمتها النفسية والاجتماعية والثقافية في التعامل بين المرؤوسين ومسيرهم، وبين الإداريين وعامة المواطنين الذين يقصدون الإدارة صباح ومساء لقضاء شؤونهم الإدارية.

ب- لغة الإدارة: عندما يخاطب أحد الإداريين مواطنا عاديا يراجعته في أمر من الأمور مستخدما اللغة المشتركة بينهما: فإن تلك اللغة لا تسهل فقط فهم المواطن للموضوع، ولا تحقق اقتصادا في الوقت وترشيدا للجهد المبذول فحسب، وإنما تحدث نوعا من الألفة بين هذا المسئول والمواطن، وتوجد كذلك تعاطفا بينهما، وتشيع نوعا من الرضا في نفس هذا المواطن العادي الذي لا يحسن إلا لغته.

أمّا وإن تحدث هذا الإداري بلغة أجنبية لا يحسنها المواطن وقد يجهلها تماما، فزيادة على الحواجز التي تحدث في الاتصال وتعرقل الفهم وهي هنا حالات تخص الرسالة بسبب عدم فهم المقصود، فإن المواطن يشعر بأن هذا الإداري يمارس عليه نوعا من الاستعلاء ويحتقره ضمنا، أو أنه يتبجح أمامه بمعرفته للغة أجنبية.

وقد واجه أحد المواطنين قدم من عمق الجزائر إلى العاصمة لقضاء شأن إداري عندما خاطبه الموظف بلغة أجنبية لا يفهمها؛ يابني أنت عربي





أم فرنسي؟ ولما علا بينهما الكلام صاح المواطن: لقد نلنا استقلالنا فحدثنا بما نفهم.

وشرح أحد إطارات شركة سونطراك لمواطني عين صالح قضية الغاز الصخري التي أثّرت مؤخرا باللغة الأجنبية، ولم يفهمه أحد، فازداد تعنتهم: بل وثارت ثائرتهم أكثر.

إن هذا الأمر يؤدي إلى نفور المواطن من الإدارة، ويتنافى كلياً مع مبدأ ضرورة انفتاح الإدارة على محيطها الاجتماعي، والتفاعل معه لتحقيق الغايات المرسومة لها. ثم إن مثل هذا السلوك يعرقل التواصل ويعسره.

إن التواصل إن أريد له الدوام والاستمرار لا بد أن يتم بأداة التواصل المشتركة بين المرسل والمرسل إليه، وتمثله اللغة الوطنية السائدة. وفي هذا المطلب تدخل عملية ترسيم اللغة الأمازيغية التي كان البعض إلى وقت قريب يعتقد أن في استعمالها ضرراً للوحدة الوطنية، وهي في الحقيقة تدعم الشعور بالانتماء لهذا الوطن، لأن التواصل بها عند مستعملها يشيع الاطمئنان في نفوسهم، ويعزز الانتماء للبعد الثقافي لمنطقة في الوطن.

ج- الإطار القانوني للغة العربية في الجزائر: لقد استعادت الجزائر أرضها واستقلالها من المستعمر الفرنسي منذ سنة 1962، بفضل التضحيات الجسام التي بذلها الشعب الجزائري برمته، وضمن اختياراته الكبرى المسطرة في المواثيق الوطنية والداستير جاء في باب المبادئ والأهداف الأساسية لدستور سنة 1963 المادة 5 ما يلي:





اللغة العربية هي اللغة القومية والرسمية للدولة³

وتم تأكيد هذا الأمر في دستور 1976 ضمن المبادئ الأساسية لتنظيم المجتمع الجزائري ضمن المادة الثالثة (3) التي نصت: على أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية⁴، وتؤكد الأمر نفسه في دستور 1989 في المادة الثالثة (3) نفسها⁵، وفي دستور 1996⁶، وفي دستور 2002⁷، ودستور 2008⁸.

ثم جاء قانون تعميم استعمال اللغة العربية في الجزائر رقم 91-05 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 هـ الموافق 16 يناير سنة 1991، ليجعل من استعمال اللغة العربية أمرا ملزما، إذ يقول في المادة (2):
اللغة العربية من مقومات الشخصية الوطنية الراسخة، وثابت من ثوابت الأمة يحسد العمل بها مظهرها من مظاهر السيادة واستعمالها في النظام العام.

وتقول المادة: 3 يجب على كل المؤسسات أن تعمل على ترقية اللغة العربية وحمايتها والسهر على سلامتها وحسن استعمالها.

المادة 4: " تُلزم جميع الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات على اختلاف أنواعها باستعمال اللغة العربية وحدها في كل أعمالها، من اتصال وتسيير إداري ومالي وتقني وفني. "

المادة 5: " تحرر الوثائق الرسمية والتقارير ومحاضر الهيئات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات باللغة العربية. "⁹

يتجلى من هذه الإطلالة القانونية أن جميع الدساتير الجزائرية أضفت طابع الرسمية على اللغة العربية، ويعني هذا ما يعنيه عظمة المكانة التي





تحظى بها هذه اللغة في نفوس الجزائريين، ويتجلى كونها لغة وطنية، لتعدد الوظائف التي تقوم بها على النحو الآتي:

1 - الوظيفة التعبدية: التي تعني أن كل الجزائريين دون استثناء مضطرون إلى استعمال اللغة العربية في أوقات متقاربة يوميا، وما أضافته هذه الوظيفة من تثقيف اجتماعي يخص معرفة الثقافة الإسلامية، وما يحيط بها من علوم ومعارف.

2 - وظيفة التثقيف الوطني: التي تعني بث ما يحتاج إليه من احتياج ضرورة لشدة ارتباطه بالأعمال التعبدية، ضمنه نجد علوم القرآن الكريم، وفقه العبادات والتعاملات، والسيرة، والحديث وعلومه، والعقيدة وأصولها.

3 - وظيفة الانسجام الاجتماعي: وتتمثل في حاجة الجزائريين إلى اللغة العربية باعتبار وظيفتيها السابقتين، وهي من هذا الجانب تجمعهم ثقافيا من حيث السلوك والفكر والعقيدة.

4 - وظيفة الاندماج الإقليمي والتواصل الدولي: كون اللغة العربية مستعملة إقليميا في جميع البلدان العربية التي تنتمي إليها الجزائر إقليميا، والبالغ عددها اثنين وعشرين بلداً، وأنها تحتل المرتبة الخامسة دوليا، باعتبار الناطقين بها على المستوى العالمي، وهي من اللغات الرسمية في الأمم المتحدة والوكالات التابعة لها، زد على ذلك أنها لغة إحدى الديانات السماوية الثلاث، ولغة حضارة يشهد لها التاريخ بالعظمة والتفوق في جميع العلوم ومناحي الحياة العامة.



وتنفرد اللغة العربية في الجزائر وغيرها من البلدان العربية بالقيام بكل هذه الوظائف دون أن تنافسها في ذلك أي من اللغات المحلية أو الأجنبية على الإطلاق، وذلك ما يفسر تعلق الجزائريين بها، باعتبارها لغة وطنية ورسمية، وثابت من ثوابت الدولة الجزائرية.

4 - من واقع الاستعمال الإداري للغة العربية في الجزائر:

رزق أحد المواطنين بنتا في أحد المستشفيات وقد سمتهما أمها ليلي، وفوجئ أبوها أن الاسم سجل في دفتر الحالة المدنية بالتاء المربوطة (ليلة)، فقصد إدارة البلدية بغية تصحيحه فتعجب منه الموظف قائلا: ما الفرق أن تكتب بالتاء المربوطة أو بالألف المكسورة، وأمام إصرار الوالد تم إرشاده إلى العدالة، وبقي يتردد بين مكاتب المحكمة والبلدية شهورا ومازال اسم ابنته بالتاء المربوطة، وهو يحكي ذلك بمرارة، خصوصا وأنه يشتغل معلما.

وتوصل أحدا لمواطنين بمقر سكناه بإحدى بلديات الجزائر بمراسلة إدارية من البنك، تصف تعامله المالي معها، وعلى الرغم من أن هذا المواطن يحمل شهادة جامعية تقدر تكوينه العلمي في اللغتين العربية والفرنسية؛ فإنه لم يتمكن من فهم مضمون المراسلة، حتى لجأ إلى إدارة البنك، وهذا لعدم وضوح الرسالة لغويا.

وتلقى مواطن ردا من شركة سونلغاز بشأن شكوى وضعها لدى مكتبها تخص طلب تعويض للملكية عقارية بنت الشركة فيها مولدا كهربائيا، وقد جاء الرد مكتوبا باللغة الفرنسية، فاضطر هذا المواطن إلى حمل الرسالة لأكثر من واحد آملا فهم مضمونها، علما أن هذا المواطن كتب طلبه باللغة العربية.





ويواجه الجزائريون مواقف عديدة، يضطرون فيها إلى التوقيع على عقود تأمين سياراتهم وممتلكاتهم لدى الكثير من شركات التأمين، وقد كتبت باللغة الأجنبية.

والمؤسف حقا أن الأمر لا يتوقف على الخطاب الإداري المكتوب بل يتعداه إلى الخطاب الشفهي، فكثيرا ما يخاطب المواطن الجزائري العادي في الكثير من الإدارات العمومية والخاصة والعيادات الطبية على السواء باللغة الفرنسية، ويبقى هذا المواطن يحملق بنظره، لا يدري كيف يرد وما يقول في هذا الموقف الذي وجد نفسه فيه، وقد صار الاعتقاد عند البعض أن الخطاب بلغة الأجنبي دليل على التعلم، والتحضر، خصوصا إن كان المسئولون في القطاعات الحساسة يشجعون ذلك.

وهناك ظاهرة أخرى استفحل أمرها كثيرا منذ سنين، فغالبا ما يجد الجزائريون أنفسهم في اجتماعات الإدارة الرسمية يحدث بعضهم بعضا بلغة فرنسية، يتلأأ كثيرون في التعبير بها عن أفكارهم ومواقفهم ويشرحون بها التعليمات والأوامر، وقد تعسر على بعض الحاضرين منهم فهم ما يدور في هذه الاجتماعات.

ومن قضايا القهر اللغوي التي يتعرض لها المواطنون الجزائريون؛ هو تراجع تعريب المحيط الذي باشرته الدولة في الثمانينات من القرن الماضي، والذي كان محط اعتزاز وفخر للجزائريين، فحيثما التفت تملأ عيناك الإعلانات والملصقات وعناوين المصالح المكتوبة باللغة الفرنسية، وحتى وإن كتبت باللغة العربية فالبعض منها غارق في الأخطاء، من ذلك أن إعلانا في أحد المستشفيات يشير إلى سن الأطفال الذين يسمح لهم





بالدخول لعيادة المرضى، صيغ كما يأتي: "يمنع دخول الأطفال التي يقل عمرهم على 12 سنين"

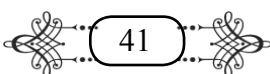
وكتب أحد الحرفيين لافتة تحدد مهنته فكتب "خباط" عوض خياط.
وتثير هذه النماذج من الحالات، وما أكثرها في ربوع الوطن تساؤلات
تؤرق ضمير المواطنة، منها:

- لماذا هذا الخرق القانوني للدستور الذي أجمعت عليه الأمة،
والذي ينص صراحة على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية
للجزائر.

- لماذا هذا السكوت والتهاون وانعدام أدنى جوانب الردع الممثل في
التنبية على أقل مستوى.

- لماذا تعتمد الإدارة الجزائرية إلى مخاطبة الجزائريين بلغة غير لغتهم
الوطنية الرسمية.

- لماذا تمارس بعض مرافق الإدارة الجزائرية القهر اللغوي على
المواطنين الجزائريين في الجزائر العربية الإسلامية، والتي أكد
الميثاق الوطني لسنة 1976 على أنها إسلامية الروح عربية
اللسان جمهورية الطابع¹⁰، والسؤال الأغرب الذي يطرح نفسه:
ماذا يجني هؤلاء الذين يدفعون الإدارة الجزائرية إلى هذه
الممارسة؟ ومن يقف وراء هذا السلوك ولماذا؟ ولصالح من؟.





إن هذا التساؤل وجيه إذا علمنا أن المواطن الجزائري يحرم في العديد من الحالات من التواصل مع إدارته الجزائرية، والوصول إلى المعلومات التي يرغب فيها، والتي تهم صحته ورزقه وممتلكاته، بلغته الوطنية.

وإن هؤلاء الذين يأمرن بتحرير المراسلات والوثائق الإدارية والمستندات باللغة الفرنسية يعلمون كل العلم إنهم إنما يرسلون مواطنين جزائريين معظمهم لا يعرف اللغة الفرنسية، ولا يتقن التواصل بها، وهوليس مطلوب منهم أن يعرفوها ولا أن يتقنوها ولا أن يتواصلوا بها، وهم يعلمون أيضا هؤلاء يعانون الأمر في فهم محتواها، وأنهم يتلمسون المساعدة لفهمها أو ترجمة مضامينها.

إن الوظيفة الأساسية للغة هي تحقيق التواصل التلقائي والطبيعي، ومن المعلوم جدا أن استعمال اللغة الأجنبية في المجتمع الجزائري العادي يعيق هذا التواصل بل لا يحققه، وقد يحرف دلالاته، لذلك جاءت النصوص القانونية التي فكر فيها مسئولو الأمة لهذا الهدف.

ومن العجب العجائب أن نجد البعض يتنكر لهذه النصوص من جهة، ولا يطبقها ويمارس القهر اللغوي على الجزائريين من جانب آخر، وينسلخ من ثقافته العربية الإسلامية التي توارثتها الأجيال وضعى من أجلها الجزائريون.

5 - تأهيل الإدارة الجزائرية لاستعمال اللغة العربية:

قد يبدو هذا العنوان محيرا لكثير من القراء؛ إذ كيف نهى الإدارة الجزائرية لتقبل اللغة العربية، وقد يطرحه البعض على النقيض من ذلك فيقول: تأهيل اللغة العربية للاستعمال في الإدارة، والتعليق الذي





نقدّمه هو أن اللغة العربية مؤهلة وقادرة جدا على القيام بوظيفة الإدارة في مختلف المؤسسات العمومية، والفضل كل الفضل يرجع إلى ما بذلته العديد من المؤسسات الوطنية والإقليمية والعربية في مجال التعريب، والعناية بالمصطلح الإداري، وترجمة العديد من القضايا التي تخص التسيير الإداري.

وإن الدارس لجهود لجان التعريب التي نصبت على مستوى الحكومات المتعاقبة في الجزائر، والأبحاث العلمية المنجزة في الجامعات ومراكز البحث العلمي، وكذا أعمال المجلس الأعلى للغة العربية منذ تأسيسه إلى اليوم، وأعمال لجان الجامعة العربية ومكاتبها، بالإضافة إلى ما قدمته الجامعات اللغوية العربية منذ تأسيسها إلى اليوم، فإن هذه الإنجازات كفيلة بصورة عالية لجعل اللغة العربية قادرة وبكل جدارة على القيام به و هو تطويع وتأهيل الإدارة، وليس للغة للاستخدام في الإدارة، ولا يخفى ما للإدارة من عادات وغرائز المحافظة على الموروث الذي يقف في وجه كل إصلاح، الأمر الأول هو توافر إرادة سياسية حازمة وواضحة لدى أصحاب القرار، والمبادرة لدى الفاعلين في هرم المسؤولية، والانتقال من تهميش اللغة الوطنية الرسمية إلى لغة احتضان حاملة لرسالة التواصل، وتجسيد العلاقات، وتقريب الإدارة من الجمهور، ذلك أن اللغة العربية في الجزائر = الفرد + المجتمع الانسجام الجمعي، بينما اللغة الفرنسية في الجزائر = الفرد + النخبة الطبقية¹¹، وإن الأمر في الحقيقة لا يحتاج إلى إضافة نصوص قانونية أو تنظيمية، فللجزائر كما أسلفنا رصيد تراكمي كبير، وترسنة من النصوص تكمن فيما قدمته سياسة التعريب التي انتهجت في الجزائر طيلة عقود عديدة من الزمن، ساهمت فيها الجهات





النافذة على مستوى مصالح الدولة السياسية والإدارية، ويوم أن توفرت الإرادة، فقد عربت العديد من الإدارات، ونجحت نجاحا باهرا، من ذلك قطاع العدالة في الجزائر، الذي يمكن أن يكون مضرب المثل من حيث التعميم والمستوى النوعي.

ومن الاقتراحات التي يمكن تقديمها أيضا من أجل تفعيل الإدارة لتقبل التعامل اليومي بالعربية نرى من الواجب:

1/ إلزام معدي الملفات الإدارية ذات الطبيعة التقنية الخاصة بتخصيص حيز للغة العربية، حتى عندما تكون الملفات موضوعة بلغات أجنبية.

2/ إنشاء لجان المتابعة والتقويم على المستوى المحلي، للنظر في الصعوبات التي تواجه الموظفين في تعميم استعمال اللغة العربية؛، فيما يخص المصطلح والصيغ، على أن ترفع هذه اللجان تقاريرها إلى المستوى الأعلى، ليتم بذلك تدارك هذا النقص، عن طريق الدراسة والمراجعة التي يتكفل بها المجلس الأعلى للغة العربية، أو الهيئات الأخرى المعنية.

3/ إشراك مختلف أجهزة الإعلام في العملية، فالإعلام يعد السلاح الرابع، وهو القوة المتقدمة للحياة اليومية، وعليه يقع عاتق التجنيد العام، وتعبئة القوى الحية للإقبال على تطبيق اللغة العربية في الإدارة، وبعث الغيرة في النفوس للاعتزاز بلغة الأمة والأجداد، وتبيان فضل تطبيق اللغة الوطنية على المجالين الاجتماعي والاقتصادي، فأى تنمية بلغة الغير مصيرها الفشل، وقد تأكد ذلك في جميع بلدان العالم التي فضلت لغة الغير على لغتها.





4/ ينبغي أن تتكفل الوزارات والجماعات المحلية بقضية تكوين الموظفين، كل في مستواه تكويننا عالياً، من أجل الاستعمال الأسلم للغة العربية؛ إملاء، ونحوًا، وصرْفًا. وتكوينًا يتيح لكل موظف فرصة التعامل مع الوسائل الحديثة والاستعمال الآلي للغة العربية في مجال التسيير الإداري.

الخلاصة:

إن قضية تطبيق اللغة العربية في الإدارة الجزائرية هي قضية قومية ووطنية، وهو مطلب لكل الجزائريين، أكدته جميع الدساتير، واتفقت عليه جميع المواثيق، وهو أمر طبيعي يفرض توطين العربية في بلادها، وما ذلَّ قوم إلا بقدر التفريط في مكتسباتهم الثقافية والدينية، والأمم الحية هي التي تعطي أهمية قصوى وعالية للغتها، ويجب أن لا يكون هذا الأمر مثار جدل ونقاش، فهي اللغة الأم، وشعوب العالم لا تطرح في أوطانها بديلًا عن اللغة الأم، لأنها مظهر من مظاهر الانسجام في المجتمع.

وتحقيقًا لهذا المطلب؛ يجب توافر إرادة سياسية صارمة لا تهادن كل متهاون، كما يجب تكثيف الجهود وتوحيد الرؤى حول منهجية واضحة المعالم، تأخذ في الحسبان الواقع الحقيقي لإدارتنا العمومية.





الهوامش

- 1 - ابن جني الخصائص، دار الكتاب العربي 31 / 1 / 1952.
- 2 - أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة، الكويت، 1995 ص 34.
- 3 - الدستور الوطني 1963.
- 4 - الدستور الوطني 1976.
- 5 - الدستور الوطني 1989.
- 6 - الدستور الوطني 1996.
- 7 - الدستور الوطني 2002.
- 8 - الدستور الوطني 2008.
- 9 - الجريدة الرسمية العدد سنة 1991.
- 10 - الميثاق الوطني 1986 ص 53.
- 11 - صالح بلعيد، قراءة معاصرة تنشُد التغيير، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر 2014 ص 102.

الأمثال العربية في معجم لسان العرب «إحصاء ودراسة»

د. أحمد بن عجمية (ج.حسبية بن بوعلي - الشلف).

تمثل الأمثال العربية التي حفل بها «لسان العرب» لإبن منظور، معجماً قائماً بذاته، وهذا لغزارة المادة، وتجاوزها لصفة الاستشهاد، وما صاحبها من شروح وتعليق، أردفها المؤلف بمعظم الأمثال التي أوردتها في معجمه «اللسان» إذ بلغ مجموع هذه الأمثال: ألفاً وخمسمائة وعشرين مثلاً،¹ وذلك في أبوابه الثمانية والعشرين، وكان باب (العين) أكثرها اشتمالاً على الأمثال بمجموع مائة وتسعين، يليه باب (الحاء) بمائة وثمان وثمانين، ويأتي باب (النون) في المرتبة الثالثة بمجموع مائة وستة عشر مثلاً، بينما نجد باب (الياء) أقل الأبواب اشتمالاً على الأمثال بأربعة أمثال فقط.

مصادر الأمثال في لسان العرب: اعتمد ابن منظور في إيراد الأمثال وشرحها على ما نقله من الأصول الخمسة التي صرح بها في مقدمة اللسان بالإضافة إلى عدد من كتب الأمثال، واللغة والأدب التي دونها العرب على مرّ العصور موسعاً بذلك دائرة استشهاده بالأمثال ضمن ما حصل عليه من روايات وأخبار، بما تتطلبه الرؤية العامة في بناء معجم «لسان



العرب» وحرصاً على الأمانة العلمية، يصرح ابن منظور بمصادر معظم أمثاله وشروحها، وذلك بذكر الكاتب أو العالم الذي أخذ عنه في منهجية غير مطّردة.

وفيما يلي المصادر التي اعتمد عليها ابن منظور:

1- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (282هـ/379هـ): قام المعجم على نظام صوتي للحروف بدأه الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه «العين» وقد جاء معجم «التهذيب» في ثمان وعشرين باباً وأكثر شواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف² وكثيرة مواضع استشهاد بن منظور بأمثال وشروح نقلها عن هذا المعجم من ضمنها «سمنكم هريق في أديمكم»³، «بعُثْتُكَ فادْرُجِي»⁴، «سواسية كأسنان الحمّار»⁵، «شر ما أشاء إلى مخة عرقوب»⁶، «ضيعت البكار على طحال»⁷

2 - المخصص والمحكم لابن سيده الأندلسي (ت 458هـ): فأما المخصص فقد أفرد ابن سيده فيه أبواباً كثيرة للحديث عن أبنية الأفعال والمصادر والأسماء، وتوسع في ذلك حتى شغل ما يقرب من أربعمائة وخمسين صفحة متتالية، بالإضافة إلى ما جاء متفرقاً في أماكن كثيرة⁸ وأما «المحكم» فقد جاء على ترتيب «العين»، وأضاف فيه بعض الاشتقاقات واتسمت مواده بالإيجاز والاختصار وتفادي التكرار وكان غنياً بشواهد الأمثال ومهمتها إلى حد ما بما شذ في اللغة⁹. ومن بين ما نقله ابن منظور من أمثال وردت في «المحكم»: «أغنى من التفة عن الرفة»¹⁰، «بين الحذيا وبين الخلصة»¹¹، «كل مجد بالخلاء مسر»¹²، «ذهبت هيف لأديانها»¹³، «لا تعجل بالإنباض قبل التوتير»¹⁴.



3 - الصحاح لأبي نصر الجوهري (332هـ/398هـ): و جمع فيه أربعين مادة من لغة العرب، سمع كثيرا منها مشافهة من الأعراب في بطن جزيرتهم، وكلماته مرتبة على حروف المعجم، لكن على حسب الحرف الأخير من الكلمة¹⁵، أما ما نقله ابن منظور من أمثال وشروح عنه فكثيرة، ومنه: «إن الموصين بنو سهوان»¹⁶.

«كَأَنِّي فَوْقَ أَقْبِ سَهْوٍ جَابٍ إِذَا عَشَرَ صَابَ الْأُزْنَانُ»¹⁷ متى كان حكم الله في كرب النخل»¹⁸، «لو كان عنده كنز النطق ما عدا»¹⁹، كمصبغ تمر إلى هجر»²⁰.

4 - «حاشية الصحاح» لأبي محمد بن بري (499هـ/582هـ): وصف ابن منظور عمل بن بري بقوله: «فتتبع ما فيه وأملى عليه أماليه مخرجا لسقطاته مؤرخا لغلطاته...»²¹ واضعا إياه في مصف المحققين لمعجم الجوهري، وهذه نماذج من أمثال نقلها وشرحها من «الحاشية»: «فلان يرعى وسطا ويربض حجرة»²²، «بالصرائم اعفر»²³، «لا تعلم العوان الخمرة»²⁴، «الفرار بقرب أكيس»²⁵، «أراك محسنة فهيل»²⁶.

5 - «النهاية» لأبي السعادات بن الأثير الجزري (544هـ/606هـ): هو كتاب في علم الحديث والآثار، جاء على حروف المعجم بالتزام الحرف الأول والثاني من كل كلمة واتباعها بالثالث، ومادته منها ما نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما نسبته للرواة²⁷، ومن بين ما أحاله ابن منظور إليه من أمثال: «قلبت لابن عمك ظهر المجن»²⁸، «شر الرعاة الحطمة»²⁹، «شوى أخوك حتى إذا أنضج أرمد»³⁰، «لأضربنكم ضربة غرائب الإبل»³¹.



6 - جمهرة اللغة لأبي بكر دريد (223 هـ/321هـ): عول على الكتاب « العين » للخليل، ورتب مواده ترتيباً أبجدياً أسهل من الأول، مبتدئاً بالثنائي من الألفاظ ثم ينتقل إلى الثلاثي ليصل إلى الخماسي والسداسي، وجمع النوادر في باب مفرد³²، ومن ضمن ما أخذه ابن منظور: «ما الخوافي كالقلبة ولا الخناز كالثعبة»³³.

7 - كتاب الأمثال لأبي عمرو بن العلاء (70 هـ/154هـ): 34 وهو كتاب وضع في العصر العباسي الأول على يد شيخ علماء العربية، أبي عمرو بن العلاء ويذكره الميداني في مجمعه³⁵، تناول الأمثال من جميع نواحيها تأصيلاً وتفسيراً³⁶، وأرجع إليه ابن منظور عدداً من الأمثال والتعاليق: «حسنني الرقي عليها المائة»³⁷، «أشأم من عطر منشم»³⁸، «اهتمزوا ذبيحتكم مادام بها طرق»³⁹.

8 - كتاب الأمثال للشرقي بن القطامي (ت 158 هـ): 40 وهو كذلك من كتب العصر العباسي الأول، جمع فيه أمثال الجاهلية وما رافقها من أخبار وقصص وأنساب، ترجع إلى العصر الجاهلي⁴¹ وهذا كتاب ذكره الميداني في مجمعه⁴²، وقد أحال إليه ابن منظور تعليقات عدة، منها ما جاء في المثل الجاهلي: «على أهلها تجني براقش»⁴³.

9 - كتاب الأمثال للمفضل بن محمد الضبي (ت 168 هـ): 44 وهو أول ما وصلنا إليه من كتب العرب في الأمثال، والأصل الذي بنى عليه مصنفو الأمثال كتبهم ومعاجمهم ضمّ مائة وستين مثلاً تقريباً، ملحقة بقصصها وأخبار أيام العرب⁴⁵، ومن ضمن ما جاء عنه في «اللسان»: «ما باع على بيعك»⁴⁶، و«لا مخبأ لعطر بعد عروس»⁴⁷، «لا حرّ بوادي عوف»⁴⁸، و«أنزلي ولو بأحد المغروين»⁴⁹، و«تمرد ما رد وعز الأبلق»⁵⁰.



10 - كتاب الأمثال ليونس بن حبيب الضبي (ت 183هـ):⁵¹ وسلك به صاحبه اتجاهها لغويا تمثل في تفسير الغريب وإيراد الشواهد الشعرية بالإضافة إلى ذكر موارد الأمثال وأصولها ومضارها⁵²، ومن بين ما أخذه ابن منظور عنه: «الحسوم يورث الحشوم»⁵³.

11 - كتاب الأمثال لمؤرخ السدوسي (ت 195هـ):⁵⁴ ورد في حجم صغير، وكان صاحبه لغويا، اهتم فيه أولا بالتفسيرات اللغوية للأمثال، وكان كثيرا ما يخرج عن الموضوع، كما اعتنى بالشواهد الشعرية⁵⁵، ومن ضمن ما جاء في «اللسان» عنه: «است البائن أعلم»⁵⁶، و«لا ماءك أبقيت ولا منك أنقيت»⁵⁷، و«نزو الفرار استجهل الفرار»⁵⁸.

12 - كتاب الأمثال للنضر بن شميل (ت 204هـ):⁵⁹ اتسم أكثر شيء بالجانب اللغوي والنحوي⁶⁰، وإن لم يرق إلى باقي المصنفات المؤلفة في الأمثال⁶¹، فقد اعتمده ابن منظور في إيراد شواهد الأمثال ومنها: «غمرا ودرهما لك، فإن لم تغمر فبعد لك»⁶²، «لا تقوم لفلان رابضة»⁶³، «إياك وكل قرن أهلب العضرط»⁶⁴.

13 - كتاب الأمثال لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 313/207هـ):⁶⁵ وكان من أعمدة كتب الأمثال العربية⁶⁶، أودع فيه صاحبه الأمثال وأصولها وتفسير ما كان غريبا منها، حافلا بالأشعار، وعلق على بعض الأمثال بالتوليد، وكان كتابه محبوبا على المعاني⁶⁷، وكان مرجعا مهما لابن منظور، حيث أخذ منه عديد الأمثال والشروح، نذكر منها: «رماه الله بثلاثة الأثافي»⁶⁸، «وضرب أخماس لأسداس»⁶⁹، و«قتلت أرض جاهلها، وقتل أرضا عالمها»⁷⁰.



14 - كتاب الأمثال لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت 215هـ):⁷¹

و هو على شاكله كتاب أبي عبيدة⁷²، وقد ذكره الميداني⁷³، ولابن منظور مواضع في معجمه، استشهد فيها بأمثال منقولة عنه: «سدك بأمرى جعله»⁷⁴، «كل دلي دونه دني»⁷⁵، و«أهون مظلوم سقاء مروب»⁷⁶، «أنا غيرك من هذا الأمر»⁷⁷.

15 - كتاب الأمثال لأبي سعيد بن عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت 216هـ):⁷⁸ وللأصمعي أقوال وآراء في تفسير الأمثال، نجد منها في كتب اللغة والأدب⁷⁹ وإليه ينسب كتاب في الأمثال، قال عنه حمزة الأصفهاني، إنه «لطيف الحجم، مقدم عشر ورقات»⁸⁰، بينما رأى عبد المجيد قطامش أنه كتاب كبير إلى حد ما أوسع من كتابي أبي عبيدة وأبي زيد، وبنفس منهج الآخرين في إيراد الأمثال⁸¹، ونقل عنه ابن منظور كثيرا من الأمثال والشروح، ناسبا إياها إلى كتابه في الأمثال، كما يذكر كتابا آخر للأصمعي سماه «كتاب الفرق»⁸²، ومن ضمن ما نقله عنه، نذكر: «إنما يعاتب الأديم ذو البشرة»⁸³، و«أكل ماله بأبدح و دبيدح»⁸⁴، و «شر ما أجاءك إلى مخة العرقوب»⁸⁵، و«هو على حبل ذراعك»⁸⁶، «عسى الغوير أبؤسا»⁸⁷.

16 - كتاب الأمثال لأبي الحسن علي بن حازم اللحياني (ت 215هـ):⁸⁸ وهو كتاب يقرب من كتاب الأصمعي⁸⁹، ومما أخذه ابن منظور عنه «لا أفعله ما أبس عبد بناقته»⁹⁰، و«أنت تتق و أنا مثق فكيف نتفق»⁹¹، و«مثقل استعان بذقنه و ذقنه»⁹²، «تحقره وينتو»⁹³، و«لا آتيك هبيرة بني سعد»⁹⁴.



17 - كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 223هـ)⁹⁵:
وجمع أمثالا عالجهما عدد من اللغويين وأهل الأدب والعلم، وقد أكثر من الشروح اللغوية للأمثال، مع بيان مضرها وموردها، كما اهتم أبو عبيد في هذا الكتاب بالحديث النبوي، وصنف الأمثال ما بين قديم، ومشهور، ومبتذل⁹⁶، أما ما نقله عنه ابن منظور فكثير نذكر منه: «هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه»⁹⁷، و«أفلت وانحص الذنب»⁹⁸، و«ماء ولا كصداء»⁹⁹، و«إنه لأخيب من شيخ مهو صفقة»¹⁰⁰.

18 - كتاب الأمثال لأبي عبد الله بن زياد بن الأعرابي (ت 230هـ)¹⁰¹: وسماه «تفسير الأمثال»، جاء في حجم كبير، شمل الكثير من الأمثال وما رافقها من بيان أصول ومضارب وتفسير للغريب وأشعار وآثار أخرى، ما جعله من أمهات كتب الأمثال في العصر العباسي الأول¹⁰²، ومن ضمن ما نقله ابن منظور عنه:

«فَلَا يَحْسَبُ أَنَّ دِمَاءَنَا حَقِينٌ فِي غَيْرِ مَرْبُوبَةٍ وَقَرٍّ»¹⁰³.

«فلان حور في محارة»¹⁰⁴، «أجر أمن فارس خصاف»¹⁰⁵، «عرفقره بفيه لعله يلبيه»¹⁰⁶، «أصابه منه ذباب لاذغ»¹⁰⁷.

19 - كتاب الأمثال لأبي يوسف يعقوب بن السكيت (ت 243هـ)¹⁰⁸: وهو مما ألف في العصر العباسي الثاني، نحابه ابن السكيت أكثر للدراسة اللغوية والنحوية¹⁰⁹، ومن بين ما أخذه ابن منظور عنه: «الرأي مخلوجة وليس بسكلي»¹¹⁰، «وافق شن طبقة»¹¹¹، و«سبق درته غراره»¹¹².



20 - كتاب الأمثال لأبي عمرو شمر بن حمدويه الهروي (ت 255هـ)¹¹³: وأوعز إليه ابن منظور عددا من الأمثال والشروح، نذكر منها على سبيل المثال: «آخر البز على القلوص»¹¹⁴، و«أكذب الآخذ الصباحان»¹¹⁵، و«إلى أمه يلهم اللهفان»¹¹⁶.

21 - كتاب الأمثال لأبي الهيثم الرازي (ت 276هـ)¹¹⁷: ونجد ابن منظور يستشهد بكثير مما نقل عنه: «جانيك من يجني عليك»¹¹⁸، «منك عيصك وإن كان أشبأ»¹¹⁹، و«أفصى علينا الشتاء»¹²⁰.

22 - كتاب الأمثال لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت 291هـ)¹²¹: وكثيرة هي المواضع التي نجدها في - اللسان - تنقل عن أبي العباس أمثالا وشروحا، منها «حزق غير»¹²²، و«عليك بالرائب في الأمور، وإياك والرائب منها»¹²³، و«لأفشن وطبك»¹²⁴.

23 - كتاب الأمثال لأبي طالب المفضل أو سلمة (ت 291هـ)¹²⁵. وسماه الفاخر فيما يلحن فيه العامة، موضوعه معاني ما يجري على ألسنة العامة في أمثالهم ومحاوراتهم، من كلام العرب، وهم لا يدرون معناه¹²⁶، ومن ضمن ما نقله ابن منظور عنه: «القيد والرتعة»¹²⁷، و«نام نومة عبود»¹²⁸، و«أنا النذير العريان»¹²⁹.

24 - كتاب الزاهر لأبي بكر محمد بن قاسم المعروف بابن الأنباري (ت 304هـ)¹³⁰: وهو (الزاهر في معاني كلمات الناس): احتوى ثمانمائة وستة وتسعين مثالا، كما ضم أقوالا وحكما كثيرة، عكف فيه على شرح الأمثال وإيراد شواهد الشعر، وروايات عن الأخباريين¹³¹، ومن بين ما جاء عنه في اللسان: «الصيف ضيعت اللبن»¹³².



25 - كتاب الأمثال لأبي المفضل محمد بن أبي جعفر المنذور (ت329هـ)¹³³: ومن بين ما جاء عنه في اللسان: «إنما طعام فلان القفعاء والتأويل»¹³⁴.

26 - كتاب التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي (350هـ-429هـ)¹³⁵: وجعله في أربعة فصول كبرى جمع ما هو إسلامي جاهلي، عربي عجمي، وملوكي سوقي، وخاصي عاصي، وأتى بها يتمثل من القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والزبور وجوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم، ورسل آخرين، ونهل منه كثير من مصنفي الأمثال لاحقاً¹³⁶، كنقول ابن منظور، ومنها «درى وختل الصيد»¹³⁷.

27 - كتاب المستقصى في أمثال العرب لأبي القاسم جارا الله محمود بن عمر الزمخشري (467هـ-538هـ)¹³⁸: وقام على ترتيب حروف المعجم، فصل كل باب فقدم في باب الهمزة إياه مع الألف عليه مع الباء واستمر على هذا النمط في أوساط الكلم وأواخرها ومتى تساوت صدور الأمثال¹³⁹، ومن ضمن ما أخذه ابن منظور عنه، «ضرب يعسوب الدين بذنبه»، وقد تخير ابن منظور في رواياته للأمثال في معجمه، رجالاً تتبع أسماءهم في شرحه، نوردهم فيما يلي مرفقين بأمثال ذكروا ضمن شروحها:

1 - أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري¹⁴⁰: «أنت في ضحائك بين القفعاء والتأويل»¹⁴¹، «مثلي مثل الأرقم، إن يقتل ينقم وإن يترك يلقم»¹⁴².

2 - أبو حنيفة الدينوري¹⁴³: «إنما يعاتب الأديم ذو البشرة»¹⁴⁴، «في كل شجر ناروا استمجد المرخ والعفار»¹⁴⁵.



- 3 - علي بن الحسن الأحمر (ت 194 هـ):¹⁴⁶ «ضل الدريس نفقه»¹⁴⁷، «الملسى لأعده له»¹⁴⁸.
- 4 - أبو محمد عبد الله بن سعيد الأموي :¹⁴⁹ « المالك ملك أمره»¹⁵⁰، «إنه لأعيا من باقل»¹⁵¹.
- 5 - أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت 207 هـ)¹⁵². «نار الجباحب»¹⁵³، «هنا وهنا عن جمال وعوعه»¹⁵⁴.
- 6 - هشام بن محمد بن السائب بن بشير الكلبي (ت 206 هـ)¹⁵⁵: « طارت بهم العنقاء المغرب»¹⁵⁶، «لا يكون ذلك حتى يؤوب القارضان»¹⁵⁷.
- 7 - أبو عمرو الشيباني (ت 206 هـ)¹⁵⁸: «أشأم من عطر منشم»¹⁵⁹.
- 8 - سيبويه (ت 180 هـ)¹⁶⁰. «إياي وأن يحذف أحدكم الأرنب»¹⁶¹، «كاتن هذا أيام الهدملة»¹⁶².
- 9 - زيد بن كثوة: « قرب الحمار من الردهة ولا تقل له ساء»¹⁶³، «إن من لا يعرف الوحي أحقق»¹⁶⁴.
- 10 - يزيد بن مرة: « أول الصيد فرع»¹⁶⁵.
- 11 - أبو العباس المبرد (210 هـ - 285 هـ)¹⁶⁶: «تحسبها حمقاء وهي باخس»¹⁶⁷، «تغافل كأنك واسطي»¹⁶⁸.
- 12 - الزبير بن بكار (ت 256 هـ)¹⁶⁹: «أساء سمعا فأساء جابة»¹⁷⁰، «هو أمطل من عقرب»¹⁷¹.



13 - أبو حاتم السجستاني (ت 250 هـ)¹⁷² : «أكل ماله بأبدح وديدح»¹⁷³ .

وبالإضافة إلى هؤلاء ، فقد أتى ذكر أبي سليمان الخطابي ، والكسائي ، والسيرافي و ابن السكيت ، ويزيد بن عبد الله الكلابي ، ومحمد بن خازم الباهلي .

وبإحصائنا لهذه المصادر ، نجد ابن منظور قد اعتمد سبعة معاجم لغوية ، وواحدًا وعشرين كتابًا في الأمثال ، وأكثر من تسعة عشر راويًا من خلال كتبهم اللغوية والأدبية.

ومن خلال هذه الدراسة التأصيلية لمصادر ابن منظور ، نجده قد سار في نهج مصنفي كتب الأمثال العربية وأخذ ممن سبقه ، وإحاطته بمعظم كتب الأمثال العربية. وذكر جماعة من الرواة نجدها متواترة في كثير من مصنفات الأمثال ، والجدير بالذكر ، أمام هذه النمطية في التأليف اعتماد ابن منظور كتاب «التمثيل والمحاضرة» لأبي منصور الثعالبي ، أهم كتب الأمثال المولدة رغم السمة الاحتجاجية لمعجم اللسان ، مما يحيلنا إلى وجود أمثال مولدة في ثناياها .

II. منهجية إيراد الأمثال وشرحها:

اتبع ابن منظور في إيراد الأمثال وشرحها منهجية غير مطردة ، وبتتبع مجمل الأمثال التي ذكرها في معجمه ، تتجلى لنا هذه المنهجية المتباينة في مايلي:



أ - سياق إيراد الأمثال : ساق ابن منظور الأمثال ، كغيرها من شواهد الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، والشعر والخطب ، في معرض بيانه لمداخل معجم - لسان العرب - ، وفي أول مثل يورده ، يأتي به في سياق حديثه عن المدخل - أبد - ونصه : «وقولهم لا أفعله أبد الأبدين ، كما تقول دهر الداهرين، و عوض العائضين ...»¹⁷⁴ ، - حيث اتبع المثل : « لا أفعله أبد الأبدين» بمثلين آخرين لشرحه ، ثم يأتي بمثل آخر لشرحه ، ثم يأتي بمثل آخر ، في قوله : « وقالوا في المثل : طال الأبد على لبد ، يضرب ذلك كل ما قدم والأبد : الدائم والتأبيد : التخليد»¹⁷⁵ ، قاصدا من هذا شرح المدخل - أبد - ، في جزئيه منه... فالأمثال في تصور ابن منظور تتعاضد مع باقي الشواهد ، وفي بناء مواد - لسان العرب - ، ضمن مختلف المستويات اللغوية والفنية .

ومجموع الأمثال الواردة في معجم ابن منظور وعددها، غير قائم على أي ترتيب ، مهما كان نوعه : سواء أكان ألفبائيا ، أم موضوعاتيا أو ما شابه ذلك ، فهي تابعة بالدرجة الأولى لورود المداخل وبيان معانيها.

ويصدر ابن منظور أمثاله بإشارات نصية ، تدل على ما سيأتي ذكره من تلك الإشارات:- وفي المثل - ، - والعرب تقول - وفي الأمثال ، وفي الأقوال السائرة ، ... وأحيانا يؤجل ذكر هذه الإشارات إلى آخر ذكر المثل وقصته ، فيقول - فصار مثلاً - ، أو فضربوه مثلاً ...- وما إلى ذلك من إشارات نصية

*.176

ب - منهجية ذكر مصادر الأمثال : اعتمد ابن منظور عددا معتبرا من المصادر ، أخذ عنها الأمثال ، وإن كانت كذلك ، فلا يقتصر نقله عنها على الأمثال فقط ، بل يشمل مختلف المواد الأخرى ، ولا تختلف منهجية



و ذكر مصادر هذه المواد بصفة عامة، عن منهجية ذكر مصادر الأمثال بصفة خاصة ، فتارة يصدر نص المثل بعنوان الكتاب الذي أخذ عنه ، وتارة أخرى بذكر اسم المؤلف ، أو الرأوية الذي نقل عنه ، وهذه الأخيرة، قد تكون باسمه المعروف في كتب التراجم والسير ، وقد تكون بكنيته .

أما المعاجم والكتب التي صرح بها في ثنايا ذكره للأمثال فهي :

التهذيب للأزهري ، والمحكم و المخصص لابن سيده ، و الصحاح للجوهري ، و الأمثال للأصمعي ، والفرق للأصمعي ، والأمثال لأبي زيد الأنصاري .

والتزام ابن منظور بهذه الأمانة العلمية ، جعله ، أحيانا يحدد مواضع نقله من تلك المصادر ، فيقول مثلا : «...وهذا المثل ذكره أبو عبيد في باب أخلاق الناس في اجتماعهم وافتراقهم...»¹⁷⁷، ويقول في موضع آخر : «..أبو زيد في باب الرجل الذليل المستضعف...»¹⁷⁸ ، وفي موضع ثالث : «... قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق»¹⁷⁹ .

ويدلل في بعض المرات على مواضع الأمثال ، المصادر الأخرى فيقول مثلا لدى شرحه للمثل القائل : « أطرِّي فإنك ناعله»¹⁸⁰ : «...وأحال الأزهري تفسير هذا المثل على موضعه في حرف الطاء - .

ج - منهجية شرح الأمثال : شرح ابن منظور معظم الأمثال التي ذكرها في معجمه ، و بين موردها ومضربها ، والقصة التي نشأت منها ، وعرف بأصحاب هذه الأمثال وطبائعهم ، و ما يذكره الناس عنهم و ما جاءت به الروايات عن حياتهم ، و ما يخص بنية تلك الأمثال ومعانيها، وقد تراوحت هذه الشروح ما بين الإطناب والإيجاز ، فبينما فصل في شرح الأمثال القائلة : «على أهلها تجنى براقش»¹⁸¹ ، «ندمت ندامة



الكسعي»¹⁸²، المؤمن يأكل في معي واحد والكافر في سبعة أمعاء»¹⁸³، و«حد أحد أوراء بندقة»¹⁸⁴، و«رجع بخفي حنين»¹⁸⁵ اكتفى بشرح بسيط موجز في أمثال أخرى، منه «مأتي أنت أيها السواء»¹⁸⁶ و«مر الصعاليك بأرسان الخيل»¹⁸⁷، و«بجدك لا بكذك»¹⁸⁸، و«هو أمسخ من لحك الحوار»¹⁸⁹، وكما أنه أحجم عن الشرح في أمثال أخرى، ربما لوضوح معناها، من بينها: «لا يصلح لا فيقا، من لم يبلغ ريقا»¹⁹⁰، «الهيبة خيبة»¹⁹¹، «لا تمش برجل من أبي»¹⁹².

وقد يذكره في موضع أول دون شرح، ثم يذكره في ثان، ويلحق به بعض الشروح والعكس صحيح، من أمثلة ذلك، «المعاذر مكاذب»¹⁹³، ورد معه شرح موجز في مدخل «عذر»، وورد من غير شرح في مدخل «كذب»، و«مع الخواطئ سهم صائب»¹⁹⁴، ورد بشرحه في مدخل «خطأ»، ومن غير شرح في مدخل «كذب»، و«الصدق ينبئ عنك لا الوعيد»¹⁹⁵، ورد من غير شرح في مدخل «صدق»، وبشرحه في مدخل «نبا»، و«ومرعى لا كالسعدان»¹⁹⁶، ورد غير شرح في مدخل «رعي»، وبشرحه في مدخل «سعد»، و«أسمع جعجعة ولا أرى طحنا»¹⁹⁷، ورد بشرحه في مدخل «جعع» ومن غير شرح في مدخل «طحن».

ويتجلى من خلال هذه النماذج أن ابن منظور كان يتحاشى تكرار بعض الشروح، ولكنه كان يلج ويؤكد على شروح بعض الأمثال ويكررها، فهو يذكر شرط البيت الشعري المتمثل من قول «خضرمي بن عامر الأسدي» متبعا بشطره الثاني في مدخل «بلل».

وَلَقَدْ طَوَيْتُكُمْ عَلَى بُلَلَاتِكُمْ وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ¹⁹⁸



ويكتفي بذكر الشطر المتمثل به فقط في مدخل « ذرب » ومرفقا بنفس الشرح في كلا المدخلين ، بدون أي إضافات وعلى أن هذا التكرار المنسوخ ، قليل الى حد ما في أمثال « اللسان » ، فالغالب ، هو إتيانه بشروح متعددة للمثل الواحد ، قد يجمعها في سياق واحد بما فيها من آراء وروايات ومسائل لغوية ، وقد يذكر بعضها في موضع ، وبعضها الآخر في موضع آخر مع نفس ذلك المثل المكرر .

وحين يورد المثل القائل : « عسى الغوير أبؤسا »¹⁹⁹ ، في مدخل « بأس » ينحو بالشرح الى الجانب الصرفي والنحوي ، مفصلا ذلك بإيراد آراء ، لابن بري ، وابن الكلبي ، وسيبويه في بيان أن « الأبؤس » جمع « بأس » ، ودلالة « عسى » ، على الطمع والإشفاق ، وبعد هذا ، يورد ، شرحين لمضرب المثل ومورده ، الأول لابن الأعرابي ، والثاني للأصمعي عائدا في نهاية الشرح الى الحالة الإعرابية لـ « أبؤسا » قائلا بالنصب على أنه خبر عسى .

ويكتفي لدى عرضه لهذا المثل في مدخل « عسى » ، بشرح موجز للغاية ، نحوي الدلالة ، نصه : « أي كان الغوير أبؤسا » ، بينما يورد في ثالث موضع يذكر فيه هذا المثل في مدخل « غور » ثلاثة أقوال في بيان أصل هذا المثل وقصته ، وهي الأصمعي ، ولأبي عبيد ، ولابن الأثير .

وفي نموذج آخر ، يورد ابن منظور المثل القائل : « أحشفا وسوء كيلة »²⁰⁰ في موضعين مختلفين ، الأول في مدخل « حشف » ، ويقصر شرحه على كلمة « الحشف » ، وهو التمر الذي لم ينم ، فإذا يبس وفسد صار بلا طعم ولا لحاء ولا حلاوة « بينما يقوم ببيان معنى المثل في الموضع الثاني ، في مدخل « كيل » ، مردفا إياه بقول للحيان ضم روايتين أثنيتين لكلمة « كيلة » ، كجانب اشتقاق لها : « وكيل ومكيلة » .



و في نموذج ثالث ، يورد ابن منظور المثل القائل : « الأبد على لبد»²⁰¹ متبوعا ببيان مضربه في مدخل « أبد» ، ويذكر قصته في مدخل «لبد».

والظاهر في شروح ابن منظور أنه ينوعها وينوع مصاردها بغية توسيع أفق القارئ ، وإعطائه أكثر من شرح للمثل الواحد ، في موضعه أو مواضع تكراره فهو لدى شرحه للمثل القائل : « إنما يعاتب الأديم ذو البشرة»²⁰² يغير مصدر شرحه وإن لم يختلف الشرح ، في موضعين مختلفين يأتي بشرح نقله عن الأصمعي في مدخل « آدم» ، ويشرح مقارب له لبني حنيفة في مدخل « بشر» ، وفي شرحه للمثل القائل : « لو كان عنده كنز النطق ما عدا»²⁰³ ، و يأتي برأين متكاملين للجوهري وابن بري في نفس السياق ، غير أن هذا التوافق المبدئي في الآراء التي يوردها في شرح أمثاله يبقى ضئيلا ، أمام عدد لا بأس به من الآراء والروايات المختلفة ، حول بنية المثل وصيغته وقصته ومعناه ، وهذا لأسباب متعددة ، منها : كثرة التداول واختلاف اللهجات وغيرها²⁰⁴ ، وابن منظور وقف على هذه الروايات المختلفة ، وذكرها ، ورجح في بضع مواضع رواية دون أخرى ، وفق حجج يذكرها برهانا على رأيه ، والغالب إمساكه عن إطلاق الأحكام ومن هذه الاختلافات ما جاء في شرح المثل القائل : « على أهلها دلت براقش»²⁰⁵ ، فيأتي برواية أخرى لنص المثل عن « ابن هاني» ، في قوله : قال ابن هاني : زعم يونس عن أبي عمرو أنه قال هذا المثل : «على أهلها تجني براقش» ، وبعد هذا يبدأ في شرح المثل ، بإيراد خمسة أقوال في هوية « براقش» وهي بإيجاز :



- 1 - قول أبي عبيد بأنها كلبة .
- 2 - وقول « حمزة بن بيض » بأنها كلبة ايضاً .
- 3 - وقول « الشرقي بن القطامي » بأنها امرأة لقمان بن عاد .
- 4 - وقول « أبي عبيدة » بأنها ابنة ملك قديم .
- 5 - وقول « أبي حاتم عن الأصمعي » عن أبي عمرو بن العلاء بأنها مدينة .

وهذا الترتيب أورد ابن منظور هذه الأقوال مفصلة ، دون أن يرجح قولاً على آخر في هذا المثل ، وفي موضع آخر ، يذكر المثل القائل : « الظمأ القامح خير من الري الفاضح »²⁰⁶ ، عن « الليث » ، ليردفه برأي معاكس للأزهري ، نصه : « لكن الأزهري قال بأنه خلاف ما سمع عن العرب ، والمسموع منهم : الظمأ الفادح خير من الري الفاضح ».

ولدى شرحه للمثل القائل : أشأم من عطر منشم²⁰⁷ ، يورد اثني عشر قولاً في هوية « منشم » ، وهي باختصار :

- 1 - قول غير منسوب لأحد من العلماء - يرى بأنها امرأة عطارة من همدان .
- 2 - و قول عمرو بن العلاء بأنها تعني الشربعينة ، فهي لديه ليست امرأة .
- 3 - وقول ابن الكلبي بأنها امرأة عطارة من حمير .
- 4 - و قول الجوهري بأنها امرأة عطارة من مكة .



- 5 - وقول بن بري بأنها الشربعينه ، على رأي أبي عمرو بن العلاء .
- 6 - وقول غير منسوب لأحد من العلماء - بأنها شئ من قرون السنبل ، يقال له « البيش »
- 7 - وقول الأصمعي بأنها امرأة عطارة ، دون أن يسمي قومها .
- 8 - و قول أبي عمرو الشيباني بأنها امرأة عطارة من خزاعة .
- 9 - وقول هشام الكلبي بأن من قال منشم ، بكسر الشين ، فهي ابنة الوجيه من حمير .
- 10 - وقوله كذلك بأن من قال منشم ، بفتح الشين ، فهي امرأة عطارة من عوام الناس .
- 11 - وقول الكلبي ، بأنها امرأة من جرهم .
- 12 - وقول غير منسوب لأحد من العلماء - بأنها امرأة خانت زوجها ، ولها قصة .
- وقد أورد ابن منظور هذه الأقوال مفصلة ، من غير إبدائه الرأي في المسألة .
- ومن المواضع النادرة ، التي أصدر فيها حكما لصالح رأي على آخر ، ما أورده في شرح المثل القائل : « متى كان حكم الله في كرب النخل ؟ »²⁰⁸ ، حيث أتى بالمثل نقلا عن الجوهري ، مردفا إياه برأي مخالف للجوهري ، ينفي صفة المثل عن هذه العبارة وهو رأي ابن بري القائل : ليس هذا الشاهد الذي ذكره الجوهري مثلا وإنما هو عجزيت لجري ، وهو بكامله : « أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَتِي مَتَى كَانَ حُكْمُ اللَّهِ فِي كَرْبِ النَّخْلِ ؟²



ويمضي في سرد مناسبة هذا الشعر، ثم يعقب ابن منظور لصالح الجوهري، بقوله: «قلت: هذه مشاحة من ابن بري للجوهري في قوله: ليس هذا الشاهد مثلاً، وإنما هو عجز بيت لجري، والأمثال قد وردت شعراً وغير شعر، وما يكون شعراً لا يمتنع أن يكون مثلاً»²⁰⁹، حيث عرض الرأيين على اختلافهما، ثم قضى بموضوعية رأي الجوهري وصلاحيته على رأي ابن بري.

وعرض ابن منظور لمختلف الروايات أحياناً لأمرين متناقضين، فهو في مواضع يذكر الروايات دون نسبتها لأحد من العلماء، من أمثلة ذلك، ما جاء في شرح المثل القائل: «إنه ليكسر عليك أوعاظ النبل غضباً»²¹⁰، حيث أتى بشرحين مختلفين، من غير أن ينسب أحدهما، إلى عالم أو كتاب، أو مذهب ما، مبتدئاً ذلك بقوله: «..و قد فسر على وجهين...». ويقوم في مواضع أخرى بذكر سند روايته بالتواتر، عالماً عن عالم، ومن أمثلة ذلك: شرحه للمثل القائل: «ليس في كل حين أحلب فأشرب»²¹¹ فيذكر في شرحه: «قال الأزهري: هكذا رواه المنذري عن أبي الهيثم»، وفي مثل آخر: «جستموني ووراء الأكمة ما وراءها»²¹²، يقول: «... وروى ابن هانئ عن زيد بن كثوة..» كما انتهج ابن منظور في شرحه للأمثال، نهجاً آخر، فشرح المثل بمثل ثانٍ دون إضافة تعليق ما، ومن أمثلة ذلك، شرحه للمثل القائل: «إن الكذوب قد يصدق»²¹³، بمثل آخر فيقول: «وهو كقولهم: مع الخواطي سهم صائب»، وقد نعلل هذا بورود المثل الأخير بشرحه قبل هذا في مدخل «خطأ»²¹⁴ ما جعل فهمه ينتقل بالضرورة إلى المثل الجديد المشروح به، ولكنه قام في موضع آخر بشرح مثل عربي، بمثلين آخرين ولم يشرحاً من قبل في «اللسان» كما جاء في شرح المثل القائل: «عاط بغير أنواط»²¹⁵ حيث فسر معناه ابتداءً ثم قال: «... وهذا نحو قولهم: كالحادي وليس له بعير، وتجشأ لقمان من غير شبع».



وأحيانا يتم شرح المثل بمثل ثان يشرحه ويتم شرح المثل الثاني بمثل آخر يشرحه في نفس السياق، وهذا ما جاء في شرح المثل القائل: «ولقد طويتكم على بلالاتكم»²¹⁶، حيث أتم شرحه بمثل ثان: (اطو الثوب على غره)، فسر معناه وأردفه بمثل آخر: (اطو السقا على بلله) وفسره كذلك .
و يثير ابن منظور في شرح الأمثال مسائل عدة – وهذا سمت شراح الأمثال في مصنفاتهم- من تلك المسائل ما كان نحويا ، أو صرفيا ، أو صوتيا.

و من المسائل النحوية ، التي ناقشها ابن منظور، وفق ما أورده من روايات، ما جاء في شرح المثل القائل: «عسى الغوير أبؤسا»²¹⁷ موضحا الحالة الإعرابية لـ أبؤسا بلفظة: «...وانتصب على أنه خبر عسى»، وفي شرح مثل آخر: «وجه الحجر وجهه»²¹⁸، يبين موقع كلمة « الحجر » من الإعراب ، بلفظة: «...فنصب بوقوع الفعل عليه...»²¹⁹.

كما تطرق ابن منظور إلى قضايا صرفية، ومنها ما جاء في شرح المثل القائل: «ماز رأسك والسيف»²²⁰، فقال: «... وماز: ترخيم مازن»، وفصل في موضوع الاشتقاق على لسان « أبي العباس ثعلب » في شرح المثل القائل: «استنوق الجمل»²²¹، فقال: « ولا يقال استناق الجمل إنما ذلك لأن هذه الأفعال المزيدة... افتعل واستفعل، إنما تعتل باعتلال أفعالها الثلاثية البسيطة التي لا زيادة فيها، كاستقام، إنما اعتل لاعتلال قام...» .

و لم يغفل ابن منظور الجانب الصوتي في الأمثال إذ ضبط حركة أواخر الكلمات وفق ما أورده من روايات، و من أمثلة ذلك ، ما جاء في سياق شرح المثل القائل: «إنك كالبائع الكبة بالهبة»²²² حيث قال: ... منهم من رواه: لكالبائع الكبة بالهبة بتخفيف البائين من الكلمتين... أبوزيد في هذا المثل شدد الباءين من الكبة و الهبة...» وفي شرح للمثل القائل:



«الكلاب على البقر»²²³ ، قال: «.. ترفعها وتنصبها»، أي أرسلها على حمار الوحش كذلك نجده لدى ذكره للمثل القائل: «ليس هذا بضربة لازب»²²⁴ وفي رواية مضافة يقول: «ليس هذا بضربة لازم»، يعلق عليه بالقول: يبدلون الباء ميمًا لتقارب المخارج...»

وعرج ابن منظور على لغة الأمثال، من ذلك ما جاء في شرح المثل القائل «أتى عليه ذو أتى على الناس»²²⁵ ، على لسان أبي منصور الأزهري: «وهي لغة طيء»، ونسب الأمثال إلى منطقة بعينها كالمثال القائل: «عير بعير وزيادة عشرة»²²⁶ حيث نسبه لأهل الشام.

وميز في مواضع أخرى بين ما يتمثل به لدى النساء ولدى الرجال ، كأمثل القائل: (إلا خطية فلا إليه)²²⁷ حيث يمضي قائلًا على لسان صاحب (التهذيب) « هذا المثل من أمثال النساء ...»²²⁸ .

واعتبارًا لكل ما ذكرناه ندرك تعامل ابن منظور مع الأمثال العربية في معجمه، وفق منهجية وسعت مناهج مصنفي كتب الأمثال السابقين في شرحها ، ودراسة مختلف المسائل اللغوية المتعلقة بها، ويمكن تلخيص منهجية إيراد الأمثال وشرحها في «لسان العرب» عبر النقاط التالية:

- 1 - المثل في معجم ابن منظور شاهد يعتد به في اللغة.
- 2 - أمثال «اللسان» غير خاضعة لأي ترتيب.
- 3 - تحري ابن منظور الأمانة العلمية، في ذكر مصادر أمثاله وشرحها في معظم استشاداته وإعراضه عن هذا في الشائع منها والمتبذل.
- 4 - تباين شروح ابن منظور ما بين الطول والقصر، وانعدامها في بعض الأمثال، وتوزيع الشروح في مواضع أخرى عند تكرار للأمثال، ونادرا ما كرر شروحه عبر المعجم.



5 - تعداد رواياته في شرح المثل الواحد ما أغنى مادته، ووسع الرؤية اللغوية للمثل.

6 - واهتمام ابن منظور ببيان مورد المثل ومضربه في أكثر إستهاداته.

7 - وعرض لكل الروايات المختلفة في المثل الواحد من دون تعصب أو إصدار أحكام له في هذه الروايات إلا نادرا.

8 - واختصار ابن منظور لبعض شروحه، بإيراد المثل تفسيراً لمثل آخر، معولاً على ثقافة القارئ وما سبق ذكره في أبواب «اللسان».

9 - وإثارة مختلف المسائل النحوية، والصرفية، والصوتية، واللغوية، في شروحه للأمثال.

10 - وتحديد المنطقة السكانية، التي نشأ فيها المثل المستشهد به في بعض المواضع.

11 - وتعيين الفئة البشرية التي تتعاطى مثلاً دون آخر في سياق بعض إستهاداته.



المصادر والمراجع

- (1) القرآن الكريم ، برواية: حفص عن عاصم.
- (2) أساس البلاغة ، الزمخشري ، تحقيق : محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ط3 ، 2003 م .
- (3) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية ، تعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- (4) الأمثال في القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة، بيروت لبنان، د/ط، 1981م.
- (5) أمثال العرب ، المفضل محمد الضبي، تحقيق: قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، لبنان ط1 ، 2003 .
- (6) الأمثال العربية القديمة ، ودولف زلهاييم ، ترجمة : رمضان عبد التواب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ط3 ، 1984 م .
- (7) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، سورية، ط2، 1988م.
- (8) الأمثال العربية ومصادرها في التراث، محمد ابو صوفة، مكتب الأقصى ، عمان، الأردن، ط1، 1982م.
- (9) الأمثال المولدة وأثرها في الحياة الأدبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع هجري ، فيصل مفتاح الحداد ، جامعة قاريونس ، بنغازي، ليبيا ، ط1 ، 1998 م.



(10) البيان والتبيين ، الجاحظ، قدم له : د/علي بوملحم ، دارو مكتبة الهلال، بيروت لبنان ، د/ط، 2002 م .

(11) تاج اللغة و صحاح العربية ، الجوهري ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار، القاهرة، مصر ، ط2 ، 1982 م .

(12) التعبير اللغوي في الأمثال القرآن الكريم، محمود السيد الحسن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د/ط، 2001 م.

(13) التوليد الدلالي، حسام الهندساوي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2003 م .

(14) الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ، حمزة بن الحسن الأصفهاني، تحقيق : د/قصي الحسين ، دارو مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 2003 م .

(15) شرح ديوان الأعشى: محمد محمود ناصر الدين، ودار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1993 م .

(16) الشعروالشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق: مفيد قميحة ومحمد أمين النضاوي ، دار الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2005 م .

(17) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ، مصر، ط5، 1998 م .

(18) علم الدلالة ، كلود الجرمان، ريمون لوبلون، ترجمة: نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د/ط، د/ت.



- (19) الفاخر في الأمثال ، أبو سلمة الكوفي الضبي ، تحقيق : قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003 م .
- (20) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيدة البكري ، تحقيق : قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 2003 م .
- (21) الفهرست ، ابن النديم ، تحقيق: يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط 2 ، 2002 م.
- (22) كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 2 ، 1990 م .
- (23) لسان العرب، ابن منظور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت، لبنان ، ط 3 ، 1993 م.
- (24) مجمع الأمثال ، الميداني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، د/ت.
- (25) مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام ، إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2002 م.
- (26) المعاجم اللغوية العربية ، إميل بديع يعقوب ، بداءتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، ط 1 ، 1981 م .
- (27) الأمثال في القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة، بيروت لبنان، د/ط ، 1981 م.
- (28) المعجم المفصل في اللغوين العرب، إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1997 م .





(29) موسوعة الأمثال القرآنية، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1994م.

(30) وحي الرسالة ، - أحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة، مصر، ط2، 1966م .

الهوامش:

- 1 - وذلك دون احتساب الأمثال المكررة في أبواب المعجم.
- 2 د/ ايميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بداءاتها وتطورها، ص59-58.
- 3 لسان العرب، آدم، ج1، ص96.
- 4 - المصدر نفسه، درج، ج4، ص319.
- 5 المصدر نفسه، سوا، ج6، ص443.
- 6 المصدر نفسه، شأي، ج7، ص11.
- 7 المصدر نفسه، طحل، ج8، ص130.
- 8- أحمد مختار محمد، معاجم الأبنية في اللغة العربية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1995م، ص207.
- 9 بلعيد صالح، مصادر اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د/ط، 1994م، ص80.
- 10 - لسان العرب، تفق، ج2، ص38.
- 11 - المصدر نفسه، حذا، ج3، ص99.
- 12 - المصدر نفسه، سرر، ج6، ص238.
- 13 - المصدر نفسه، هيف، ج15، ص181.
- 14 - المصدر نفسه، وتر، ج15، ص208.
- 15 د/ حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، ص110.



- 16 - لسان العرب، سها ج 6، ص 414.
- 17 - لسان العرب، صوت، ج 7، ص 455.
- 18 - المصدر نفسه، كرب، ج 12، ص 58.
- 19 - المصدر نفسه، نطق، ج 14، ص 188.
- 20 - المصدر نفسه، هجر، ج 15، ص 36.
- 21 - المصدر نفسه، المقدمة، ج 1، ص 18.
- 22 - المصدر نفسه، حجرن ج 3، ص 58.
- 23 - المصدر نفسه، صرم، ج 7، ص 333.
- 24 - المصدر نفسه، عون، ج 9، ص 485.
- 25 - المصدر نفسه، قرب، ج 11، ص 86.
- 26 - المصدر نفسه، هيل، ج 15، ص 182.
- 27 - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث و الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، د/ط 1979م، مقدمة المؤلف، ج 1 ص 2.
- 28 - لسان العرب، جنن، ج 2 ص 387.
- 29 - المصدر نفسه، حطم، ج 3 ص 227.
- 30 - المصدر نفسه، رمد، ج 5 ص 311.
- 31 - المصدر نفسه، غرب، ج 10 ص 39.
- 32 - د/ حسن ظاظا، كلام العرب نت قضايا اللغة العربية، ص 108.
- 33 - لسان العرب، ثعب، ج 2 ص 98.
- 34 - د/ إيميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في اللغويين العرب، ج 1 ص 242.
- 35 - الميداني، مجمع الأمثال، المقدمة، ج 1 ص 12.
- 36 - د/ عبد الحميد قطامش، الأمثال العربية، ص 47.
- 37 - لسان العرب، رقا، ج 5 ص 264.



- 38 - المصدر نفسه، نشم، ج 14 ص 152.
- 39 - المصدر نفسه، هزم، ج 15 ص 92.
- 40 - ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان\ ن ط 2\ ن 2002م، ص 144.
- 41 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 47/ 48.
- 42 - الميداني، مجمع الأمثال العربية، ج 1 ص 12.
- 43 - لسان العرب، برقش، ج 1 ص 385.
- 44 - ابن النديم، الفهرست، ص 108.
- 45 - المفصل محمد الضبي، أمثال العرب، تحقيق د/ قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ص 18-10.
- 46 - لسان العرب، بيع، ج 1 ص 557.
- 47 - المصدر نفسه، عرس، ج 9 ص 131.
- 48 - المصدر نفسه، عوف ج 9 ص 478.
- 49 - لسان العرب، غرا، ج 10 ص 63.
- 50 - المصدر نفسه، مرد، ج 13 ص 71.
- 51 - ابن النديم، الفهرست، ص 66.
- 52 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 52.
- 53 - لسان العرب، حشم، ج 3 ص 192.
- 54 - ابن النديم، الفهرست، ص 76.
- 55 - رودلف زلهائم، ترجمة رمضان عبد التواب، الأمثال العربية القديمة، ص 81.
- 56 - لسان العرب، سته، ج 6 ص 172.
- 57 - المصدر نفسه، سته، ج 6، ص 172.



- 58 - المصدر نفسه، فرر، ج 10 ص 218.
- 59 - ابن النديم، الفهرست، ص 81، 82.
- 60 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 62.
- 61 - المرجع نفسه، ص 61.
- 62 - لسان العرب، بعد، ج 1 ص 442.
- 63 - المصدر نفسه، ربض، ج 5 ص 111.
- 64 - المصدر نفسه، عضرط، ج 9 ص 256.
- 65 - ابن النديم، الفهرست، ص 84، 85.
- 66 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 65.
- 67 - المرجع نفسه، ص 64.
- 68 - لسان العرب، ثفا، ج 2 ص 110.
- 69 - المصدر نفسه، خمس، ج 4 ص 215.
- 70 - المصدر نفسه، قتل، ج 11، ص 35.
- 71 - ابن النديم، الفهرست، ص 85، 86.
- 72 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 66.
- 73 - الميداني، مجمع الأمثال، المقدمة، ج 1 ص 12.
- 74 - لسان العرب، جعل، ج 2 ص 302.
- 75 - المصدر نفسه، دنا، ج 4 ص 420.
- 76 - المصدر نفسه، روب، ج 4 ص 354.
- 77 - المصدر نفسه، غرر، ج 10 ص 42.
- 78 - ابن النديم، الفهرست، ص 87.
- 79 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 68.
- 80 - حمزة الأصفهاني، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، المقدمة، ص 25.





- 81 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 69، 70.
- 82 - لسان العرب، صأي ج 7 ص 267.
- 83 - المصدر نفسه، آدم، ج 1 ص 97.
- 84 - المصدر نفسه، بدح، ج 1 ص 337.
- 85 - المصدر نفسه، جيا، ج 2 ص 432.
- 86 - المصدر نفسه، جبل، ج 3 ص 29.
- 87 - المصدر نفسه، غور، ج 10 ص 144.
- 88 - ابن النديم، الفهرست، ص 76.
- 89 - حمزة الأصفاهي، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة
- 90 - لسان العرب، بسس، ج 1 ص 407.
- 91 - المصدر نفسه، تأق، ج 2 ص 8.
- 92 - المصدر نفسه، ذقن ج 5 ص 47.
- 93 - المصدر نفسه، نتا، ج 14 ص 37.
- 94 - المصدر نفسه، هبر، ج 15 ص 16.
- 95 - ابن النديم، الفهرست، ص 113.
- 96 - أبو عبيدة البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق : د/قصي الحسين، دارومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط 1، 2003م، ص 7.
- 97 - لسان العرب، جني، ج 2 ص 393.
- 98 - المصدر نفسه، حصص، ج 3 ص 204.
- 99 - المصدر نفسه، صدأ، ج 7، ص 296.
- 100 - المصدر نفسه، مها، ج 3 ص 215.
- 101 - ابن النديم، الفهرست، ص 109.
- 102 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 78-79.



- 103 - لسان العرب، بجر، ج 1 ص 317.
- 104 - لسان العرب، حور، ج 3 ص 384.
- 105 - المصدر نفسه، خصف، ج 4 ص 112.
- 106 - المصدر نفسه، عرر، ج 9 ص 126.
- 107 - المصدر نفسه، لدغ، ج 12 ص 265.
- 108 - ابن النديم، الفهرست، ص 109.
- 109 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 81، 83.
- 110 - لسان العرب، خلع، ج 4 ص 170.
- 111 - المصدر نفسه، شنن، ج 7 ص 170.
- 112 - المصدر نفسه، غرر، ج 10 ص 45.
- 113 - د/ إميل بديع يعقوب، المعجم المفضل في اللغويين العرب، ج 1 ص 291.
- 114 - لسان العرب، دهم، ج 4 ص 431.
- 115 - المصدر نفسه، صبح، ج 7، ص 272.
- 116 - المصدر نفسه، لهف، ج 12، ص 344.
- 117 - ابن النديم، الفهرست، ص 125.
- 118 - لسان العرب، جني، ج 3 ص 393.
- 119 - المصدر نفسه، عيص، ج 9 ص 499.
- 120 - المصدر نفسه، قصي، ج 10 ص 275.
- 121 - ابن النديم، الفهرست، ص 118.
- 122 - لسان العرب، حرق، ج 3 ص 153.
- 123 - المصدر نفسه، روب، ج 5 ص 354.
- 124 - المصدر نفسه، فشش، ج 10 ص 266.
- 125 - ابن النديم، الفهرست، ص 116.





- 126 - أبو سلمة الكوفي الضبي، الفاخر في الأمثال، تحقيق: د/قصي الحسين، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 07.
- 127 - لسان العرب، رتع، ج 5 ص 131.
- 128 - المصدر نفسه، عبد، ج 9 ص 15.
- 129 - المصدر نفسه، نذر، ج 14 ص 101.
- 130 - ابن النديم، الفهرست، ص 119.
- 131 - محمد أبو صوفة، الأمثال العربية ومصادرها في التراث، ص 67.
- 132 - لسان العرب، صيف، ج 7، ص 456.
- 133 - د/إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغويين العرب، ج 2 ص 98.
- 134 - لسان العرب، أول، ج 1 ص 269.
- 135 - د/إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغويين العرب، ج 1 ص 145.
- 136 - أبو منصور الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: د/قصي الحسين، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2003 م، ص 9.
- 137 - لسان العرب، ختل، ج 4، ص 24.
- 138 - د/إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغويين العرب، ج 1 ص 245.
- 139 - د/مصطفى الطاوي الجويني، قراءة في تراث الزمخشري، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، د/ط 1997 م، ص 197 ن 198.
- 140 - ابن النديم، الفهرست، ص 125.
- 141 - لسان العرب، أول، ج 1 ص 269.
- 142 - المصدر نفسه، نقم، ج 14 ص 272.
- 143 - ابن النديم، الفهرست، ص 124.
- 144 - لسان العرب، بشر، ج 1 ص 413.



- 145 - المصدر نفسه، مخ، ج 13 ص 69.
- 146 - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ج 4 ص 3.
- 147 - لسان العرب، درص، ج 4 ص 331.
- 148 - المصدر نفسه، ملس، ج 13، ص 175.
- 149 - ابن النديم، الفهرست، ص 76.
- 150 - لسان العرب، ملك، ج 13 ص 183.
- 151 - المصدر نفسه، بقل، ج 1 ص 645.
- 152 - ابن النديم، الفهرست، ص 105.
- 153 - لسان العرب، ححب، ج 3، ص 14.
- 154 - المصدر نفسه، هنا، ج 15
- 155 - ابن النديم الفهرست، ص 105.
- 156 - لسان العرب، عنق، ج 9 ص 434.
- 157 - المصدر نفسه، قرظ، ج 11 ص 177.
- 158 - ابن النديم، الفهرست، ص 107..
- 159 - لسان العرب، نشم، ج 14 ص 152.
- 160 - ابن النديم، الفهرست، ص 81.
- 161 - لسان العرب، حذف، ج 3 ص 93.
- 162 - المصدر نفسه، هدمل، ج 15 ص 57.
- 163 - لسان العرب، سأسأ، ج 5 ص 57.
- 164 - المصدر نفسه، وحي، ج 15 ص 242.
- 165 - المصدر نفسه، فرع، ج 10 ص 240.
- 166 - ابن النديم، الفهرست، ص 93.

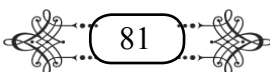




- 167 - لسان العرب، بخس، ج 1 ص 330.
- 168 - المصدر نفسه، وسط، ج 15 ص 297.
- 169 - ابن النديم، الفهرست، ص 177.
- 170 - لسان العرب، جوب، ج 2 ص 405.
- 171 - المصدر نفسه، عقرب، ج 9 ص 319.
- 172 - ابن النديم، الفهرست، ص 92.
- 173 - لسان العرب، بدح، ج 1 ص 337.
- 174 - لسان العرب، أبد، ج 1 ص 40.
- 175 - المصدر نفسه، أبد، ج 1 ص 40.
- 176 - حكمة العرب، وأقوالها، وكلماتها السائرة، تدخل في مجموعة الأمثال العربية، عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 16-27.
- 177 - لسان العرب، حلب، ج 3 ص 275.
- 178 - المصدر نفسه، روب، ج 5 ص 354.
- 179 - المصدر نفسه، نطف، ج 14 ص 188.
- 180 - المصدر نفسه، نعل، ج 14 ص 188.
- 181 - المصدر نفسه، برقش، ج 1 ص 385.
- 182 - المصدر نفسه، كسع، ج 12 ص 94.
- 183 - لسان العرب، معي، ج 13 ص 148.
- 184 - المصدر نفسه، حدا ج 3 ص 72.
- 185 - المصدر نفسه، حنن، ج 3 ص 370.
- 186 - المصدر نفسه، أتي، ج 1 ص 66.
- 187 - المصدر نفسه، رسن، ج 5 ص 216.
- 188 - المصدر نفسه، كدد، ج 12 ص 43.



- 189 - المصدر نفسه، مسح، ج 13 ص 102.
- 190 - المصدر نفسه، بلع، ج 1 ص 485.
- 191 - المصدر نفسه، خيب، ج 4 ص 256.
- 192 - المصدر نفسه، رجل، ج 5 ص 155.
- 193 - المصدر نفسه، عذر، ج 9 ص 108 ن كذب، ج 12 ص 51.
- 194 - المصدر نفسه، خطأ، ج 4 ص 134، كذب، ج 12 ص 51.
- 195 - المصدر نفسه، صدق، ج 7 ص 307، نبأ، ج 14 ص 30.
- 196 - المصدر نفسه، رعي، ج 5 ص 252، سعد، ج 6 ص 264.
- 197 - المصدر نفسه، جع، ج 2 ص 299، طحن، ج 8 ص 131.
- 198 -- المصدر نفسه، بلل، ج 1 ص 491، ذرب، ج 5 ص 31.
- 199 - لسان العرب، بأس، ج 3 ص 304، عسا، ج 9 ص 214، ج 10 ص 184.
- 200 - لسان العرب، حشف، ج 3 ص 190، كيل، ج 12 ص 203.
- 201 - المصدر نفسه، أبد، ج 1 ص 40، لبد، ج 12 ص 221.
- 202 - المصدر نفسه، آدم، ج 1 ص 97، بشر، ج 1 ص 413.
- 203 - المصدر نفسه، نطف، ج 14، ص 188.
- 204 - د/ عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، ص 226-216.
- 205 - لسان العرب، برقش، ج 1 ص 385.
- 206 - لسان العرب، قمح، ج 11 ص 289.
- 207 - المصدر نفسه، نشم، ج 14 ص 152.
- 208- لسان العرب، كرب، ج 12 ص 58.
- 209- لسان العرب، كرب، ج 12 ص 58.
- 210- المصدر نفسه، رعظ، ج 5 ص 245.
- 211 - المصدر نفسه، حلب، ج 3 ص 279.





- 212 - المصدر نفسه، أكم، ج 1 ص 173.
213 - لسان العرب، كذب، ج 12 ص 51.
214 - المصدر نفسه، خطأ، ج 4 ص 134.
215 - المصدر نفسه، نوط، ج 14 ص 328.
216 - المصدر نفسه، ذرب، ج 5 ص 31.
217 - المصدر نفسه، بأس، ج 1 ص 304.
218 - المصدر نفسه، وجه، ج 15 ص 226.
219 - المصدر نفسه، وجه، ج 15 ص 226،
220 - المصدر نفسه، نكد، ج 14 ص 333.
221 - المصدر نفسه، نوق، ج 14 ص 333.
222 - المصدر نفسه، كبب، ج 12 ص 8.
223 - المصدر نفسه، كلب، ج 12 ص 134.
224 - المصدر نفسه، لزب، ج 12 ص 271.
225 - المصدر نفسه، ذاوذوي، ج 5 ص 14.
226 - المصدر نفسه، غير، ج 9 ص 492.
227 - المصدر نفسه، حظا، ج 3 ص 232.
228 - المصدر نفسه، حظا، ج 3 ص 232.

العربية في ظل الإسلام؟

أ.د. عبد الجليل مرتاض (ج. تلمسان)

ما هي العربية؟

ليس من السهل إقامة تعريف بطرق قصيرة للعربية، غير أن التعريف الذي نريد أن نعرّف به العربية لا يعدو، وفي هذا المقام، أن يكون تعريفاً عادياً وليس تعريفاً فقهياً أو لسانياً، فللعربية تاريخ له ماض طويل ومجيد، وحضارة وتراث وتشابك مع بعض اللغات واللهجات القديمة في كامل الشرق الأدنى، ولاسيما فيما بين النهرين منذ عهد الأكاديين، وفي موطنها الذي عرفت به منذ ما قبل الإسلام ببعيد، والذي عرفت فيه كلغة حضارة وآداب وفنون وعلوم.

إن العربية التي نتكلم بها اليوم امتداداً لتكلم وتخطب أجدادنا بها منذ الفتح الإسلامي، هي إحدى اللغات السامية نسبة إلى سام بن نوح عليهما السلام، وكان أحد العلماء الألمان (شلوزر) أول من أطلق على اللغات التي كانت منتشرة "من المتوسط إلى الفرات، ومن بلاد ما بين النهرين إلى شبه الجزيرة العربية"⁽¹⁾ لغة سامية مستقياً ذلك من التوراة (سنة 1781). وهذه اللغة كانت في بدايتها لغة مشتركة بين كل الشعوب السامية مثل العبريين والبابليين والآشوريين والفينيقيين والعرب... باعتبار هذه



الشعوب وغيرها من الشعوب السامية القديمة كانت تشكل أمة واحدة، في حين أن المصريين وشعوب شمال إفريقية كانت تتكلم اللغة الحامية التي هي أخت للسامية، بل ذهب بعض الألمان (نولدكة) سنة 1887 إلى أن إفريقية في اعتقاده، هي الموطن الأصلي للساميين بسبب التشابه الكبير بين اللغتين الحامية والسامية، وفي القرن الماضي (العشرين) أخذ بعض الباحثين الغربيين (بارتون) باعتقاده⁽²⁾، بل لاحظنا في الآونة الأخيرة البعض يقيم مقارنة دلالية واشتقاقية بين بعض الألفاظ الحامية في الجزائر والعربية، مثلما فعل ذلك الدكتور عثمان سعدي.

وتحديد إفريقية كموطن أول للشعب السامي القديم تؤيده، العوامل الجيولوجية والطبيعية وقدم الحياة واستقرار القارة، ولاسيما في جنوبها، منذ عهد سحيق يتقدم وجود الساميين أنفسهم⁽³⁾، وتكون نتيجة هذا الاعتقاد أن إفريقية كانت تتكلم اللغة السامية القديمة التي يرجح جل الباحثين اللغويين (الفقليغين) أنها هذه العربية نفسها، باعتبار العربية هي اللغة الوحيدة التي لا تزال تضم كل خصائص اللغة السامية القديمة، وباعتبارها إحدى اللغات التي ظلت منعزلة – والانعزال هنا لا يعني الموت- عن العناصر اللغوية والاجتماعية الأجنبية (لا يدخل في هذا الاعتبار طبعاً العرب المتاخمون للأمم الأجنبية المحيطة بجزيرتهم، ولذلك لم يقبل الرواة والنحاة الاستشهاد بلغاتهم) في صحرائها بشبه الجزيرة العربية، وباعتبارها اللغة السامية الوحيدة التي ظهرت كلغة أدبية راقية قبل الإسلام، ثم لما جاء الإسلام كانت لغة قرآنه وقضائه ودولته وعباداته ومعاملاته وحضارته جميعاً، وبذلك زادها منعة وقوة، وأصبح الدرع التي تحميها من كل غزو وتجميد (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وفعلاً لقد برهن الإسلام في أحلك الظروف المتخاذلة، وفي أطول الفترات



التاريخية المتضاربة، وأمام أعتى وأقوى استعمار بشري وديني انحرافي حديث وقديم، وأمام أحدث لغات أجنبية وأكثرها سيطرة على العالم كله لأعدائه ومناصريه بأن لغته قوية ما دام الإسلام -وسيبقى- قوياً.

وحين بدأ يعتريها بعض الوهن والفتور من سقوط بغداد سنة 565هـ، وظهور الصليبيين منذ سنة 491 هـ في شن غاراته على المشرق العربي والإسلامي وكذا مغربه بعد فشلهم في المشرق، وبروز سياسة التتريك على أنقاض المماليك سنة 923هـ، إلى إقبال الاستعمار الغربي بقضيه وقضيضه لينتقم للدولة الرومانية التي احتضرت على يد أبناء الجزائر في المغرب وعلى يد خالد بن الوليد في اليرموك، لتغريب ما استطاع جزءاً أو أجزاء من العالم العربي، ومحاولة احتلال أرواحنا بعد ما حاول أن يعبث، دون أن يفلح، بأجسادنا، تدخل الإسلام بكل قواه الروحية السمحة ليقف مكشوف الظهر والصدر، وبكل تحدي وثقة، حاجزاً مانعاً كالطود الشامخ أمام كل التيارات الغربية المغرية مادياً والممسوخة روحاً وأخلاقاً، وأمام كل الشطحات المحلية الرجعية.

أثر الإسلام في تطور العربية:

إذا أردت أن تعلم الأسباب التي بها انتشرت العربية، فإنك لن تجد علة أقوى سبباً من انتشارها مع انتشار الإسلام، وإذا أحببت أن توجز أو تطنب عن سبب تطور العربية وما جد فيها من دلالات واشتقاقات ما عُرِبَ فيها ونُقِلَ إليها من كلمات، وأقيم حولها من دراسات لا تزال حتى اليوم الند العنيد لأحدث دراسات لسانية،... فإنك لن تجد سبباً أكثر دقة من تأثر هؤلاء وأولئك بالإسلام الذي خدمهم فأرادوا أن يخدموه، وأفهمهم بعد جهل فأحب الغيورون عليه أن يفهموه أمما إسلامية غير عربية، والذي



أنار للأولين منهم السبيل، فأراد التالون والتابعون أن يرسموا أبعاد هذا السبيل لخلفهم حتى لا يضلوا ولا يتخلفوا ولا يحاروا،... متى رغبوا أن يجتازوه طولا ويعبروه عرضا.

ورغم أن علماء العربية القدماء يجمعون على أن ما انتهى إلينا منها هو الأقل، كقول عمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلو بالجهاد وغزوا فارس والروم ولهيت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منهم أكثره"⁽⁴⁾ أو كقول أبي عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير"⁽⁵⁾ أو كقول ابن سلام نفسه: "ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد والذي صح لهما قصائد بقدر عشر، وإن لم يكن لهما غيره فليس موضعهما حيث وضعنا من الشهرة والتقدمة..."⁽⁶⁾، مع قرار بعض الفقلغيين (فقهاء اللغة) العرب له كقول ابن فارس: "ذهب علمائنا -أو أكثرهم- إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل... وأحرى بهذا القول أن يكون صحيحاً، لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب، فلا يكاد واحد منهم يخبر عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان..."⁽⁷⁾.

ورغم أن هناك تراكيب وألفاظا بعينها قد كانت فزالت بزوال العصر الجاهلي ومجيء الإسلام، مثل: أنعم صباحا، وأنعم ظلاما، وأبيت اللعن، وقول المملوك لمالكه: ربي، وتركهم مناداة من لم يحج: صيرورة لنهي النبي



(صلى الله عليه وسلم) عن هذا: "لا صيرورة في الإسلام"،...⁽⁸⁾ وغير هذا من أساليب وكلمات كثيرة، فإن ما جاء به الإسلام وعوضه العربية كان يشكل أضعاف أضعاف ما فقد أو هجر أو أهمل، ويكفي هنا أن نستدل بالفقيلخي العربي ابن فارس "إذ يقول: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم، في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرايبهم، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زیدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول،... فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والعلم والكافر والمنافق،..."⁽⁹⁾ فكانت هذه الكلمات تدل على دلالات فأضحت تدل على دلالات جديدة (فعفى الآخر الأول)، وانظر إلى كل أو بعض الكلمات الفقهية، وإلى ما شرعته التشريعات الإسلامية، وانظر إلى كل المصطلحات اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية، وتأمل في كل أو بعض ما جد في الحضارة الإسلامية من أسماء في الفنون والعلوم والفلسفة والنظم الإسلامية من مصطلحات عسكرية ومدنية وقضائية وبريدية وديوانية، وفي كل حقل من حقول البحث العلمي،... تقف حائراً مشدوداً إلى تفسيرات قد تحلق بك في الماورائيات من أجل تصديقها وقبولها، إذا لم تعرف مصدرها الحقيقي والمباشر ألا وهو الإسلام.

إن أثر الإسلام في اللغة العربية كان أمراً طبعياً بأن يثرها ويطورها ويطوعها، لأن أي مدلول أو مستحدث في المجال التكنولوجي مهما كان نوعه فهو ليس شيئاً ليعجز العربية أمام قدرة هذه اللغة على سعة واستيعاب كلام الله لفظاً لفظاً وآية آية، أم هناك تكنولوجيا أوسع مدلولاً من مداليل القرآن، وأقصى حاجة من حاجات القرآن الذي لم تعجز هذه اللغة عن نظمته وتبليغه وتفهمه، وإن كنا لا ننكر بأن سر النظم راجع إلى البناء القرآني الداخلي، علاوة على عجزنا من الإتيان ببعضه



في بنائه الخارجي أيضاً، ورغم ذلك فإن قدرة العربية على احتوائها للقرآن الذي يعد أعظم وآخر مقياس من مقاييس قوة أو ضعف هذه اللغة أو تلك، تبدو حين يهيم أبرع واحد حاذق للغة أجنبية إلى جانب حذقه للغة العربية في ترجمة القرآن الكريم إلى هذه اللغة.

وأثر الإسلام راجع إلى أمر طبيعي أيضاً متعلق بروح الإسلام الذي هو قبل كل شيء دين وحضارة وعلم وتدبر ودعوة إلى البحث العلمي الجاد والأقصى، بل حتى تطبيق كل حركة من حركاته أو فرض من فروضه لا يكاد ينفصل عن العلم، فالإسلام والعلم كلاهما مرتبط بصاحبه، ولا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر، ولئن كنا نرى أن الإسلام لم يستغن ولن يستغني في يوم عن العلم، بينما العلم أمكن له مرحلياً أن ينفصل عن الدين، فإن هذا الأخير سوف يخضع إن أجلاً أو عاجلاً إلى الدين الصحيح ليستمد منه قوته الروحية والأخلاقية والإلهادية حين يصل إلى درجة معينة لا يطيق معها إلا الخضوع لهذا الدين أو التحطيم على نفسه وعلى البشرية جمعاء، ولن يجد عندئذ ديناً أحق بالخضوع إليه غير الإسلام لما يوجد بينهما من تآلف واتحاد في خدمة البشرية وإسعادها، فالإسلام ينير، ويهدي، والآخر يستنير فيمتهدي.

وحين نقول: أثر الإسلام في العربية، فإننا لا نتصور انفصام أو انقطاع اللغات العالمية عن هذا الأثر المتبادل بين أخذ حيناً وعطاء حيناً آخر، ولربما قد تكون استفادت هي من هذا الأثر أكثر من العربية نفسها، وهذا ما سنشير إليه ونمثل عليه قبل نهاية هذا الحديث، ومن هذا القبيل، باعتبار العربية قد احتوت على كل الحضارات الإنسانية القديمة والوسطى، وباعتبارها لم تقف مشدوهة أمام ما ترجمت، بل بعد استيعابها إياه هضماً وسعة طورته وزادت عليه زيادات شهدت به



الحضارة الحديثة، وباعتبارها تعتبر القنطرة الرابطة بين النهضة الغربية الحديثة والحضارات الإنسانية القديمة،... فإنه يباح لنا من هذه الوجهة القول بأن الإسلام كان ذا أثر، ولو بطريق غير مباشر في غير العربية أيضاً.

انتشار العربية:

لا أريد أن أتناول هذا الانتشار على نحو ما يتناوله لغوي من اللغويين فيدخل فيه عوامل متنوعة، لأن منهي في هذه الكلمة القصيرة واضح، وإن كنت أومن بأن هناك عوامل مساعدة لهذا الانتشار علاوة على العامل الرئيس ألا وهو الإسلام.

إن هذه العربية كان يتكلم بها قوم قليلون، يجهل عددهم أثناء مجيء الإسلام، داخل شبه الجزيرة العربية، وكان ناطقوها ينطقونها سليقة وجبلة، فلم تكن لها مدارس ولا مدرسون، ففصحى العرب قبل الإسلام وبعده، بقليل أو كثير (متفاوت حسب المناطق أو القبائل التي كانت عرضة للفساد السليقي أو في منعة عنه إلى وقت ما) كان يتعلمها الناس كما نتعلم نحن اليوم العامية سليقة من غير مدرسة ولا مدرسين، وليس من شأنى الحديث هنا عن الاختلافات بين الباحثين في هذه المسألة.

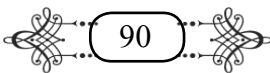
ولما أهل الإسلام، وجعل ينتشر، أخذت العربية تنتشر معه بسرعة مذهشة، وأقبل على تعلّمها حتى بعض من لم يعتنق الإسلام ديناً، لأن الدولة أصبحت عربية، والمصلحة الدنيوية كانت تقتضي من غير المسلمين أن يتقنوها حتى ينالوا مناصب راقية في الدولة العربية الإسلامية الفقهية، وما علمنا أحداً: عالماً ولا متعلماً، فقمها فيها ولا مرتزقاً بها،... شكا من تعلمها صعوبة، ولا حتى فكر في تفضيل بقايا لهجاته المحلية عليها أو مساواته بها، بعد تعلمه إياها.





كانت العربية تصطدم بلغات ولهجات محلية مفتوحة، فلم تكن تمضي إلا مهلة حتى تبتلعها الواحدة بعد الأخرى ابتلاع اقتناع ورضا وطيبة نفس من اللهجات أو اللغات المفتوحة، فإن لم تستشف منها هذا الاقتناع المطلق فإنها كانت لا تجبرها بل ولا تكرهها، وحتى المقتنعة منها فإنه ربما لم يكن يصدر ذلك الاقتناع عنها عفويا أو حتى من إعجابها بهذه اللغة الدخيلة عليها دخول أمن وسلام كلغة، لأنه من الصعب أن يستكين الند للند من أية ظاهرة اجتماعية واحدة، بقدر ما كان ينبعث من نفس معجبة بظاهرة لسانية كيف استطاعت أن تسع كل آيات ومعجزات هذا الكتاب الذي هو القرآن.

ولم تكن العربية تفرض أبداً على بلد مفتوح بأي مظهر من مظاهر العنف أو الجبروت أو الإرهاب أو التعصب للعرقية البغيضة، وإلا فكيف نفسر أن عدد المسلمين الذين ينطقون العربية أقل ممن يتكلمون غيرها؟ كما أننا كيف نفسر مظاهر البقايا اللهجية حتى في بلدان العالم العربية المتعربة؟ إن السكان المفتوحين إثر كل فتح عربي إسلامي مبارك كانوا يتهافتون شوقاً وطواعية على اعتناق لغة دينهم كما أقبلوا في الآن ذاته على اعتناق الإسلام نفسه، وفي هذا الشأن يقول أحد المستشرقين الروس (بارتولد: 1927): "ولم تكن غلبة اللغة العربية بعد ذلك بسلطان الحكومة بل بالاختيار، وكان انتشار اللغة العربية في الأقوام غير الإسلامية أمراً لا ترغب فيه الحكومة كثيراً، فمنع تكلم النصارى اللغة العربية وتعلّم أولادهم في مدارس المسلمين، ورغم هذه الحال صار الإسلام ديناً رغب فيه أكثر الشعب واتخذت الشعوب غير المسلمة اللغة العربية لغة لها. ويمكن تفسير رواج اللغة العربية هذا الرواج بأن العرب لم يعتمدوا على قوة السلاح فقط كالجرمان والمغول والإيرانيين القدماء، ولكنهم أنشأوا منذ القرن السابع الميلادي لغة أدبية متقدمة في ساحة الفكر تقدماً واضحاً"⁽¹⁰⁾.





فكان العرب يتجهون بعد كل فتح إلى تعريف البلاد، فقد حدث تعريب الدواوين منذ زمن عبد الملك بن مروان، فبدأ بتعريب دواوين الشام والعراق، وكان للحجاج فضل كبير على العربية في هذه العملية الرائدة، ثم عربت أنحاء الدولة الإسلامية كلها حوالي 124هـ، وكان للتعريب أثره الفعال في انتشار العربية بين المفتوحين⁽¹¹⁾، وكان الإسلام دائماً يسبق انتشار العربية، وربما انتشردون أن تنتشر لكون الإسلام دائماً يسبق انتشار العربية، وربما انتشردون أن تنتشر لكون الإسلام لم يشترط في معتنقه أن يكون متعرباً، ثم لأن الفاتحين العرب أو المتعربين منهم كانوا لا يشكّلون إلا أقلية ضئيلة بالنسبة لأهالي البلاد، وهي السُّنة التي سنّها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي هذه السُّنة من الذكاء ما لا يغرب عن بال أحد، ولكن لما كان القرار الذي أصدره المعتصم (218 هـ) بإسقاط أعطيات العرب من الديوان، جعل العربية والدين ينتشران أكثر، لأنه اضطر العرب إلى الاختلاط والتصاهر والتعامل أزيد وبطريق مفتوح أمام غير العرب.

ومما ساعد على انتشار العربية بالمغرب العربي أن مصر كانت قد أخذت سبيلها إلى التعريب التام بحيث أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للدواوين بمصر منذ سنة 87 هـ⁽¹²⁾، كما أن الفاتحين لهذا البلد لم يكونوا كلهم عرباً بل كانوا من أجناس شتى وحد بينهم الدين وصرهم في بوتقة واحدة لغة واجتماعاً وحقوقاً وواجبات، فشجعهم المعربون (بتشديد الراء وفتحها) إذاً من غير العرب على تعلم العربية، علاوة على شعورهم بالنقص والصعوبات في المعاملات الاجتماعية والحربية والسياسية والإدارية بينهم وبين الحكومة العربية الإسلامية الجديدة، إن هذه العوامل وسواها جعلت هؤلاء السكان يقبلون على العربية تعلماً وإتقاناً في ظرف قصير يدهش الجميع، ولكن هذه الدهشة لا تلبث أن



تزول حين نعلم السرعة المذهلة التي انتشرت بها هذه اللغة في المشرق وجزء كبير من آسيا ثم في جزء من أوروبا شرقاً وغرباً، بل إن هذه الدهشة تكون أكثر زوالاً حين نؤمن بأن العربية كانت تتلو دائماً الفاتحين -بشكل جزئي أو أعم- ولكنها لم تكن لترحل برحيلهم بل كانت تضرب بجرائها في أي بلد يحل به الدين الإسلامي، وسبب ذلك أن هذا الدين لم يكن يرحل مع الراحلين أو يضعف بضعفهم، ولأنه مرتبط باللغة ارتباطاً جوهرياً -رغم أنه لم يشترط في معتنقه العربية- وهذا ما يجب أن يرغب فيه كل مسلم إذا أراد أن يعرف دينه بغير واسطة، وما أكثر ما تكون هذه الواسطة أحياناً سبباً من أسباب ضعف العقيدة عند المسلم لجهله بلغة دينه، أو من أسباب فهم دينه فهماً كيفما اتفق، وهذا الجهل بالعربية من جهة، والإهمال غير المحسوب العواقب على المدى المتوسط من السلطات والحكومات العربية والإسلامية المركزية، هما اللذان تحصد الشعوب العربية والإسلامية نتائج الوخيمة منذ نهاية القرن الماضي إلى يومنا هذا، نتيجة لفتاوى ضالة ومضللة أعمت عقول وبصائر فئات شبابية مسلمة عالمياً بفضل استغلال وسائل الاتصال الحديثة، وإذ كنا لا ننكر أن هناك أسباباً أخرى لهذا التهور، فإن العامل الرئيس والجوهري إنما يكمن كموناً خفياً وقوياً في جهل هؤلاء المغرر بهم باللغة العربية، ورحم الله القائل القديم: "أَكْثَرُ مَنْ تَزَنَّدَقَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ جَهْلُهُمُ بِالْعَرَبِيَّةِ". وما هذا المسعى "ربيعاً عربياً" عفواً "خريفاً أعجمياً" إلا زندقة جديدة.

أياً كان الأمر، فإن الاختلاط العربي بأهل المغرب له ما يوطده ويفعله، ذلك أنه حتى عندما سقطت القيروان في يد كسيلة بعد مغادرة عقبة لها نحو المغرب الأوسط فالأقصى، بقي المسلمون ومن كانوا قد أسلموا تحت يد كسيلة البربري، وهذه الكاهنة تأسر ثمانين عربياً أو متعرباً في حربها الأولى مع حسان بن النعمان، ثم ترسلهم وتحسن إليهم، ولكنها



تبقى على يزيد بن خالد القيسي الذي هو عربي صليبة إعجابا بجماله ثم تتبناه ليصبح أخا لولديها⁽¹³⁾ ثم إن البربر بعد هزيمة الكاهنة يستأمنون إلى حسان "فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه من جميع قبائلهم اثني عشر ألفاً⁽¹⁴⁾ يكونون مع العرب مجاهدين⁽¹⁵⁾ فأجابوه وأسلموا على يديه، فعقد لواءين لولدي الكاهنة، لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس، وأخرجهم مع العرب يجولون في إفريقية يقاتلون الروم وممن كفر من البربر، وحسن إسلام البربر وطاعتهم وانصرف حسان إلى مدينة القيروان، وذلك في رمضان سنة أربع وسبعين... وقد استقامت له إفريقية فلا يغزو أحداً ولا ينازعه أحد"⁽¹⁶⁾.

ثم هذا موسى بن نصير يعود من طنجة بعدما يترك وراءه طارقا في نفسه العدد الذي عقده حسان لولدي الكاهنة مع سبعة وعشرين من العرب، ولكنه لم ينصرف إلا بعد ما أوصى العرب السبعة والعشرين بتعليم إخوانهم القرآن وتفقيههم في الدين⁽¹⁷⁾.

ومهما ذكرنا من أسباب وحشدنا من دلائل مادية فإن السبب الوحيد الذي أدى إلى انتشار العربية سواء بالمغرب العربي أم بمشرقه أم في جهات أخرى قصوى أو دنيا من آسية وأوروبية الإسلاميتين، هو الإسلام ليس غير، ولذا فإني لا أعد كل سبب مادي سوى الإسلام إلا عاملاً مساعداً كان تابِعاً دائماً للانتشار الديني، فخذ لك مثالا من مصر حيث "كانت اللغة اليونانية قبل الفتح العربي واللغة التركية في العهد العثماني لغة البلاد الرسمية، ولكن هذا لم يجعلهما لغة الشعب المصري، فكان اليونانيون ينزلون المدن ويصبغونها بحضارتهم ولكن نفوذهم الثقافي لم يذهب للريف إلا قليلا، فلم تنتشر اللغة اليونانية إلا في بيئات خاصة، وعاش اليونانيون في مصر كأنهم جزر يونانية في وسط المحيط المصري الواسع،



وكذلك عاش الأتراك في بيئات خاصة في مصر ولم يستطيعوا جعل لغتهم لغة البلاد الأصلية بالرغم من أن الحكم التركي دام عدة قرون، ولكن حدث في عهد العرب تفاعل واختلاط بينهم وبين المصريين، وبدون هذا التفاعل والاختلاط لا يمكننا أن نفسر كيف ترك الفلاح المصري القديم لغته رغم تمسكه بالقديم والحرص عليه⁽¹⁸⁾، وإن كنا لا نتفق مع من يقول بأن التفاعل المصري العربي هو الذي يفسر لنا في النهاية الحائرة سبب إقبال المصريين على اللغة العربية، لأنها تعترف بنفس التفاعل والذي كان أسى حضارة مع اليونانيين ومع ذلك لم يترك الفلاح المصري لغته القبطية ليقبل على اللغة اليونانية، والصواب عندنا أن الذي جعل المغربي والآسيوي والأوروبي والإفريقي يقبل على العربية هو نفس الحافز الذي جعل الفلاح المصري يقبل عن طواعية على العربية، لأن الإسلام لا يمنع أي امرئ حين يهجر لغته أن يظل متمسكا بعاداته ومثله التي لا تتنافى مع الدين.

وتستطيع أن تأخذ مثالا حيا آخر من بلد المليون ونصف مليون شهيد، فالرومان استعمروا هذا الوطن بعد الإغريق خمسة قرون، ثم جاء بعدهم الوندال، ثم البيزنطيون مرة أخرى، ثم الفرنسيون في العصر الحديث، ومع ذلك فإن الشعب المغربي قاطبة لم يقبل على إحدى لغات هذه الشعوب، في حين أقبل على العربية في لمح البصر، فما السبب؟ ...

ولهذا فإن حفاظ العرب المسلمين اليوم على لغة دينهم يجب أن تكون فوق كل اعتبار مهما كان الثمن، لأنه حفاظ على إرادة أجدادنا الأوائل الخالدة ووفاء لا جدال فيه لأرواحهم ولشهادتنا البررة، وأن كل تفريط في هذا يعد خيانة لا مقياس لها في الإدانة.



وإذا أردت أن تأخذ طابعاً عاماً عن الفتوحات الإسلامية وما صحبها من انتشار العربية أو قرآنها وحديثها على الأقل، فيكفيك أن تعلم أن عدد المسلمين في العالم قد بلغ في نهاية 1964 (وهو إحصاء قديم طبعاً) حوالي: 634.300.000⁽¹⁹⁾ مع العلم بأن ما بعد العصر الوسيط حتى ما قبل النهضة الحديثة كان عصراً مظلماً بالنسبة لخدمة الإسلام والتبشير به، وفوق هذا وذاك كان الاستعمار الغربي المسيحي يعمل على تشويهه ومحاربه لأنه دين الحرية والمساواة ودين الألفة والرحمة والتآلف والتراحم بين الشعوب بصرف النظر عن الأجناس والألوان والأديان والطبقات الاجتماعية، وهو منهج في الحياة يتعارض مع مصالح ومناهج الاستعمار وجشعه المادي وغرامه الاستعبادي للشعوب.

ولعلنا نكون قد استيقنا أن عوامل انتشار العربية مهما تعددت وتفاوتت قوة وضعفاً، فإنه لا يمكن فصلها عن عوامل انتشار الإسلام نفسه، وأبرز تلك العوامل، علاوة على ما ذكر تصريحاً أو تلميحاً، أن الدين الإسلامي بطبيعة قواعده الميسرة يدعو إلى التوحيد الجنسي تحت راية واحدة، فمن أجل المساجد وصلوات الجمع ومشاركة المفتوحين من الأجناس غير العربية مع الفاتحين العرب منذ الوهلة الأولى، ومن أجل التفاعل الجنسي والتصاهر، وسرعة انتشار الفتوحات سرعة أدهشت ولا تزال تدهش إلى وقتنا هذا المؤرخين،... فمن أجل هذه العوامل كذلك انتشرت العربية انتشاراً واسعاً وسريعاً، هذا فضلاً عن عوامل أخرى اجتماعية ولغوية بحتة، كالتجانس اللغوي السابق وجوداً بين بعض اللهجات المفتوحة والعربية، وفضلاً، كما ألمحنا سابقاً، عن حوافز نفسية إرادية صرف كإقبال المسلمين وحتى غير المسلمين الجدد دينا أو تعاشراً وتعاملاً على العربية إقبال راغب لا إقبال راهب.



تأثير العربية في غيرها من اللغات:

لم تقف العربية أمام الحضارات الإنسانية الكبرى مثل الحضارة المصرية والرومانية والفارسية واليونانية حائرة ولا عاجزة بأن تولي الأدبار، بل اقتحمت هذه الحضارات كلها، بعد أن صَفَّتْ حسابها مع اللهجات المحلية، من أبوابها الواسعة بكل ثقة وقوة فاستوعبتها ترجمة وتعبيراً وتطويراً ثم تبليغاً للحاضر والغائب، فأصبحت العربية بذلك اللغة القديمة الوحيدة التي عول عليها الأوروبيون إثر نهضتهم الحديثة، التي كانت السبب المباشر في تطويرهم فكرياً وتكنولوجياً بل وحتى فنياً وأدبياً وفلسفياً⁽²⁰⁾ بواسطة أعلامها الأفاضل من أطباء وفلاسفة وأدباء وغيرهم من الاختصاصيين.

والألفاظ العربية التي دخلت لغات أوروبية عديدة، وكان لها الفضل العظيم لأن يدل بها الأوروبيون وهم ينهضون من رقادهم العميق على مداخل علمية وفنية واجتماعية، وإن كان الغربيون لا ينفكون حتى اليوم يصمون آذانهم، ويغمضون عيونهم أمام كل لفظ عربي غزا لغاتهم غزواً لم يجدوا منه أو من قبوله بدءاً، فالعرب كانوا أكثر نزاهة من لغويهم ولسانهم، فمنذ الوهلة الأولى تساءلوا حول وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم نفسه أم لا، وذهبوا في ذلك فريقين، لأن ألفاظاً أعجمية كانت دخلت العربية قبل نزول القرآن، فلما جاء جاءت فيه كما كانت في العربية لأنها لم تعد أجنبية ولا غريبة عنهم وهم عبّروا بها وقد استعملوها في أشعارهم وآدابهم وأحاديثهم، كما خصوا الألفاظ الدخيلة كلها بأبحاث علمية رائدة فيما يسمى اليوم بعلم اللغة المقارن، ولربما خصوها بأبحاث مستقلة كـ "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم" لأبي منصور الجواليقي (540 هـ)، وهذه النزاهة في البحث العلمي والبعيدة عن العرقية والمثالية هي التي كانت سبباً أكبر في تقدم الدراسات العلمية وخلودها عند العرب⁽²¹⁾.



تقول زيفريد هونكه الألمانية: "أجل، إن في لغتنا كلمات عربية عديدة، وإننا لندين -والتاريخ شاهد على ذلك- في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محبة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يوماً من الأيام قاتماً كالبحر باهتاً، وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة، طيبته بالعبير العابق، وأحياناً باللون الساحر، وزادته صحة وجمالاً وأناقة وروعة..."⁽²²⁾.

ومن الكلمات التي انتشرت في مختلف اللغات الأوروبية:

العربية	الفرنسية	الانجليزية	الروسية	اليونانية
الانبيق	Alambic	Alembic		
البرقوق	Abricot	Apricot	Aprices	
الجبر	Algèbre	Algebra		
الخوارزمي	Algorithme	Algorithm		
الزجاج	Zagaie	Assegai		
القلي	Alcali	Alceli	Alcati	
الكحل	Alcool	Alcehel	Alcagel	
الكيمياء	Chimie	Alchemuy	Alhimia	
تعريف	Zarif	Zariff	Zarifa	Zarifa
أمير البحر	Animal	Adminal	Adminal	Adminal
دار الصناعة	Arsenal	Arsenal	Arsenal	





في كل اللغات الأوروبية				سكر
Sirep	Sirep	Sirop	Sirop	شراب
	Charab	وهوفي الأرمنية		
Sirece	Sirece	Sirece	Sirere	شرق
	Chiffre	Chiffre	Chiffre	صفر
		Zéro	Zére	صفر
Magasin	Magasin	Magasin	Magasin	مخزن
	Metals	Matelas	Matelas	مطرح
		Gerbose	Gerboise	يربوع

.....إلخ.

ومع انتشار العربية وتوسع الفتوحات الإسلامية في القارات انتشر كذلك الخط العربي الذي يعد أكثر قدرة على كتابة الأصوات التي هي من جنسه، وأيسر وأسرع تعلما على إجادة وممارسة أية قاعدة إملائية، فبصوائته الثلاثة الطويلة يستطيع استيعاب أية لغة أجنبية مع تطعيمه بما لا يوجد فيه من رموز دالة على بعض أصوات تلك اللغة الأجنبية، حتى إن دولا إسلامية كثيفة بقيت محتفظة بلغاتها وبعض لهجاتها بعد ما أضافت إليها غير قليل من الألفاظ العربية، ولكنها اتخذت الخط العربي خطأ رسميا للغاتها ولهجاتها، وصار يكتب بالخط العربي حوالي سبع وثلاثين لغة ولهجة.





ومما يجب الإشارة إليه أن انتشار العربية وبتوسع الفتوحات الإسلامية كان له أثران: أحدهما سلبي ولكنه طبيعي في سلبيته، وآخرهما إيجابي، ولكنه عظيم في إيجابيته.

فالأثر السلبي يتجلى في فساد الملكة اللغوية العربية بعد الاختلاط العربي الأعجمي واستفحال العلاقات اللغوية الاجتماعية، فتسرب بذلك اللحن والفساد إلى اللغة العربية حتى كاد يصبح خطراً عليها وعلى العرب أنفسهم لولا إخماده في مهده ومقاومته في حينه، زيادة على انقسام الفصحى إلى هذه اللهجات العامية في الوطن العربي بعدما حرفت على ألسن العوام في محاصيلها النحوية والصرفية والصوتية ولكنها لم تبعد عنها - وهذا من حسن حظ العربية والعرب - في محاصيلها الدلالية ما عدا ما قد اعترأها من ألفاظ أجنبية دخيلة لم تعرب بعد، لأن في فصاحتها ما يوجد بديلاً لها.

وأما الأثر الإيجابي العظيم فهو تشمير العلماء العرب والمسلمين الغيورين على لغة دينهم، على سواعدهم، وسعيهم سعياً مشكوراً في إقامة قواعد نحوية وصرفية ثم بلاغية لها، وتوسيع الدراسات فيها وتنويعها وتطويرها، فكان لهذا الجهد مظهر علمي أصيل سيظل العرب والمسلمون يذكرونه لهم أبد الدهر، فوضعت المؤلفات، وصيغت القواعد إحصاء وإحكاماً، ونشطت الدراسات العلمية فيها إلى جانب الدراسات الفقهية والتفسيرية والتاريخية والعلمية البحتة.

ولعلنا حين نجد الإسلام يتقدم كل هذه العوامل مجتمعة، فذلك لأنه كان المحرك الأول، والمنشط الدءوب لكل ما جد أو تطور في كل الحقول



العلمية والإنسانية على ساحة الإمبراطورية العربية الإسلامية من المحيط إلى آسيا القصوى، ثم ما لبث كل هذا أن نعمت به أمم وشعوب حديثة في الشرق والغرب باعتبار الإسلام قبل كل شيء شمساً ما طلعت إلا لتشرق على الجميع، وإلى أن يحدث الله أمراً كان مفعولاً.



إحالات ومراجع

- 1 - من الساميين إلى العرب، ص: 9، الشيخ نسيب وهيبة الخازن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط: 1962.
- 2 - نفسه، ص: 11.
- 3 - هذا لا يعني أنني أميل أغلَبَ الميل إلى الرأي القائل بأن إفريقية هي الموطن الأول للساميين، والأرجح عندنا، بناء على بحث مخطوط لدينا منذ أواسط السبعينيات من القرن الماضي، أن الشعب السامي كان ما بين إفريقية وآسية جميعاً.
- 4 - طبقات فحول الشعراء، ق1/ ص: 24 - 25، محمد بن سلام الجمحي، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- 5 - نفسه، ص: 25.
- 6 - نفسه، ص: 26.
- 7 - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص: 67-68. أحمد بن فارس، تح: د. مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران، بيروت، ط: 1963.
- 8 - ينظر المرجع السابق، ص: 89 - 93.
- 9 - نفسه، ص: 78 - 81.
- 10 - تاريخ الحضارة الإسلامية، ص: 63 بارتولد، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، مصر، ط: 4/1966.



- 11 - ينظر: مصر في عصر الولاة، ص " 119 - 120، دة: سيدة إسماعيل ، مطابع دارالقلم، القاهرة.
- 12 - نفسه، ص: 141.
- 13 - تاريخ إفريقية والمغرب، ص: 58. الرقيق القيرواني، تح: المنجي الكعبي، الناشر: رقيق السقطي، شارع فرنسا، تونس، ط: 1968.
- 14 - والغريب أنّ طارقاً البربري الأصل فتح الأندلس بالعدد نفسه قبل أن يلتحق به موسى بن نصير بمدد آخر.
- 15 - عدد الفاتحين كان كله مسلماً.
- 16 - تاريخ إفريقية والمغرب، ص: 64.
- 17 - يراجع المصدر السابق، ص: 69 - 70.
- 18 - مصر في عصر الولاة، ص: 141.
- 19 - المسلمون، المجلد التاسع، العدد الرابع، ص: 45 - 49.
- 20 - راجع: شمس العرب تسطع على الغرب (الكتاب السابع: الفصلان الخامس والسادس) زيغريد هونكه، دارالمعارف، مصر، ط: 4 / 1966.
- 21 - يوجد دارسون غربيون موضوعيون يشيرون إلى ألفاظ عربية غير قليلة ولجت لغاتهم بطرق احتكاكية مباشرة، وبطرق غير مباشرة.
- 22 - شمس العرب تسطع على الغرب، ص: 20.

العلّة في النّحو العربي

"المفهوم والمصطلح" - نماذج من كتاب سيبويه-

أ. رقيق كمال (ج.بشار)

الملخص:

تعدّ العلّة النّحوية من أهم أركان القياس ، ذلك لأنها تمثل الصّلة بين المقيس والمقيس عليه، وهي الوساطة التي ينتقل من خلالها الحكم من المقيس عليه إلى المقيس ، لذا نجد النّحويين عموماً يتّسمون بعقلية تحليلية لا تقتنع بظاهر الأمور بل تبحث عمّا وراءها، ففي هذا البحث سوف أتطرق للعلّة في النّحو العربي ماهيتها، ومفهومها، وأنواعها، مركزا على أحد أهم أسفار العربية ألا وهو الكتاب لسيبويه.

العلّة في اللّغة تدلّ على عدد من المعاني ⁽¹⁾ ، وأحدها: السبب ، وهو ما يهمننا هنا ، فالعلّة هي السبب وعلة الشيء سببه يقال: "هذا علة لهذا أي سبب" ⁽²⁾ ، وقد اعتلّ وهذه علّته أي سببه ⁽³⁾ . ومن هذا المدلول اللّغوي أخذ النحاة هذه اللفظة فأصبحت تعني في اصطلاحهم: "تغيير المعلول عما كان عليه" ⁽⁴⁾ ، أو "هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجهاً معيناً من التعبير والصياغة" ⁽⁵⁾ ، أو "هي تفسير الظاهرة اللغوية والنفوذ إلى ما وراءها وشرح الأسباب التي جعلتها



على ما هي عليه" ⁽⁶⁾ . فالعلّة النّحوية إذا هي السبب الذي أدى إلى الحكم وأوجبه.

والمعروف أنّ النّحو العربي منذ نشأته بني على أصول سار عليها النّحاة، واتبعوها ، وكان القياس أحد هذه الأصول، وإذا ما بحثنا عن معنى القياس وجدنا انه "في وضع الناس بمعنى التقدير وهو مصدر، قايست الشيء بالشيء مقايسةً وقياساً" ⁽⁷⁾ ، أمّا في عرف النّحاة فهو يعني "تقدير الفرع بحكم الأصل، وقيل هو حمل فرع على أصل بعلّة" ⁽⁸⁾ .

ولابدّ لكل قياس من أربعة أركان يقوم عليها ، قال أبو البركات الأنباري (ت 577 هـ) : "لابد لكل قياس من أربعة أشياء : أصل، وفرع ، وعلّة ، وحكم" ⁽⁹⁾ . فالأصل هو المقيس عليه ، والفرع هو المقيس ، والحكم هو ما ينتقل من المقيس عليه إلى المقيس، والعلّة هي السبب الذي من أجله استحق المقيس حكم المقيس عليه ⁽¹⁰⁾ . فالنائب عن الفاعل مثلاً استحق الرفع قياساً على الفاعل، فالأصل هو الفاعل والفرع هو النائب عن الفاعل ، والحكم هو الرفع ، والعلّة الجامعة هي الإسناد ⁽¹¹⁾ .

وبذلك يتّضح لنا أن العلّة النّحوية فرع من أصل وهو القياس ، وليس أصلاً قائماً بذاته ولكن النّحاة اهتموا بها اهتماماً بالغاً وأعقبوا بها الأحكام النّحوية تفسيراً أو تعزيزاً وأفردوا لها المصنفات والمؤلفات النظرية فعولمت معاملة الأصل ، فأصبحت كأنها أصل من أصول النّحو العربي .

والتعليل نشأ مرافقاً لنشأة الإنسان على الأرض ، فالإنسان يراقب الظواهر فتلفت انتباهه فيقف إزاءها ويسأل عنها باحثاً عن أسبابها



فيكتشف أسرارها فالدين الإسلامي قد أكد التفكير والنظر والتدبر فقد "وجد المفكرون الإسلاميون أن من الطبيعي - وقد حث القرآن على النظر والعلم والمعرفة والتدبير - أن يبحثوا عن أسباب الظواهر وأن لا يكتفوا بملاحظة أشكالها وصورها فحسب" (12).

فليس غريباً أن يُنسب التعليل إلى علماء العربية الأوائل (13)، فالعرب قبل شيوع اللّحن كانوا يتكلمون بلغتهم سليقة وطبعاً لا تعليماً وتلقيناً، ولكنهم احتاجوا حينما كثّر اللّحن وانتشر إلى استقراء هذه اللّغة وضبط قواعدها (14). ولما وقع اللّحن في القرآن الكريم كان أثره عليهم شديداً فبادروا إلى إعرابه وضبط نقاطه بنقط عند أواخر الكلمات وكان ذلك عمل أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) والنّحاة من بعده، وقد أطلّوا مراقبة أواخر الكلمات، وربما اختلفوا فيها وتجادلوا عندها، وطول هذه المراقبة هداهم إلى الكشف عن سر من أسرار العربية وهو أن هذه الحركات ترجع إلى علل، فسموا ما كشفوا (علل الإعراب) (15).

وهذا يمكننا من القول: "كانت نشأة التعليل إذا استجابةً لظروف وبواعث عربية وإسلامية معاً دون تأثير خارجي غير عربي" (16). وكذلك فإن نشأة التعليل النّحوي كانت مرافقةً لنشأة النحومترامنة معه يقول الدكتور صاحب أبو جناح: "إن عملية بناء النحو ونشأته رافقتها نشأة العلل التي يفسر بها النّحاة الظواهر اللّغوية والنّحوية ويردون بها على تساؤلات الدّارسين للغة ونصوصها والمعنيين بأمورها" (17).

لكن علل النّحولم تكن واضحةً في بادئ الأمر كما اتضحت فيما بعد، بيّنةً كما عرفها المتأخرون من النّحاة، ولكنها كانت تفهم من سياق الكلام وتلتبس من نمط الحديث (18). وفي تراثنا اللغوي ما يشير إلى وجود مظاهر



هذه العلل النّحوية عند نحّاتنا الأوائل الذين كانوا يوجهون بها الكلام، ليستقيم معناه ، دون أن يقصدوا تلك العلل ودون أن يبحثوا عنها، فكتب التراجم والطبقات تنسب إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117 هـ) أولوية من علل النّحو⁽¹⁹⁾ ونهج علله⁽²⁰⁾ وشرحها⁽²¹⁾ .

ويطالعنا بعد الحضرمي عيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ) ، وأبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) وتروي لنا كتب التراجم اهتمامهما بالتعليل أيضاً ومما يُروى عنهما أنهما كانا يقرآن قوله تعالى : ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ (سبأ: من الآية 10) ، بنصب الطير ويختلفان في التعليل ، فقال عيسى : هو على النداء ، كما تقول : يا زيد والحارث لما لم يمكنه : ويا الحارث. وقال أبو عمرو : لو كان على النداء لكان رفعاً ، ولكنه على إضمار (وسخرنا الطير) كقوله على اثر هذا: ﴿وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾⁽²²⁾ (الأنبياء: من الآية 81).

والتعليل بعد ذلك عند هؤلاء النّحاة قد اتسم بسمات حدّدت إطاره ووضحت معاملته يمكن أن نجملها بعدة نقاط:

1 - التعليل عندهم يتناول قضايا جزئية ومسائل فرعية فهم في تعليلاتهم لا يرتبطون بغير القضية التي يعللونها ولا ينظرون إلى غير الجزئية التي يسوغونها⁽²³⁾.

2 - إن عللهم كانت يسيرةً تساعد على فهم كلام العرب يدور معظمها حول العامل وبعضها يدور حول المعنى الذي توخاه الشاعر⁽²⁴⁾.

3 - كانت عللهم متوافقة مع القواعد فليس ثمة تناقض بين التعليل وبين ما توصلوا إليه من قواعد بل أكثر من ذلك فإن التعليل ليس إلا تبرير



القواعد وإساعتها ثم شرحها لبواعثها من ناحية، ولأهدافها من ناحية أخرى⁽²⁵⁾.

4 - قلة عللهم " ويبدو أن السر في ذلك هو أنهم وجهوا جل عنايتهم ومعظم جهودهم ناحية التقعيد للظواهر اللغوية ،أمّا التعليل فلم يقصدوا إليه ومن ثم لم يتوسعوا فيه⁽²⁶⁾ .

فما نكاد نلم بعصر الخليل وتلميذه سيبويه حتى نجد قواعد النّحو قد وضعت وتأصلت وبُنيت عللها فرسخت في الأذهان وقبلها العلماء ، يقول الدكتور عبد الرحمن السيد " فإذا ما وصلنا إلى الخليل وجدنا أن العلّة قد استكملت أسبابها ، وأنّ النّحاة قد اشرفوا على الغاية بها ، وإنها قد وصلت في مراحل النمو إلى درجة النضج ، فقد اتضحت معالمها وأصبحت أداة فعالة للتفرقة بين حالات الكلمة المختلفة ، وضروب الأساليب المتباينة "⁽²⁷⁾ . وخير شاهد على ذلك "كتاب سيبويه" الذي لا تخلو مسألة من مسائله من تعليل وتوجيه . فنراه يكثر التعليلات في كتابه منطلقاً من تأصيله القوي: "وليس شيء يضطرون إليه إلّا وهم يحاولون به وجهها"⁽²⁸⁾ .

حتى قال عنه الدكتور شوقي ضيف: "لا يعلل فقط لما كثر في ألسنتهم واستنبطت على أساسه القواعد ، بل يعلل أيضاً لما يخرج عن تلك القواعد ، وكأنما لا يوجد أسلوب ولا توجد قاعدة بدون علّة "⁽²⁹⁾ . وقد اتسمت علل الخليل وسيبويه بعدّة سمات نحاول في هذه العجالة أن نورد بعضها على ما يأتي :

1 - إنها علل تعليمية ، إذ التقى الخليل مع من سبقه من النحاة في الغاية من التعليل وهي فهم كلام العرب⁽³⁰⁾ .



2 - اتسمت عليهما بالشمول فأصبحت تتناول كل جزئيات البحث النحوي فلانكاد نجد جزئية من جزئياته دون تعليل⁽³¹⁾.

3 - إنّ عليهما كانت متينة محكمة مدعومة بالقياس وموضّحة بالأمثلة⁽³²⁾.

وقد أثار توسيع الخليل لنطاق العلّة الاهتمام بها، فازدادت العناية بها من ذلك الحين، وأخذت تشغل من عقول النّحاة حيزاً كبيراً فجاء بعد الخليل وسيبويه نحاة كوفيون وبصريون اعتمدوا التعليل كثيراً، منهم الفراء (ت 207 هـ) الذي عُني بالتعليل ولم تكن علته تخلو من الطابع الفلسفي وإن لجأ في بعضها إلى السهولة والوضوح⁽³³⁾. "وكان المبرّد (ت 285 هـ) ومن عاصره من نحاة القرن الثالث الهجري يعتبرون العلّة رديف الحكم النّحوي لا تفارقه ولا ينبغي لها في اعتقادهم أن تفارقه"⁽³⁴⁾. فكان المبرّد شديد الاهتمام بالتعليل حتى كانت المطالبة بالتعليل هي السلاح الذي شهري مناقشاته مع الزجاج (ت 311 هـ) ومن معه في حلقة أستاذه ثعلب، وهو في خلافه مع سيبويه في كثير من المسائل لم يكن خلافه فيها كلها حول الحكم النّحوي إنما كان في كثير منها حول علّة ذلك الحكم، ووافقه في بعضها في الحكم وخالف في علته⁽³⁵⁾. غير أن الفراء والمبرّد وان تكلمتا في العلّة فإنهما لم يفرداها بالبحث إنما جاء حديثهما عنها في مؤلفاتهما العامة. أمّا الذين افردوا العلة بالتأليف والبحث فقد كان أولهم قطرب (ت 206 هـ) فقد ورد في ترجمته أنه ألف كتاباً اسمه "العلل في النّحو"⁽³⁶⁾. وجاء المازني (ت 249 هـ) فألف كتاب "علل النّحو"⁽³⁷⁾. واستمر التأليف في العلّة فكثر فيها المؤلفات والمصنفات منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل⁽³⁸⁾.



واتسعت بعد ذلك البحوث النظرية في العلّة النّحوية فبحث النّحاة أنواعها فقسمها ابن السراج (ت 316 هـ) على ضربين: أحدهما علّة تطرد على كلام العرب وتندساق إلى قانون لغتهم. والآخر: علّة العلّة، وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب وإنما يستخرج به حكمها⁽³⁹⁾. وقسمها الزجاجي (ت 337 هـ) على ثلاثة أضرب هي: العلّة التعليمية، والعلّة القياسية، والعلّة الجدلية النظرية⁽⁴⁰⁾. وجعلها ابن مضاء (ت 592 هـ) على ثلاثة أضرب أيضاً: علل أول، وعلل ثوان، وعلل ثوالث⁽⁴¹⁾. وكما تناول النّحاة أنواعها، بيّنوا شروطها وصفاتها وما تثبت به وتصحّ⁽⁴²⁾. وذكرها مسالكها وهي طرق أخذها⁽⁴³⁾. وفصلوا القول في قوادحها أي كيفية الطعن بها ونقضها⁽⁴⁴⁾.

وكانت هذه البحوث المفصلة المتشابكة التي أدخلها النّحاة وأداروها في العلّة أدت إلى تشعب البحث النّحوي وتعقد دراسته تعقداً لا فائدة منه لمن يتعلم اللّغة العربية أو لمن يتكلم بها حتى انتهى الأمر إلى أن ذهب بعض النّحاة إلى مذاهب غريبة في افتعال العلل لكل ظاهرة واشتطوا في بحوثهم حتى غدت هذه البحوث وكأنها بحوث في المنطق اتخذت من العبارات النّحوية شواهد لها⁽⁴⁵⁾.

وبسبب من هذا جميعه تعرضت العلل النحوية إلى الطعن فيها، وكانت اشد الحملات عليها على يد أحد النحاة وهو ابن مضاء الذي دعا إلى نفي جميع العلل ما عدا اليسيرة التي تعين على فهم كلام العرب وأن يقال بدلاً من التماس العلل البعيدة: هكذا نطقت العرب⁽⁴⁶⁾. وجاء أبو حيان النحوي (ت 745 هـ) فوقف موقف ابن مضاء في إلغاء العلل ونفر من التعليقات وأطرحها ونادى بترك ما لا فائدة فيه منها وما لا يكسبنا علماً باللغة أو النحولاً لأن هذين العلمين ليسا بحاجة إلى التعليل، والتعليل عنده لا يكون إلا بعد تقرر السماع⁽⁴⁷⁾.



ووقف قسم من النّحاة على العكس من ذلك فدافعوا عن العلل وردوا على من طعن فيها، منهم ابن جني (ت 392هـ) الذي سما بهذه العلل في قوتها وصدقها وبراءتها من العيوب وقرّبها من الإفهام وأبعدها عن الغموض والإيهام. فعقد باباً " في الرد على من اعتقد فساد علل النّحويين لضعفه هو في نفسه عن أحكام العلّة " فقد نقل حجة هؤلاء ورد عليهم مبيناً أن طعنهم في العلّة وقولهم بفسادها هوس، ولغو، وجهل⁽⁴⁸⁾. وجاء ابن خروف (ت 609هـ) فوقف مع العلّة وردّ ابن مضاء في وقوفه ضد العلل، إذ قال أبو حيان بعد كلامه على ابن مضاء: " وقد امتنع من طعنه على النّحاة وازدرائه عليهم الإمام أبو الحسن بن خروف، وردّ على ابن مضاء في كتاب سماه: كتاب الزهو في الرد على من نسب السهو إلى أئمة النحو، وهو كتاب لطيف " (49).

وسار على هذا الركب السيوطي (ت 911هـ) فكان يميل إلى العلّة إذ نقل من الآراء ما يؤيد وقوفه مع العلّة، فهو يقول: " قال صاحب المستوفي إذا استقرت أصول هذه الصناعة، علمت أنها في غاية الوثاقة، وإذا تأملت عللها عرفت أنها غير مدخولة ولا متسمح فيها. وأما ما ذهب إليه غفلة العوام من أن علل النحو تكون واهية متمحلة، واستدلّاهم على ذلك بأنها أبداً تكون هي تابعة للوجود لا الوجود تابعاً لها بمعزل عن الحق " (50).

وكما انقسم القدماء تجاه العلل على قسمين: معارض، ومؤيد انقسم المحدثون كذلك فكان بعضهم معارضاً منادياً إلى طرحها من النحو، وكان بعضهم الآخر مقتنعاً بها غير معارض لها، لأنها من أصول العربية. فالدكتور شوقي ضيف يرى أن أكثر العلل تخرج عن الغاية من النحو، وهي صحة النطق عند المتكلم، إلى ما يمكن أن نسميه فلسفة العلل



النحوية وهي فلسفة في جمهورها غير عملية . وليس وراءها طائل نحوي. والنحوي ينبغي أن ييسر على الناشئة وأن تخرج هذه العلل المعقدة⁽⁵¹⁾. أمّا الأستاذ عباس حسن ، فإنه يتابع "ابن سنان الخفاجي" ، في قوله بوجود إطرّاح العلل لأنها لا تثبت إذا سلط عليها النظر إلاّ الفذ الفرد ، بل لا يثبت منه شيء البتة⁽⁵²⁾.

ويرى الدكتور مازن المبارك أن العلّة ليست أمراً لازماً لنا دوماً ، بل علينا أن نكتفي منها بما يحقق غاية النحو من تعليم وضبط للغة وأن نترك الإلحاح في السؤال عنها⁽⁵³⁾ . أمّا الدكتور عبد الرحمن السيد فهو يرى: "إن طريق هذه العلل كان - من غير شك - طريق الظن والحدس ، ولم يكن طريق العلم واليقين ، وإن كانت تطمئن إلى بعض هذه العلل وتجد فيها غناء - لا تستريح إلى بعضها الآخر وتجد فيها عناء وإن بعض هذه العلل وإن ساغت وقبلت ، فبعضها الآخر لا يساغ ولا يقبل ، فقد تكلف النحاة في بعضها وفلسفوها وظهر فيها النهج المنطقي والافتراض العقلي ، فأصبحت مرذولة مستكرهة"⁽⁵⁴⁾.

ووقف القسم الآخر من المحدثين مع العلّة ، فالدكتور احمد عبد الستار الجوّاري يرى أن البحث عن العلل لا ينكر، إذا وعى الدّارس ما يدرس ، بل ليس من مصلحة البحث العلمي أن يُهمل ويُترك وإنما تقتضي أصول البحث بتشجيعه ليكون سبباً إلى ربط مادة البحث⁽⁵⁵⁾ ورفض الدكتور عبد الرحمن أيوب العلل المنطقية، لكنه لا ينكر إمكان ارتباط ظاهرة لغوية بظاهرة لغوية أخرى في الوجود والعدم، ولا بأس عنده من تسمية مثل ذلك تعليلاً⁽⁵⁶⁾.

ولقد اهتم النحاة بالعلّة اهتماماً بالغاً فتناولوا طريقة بحث العلّة وتعريفها وتقسيماتها ، فقسموها إلى أنواع مختلفة غير أن تصنيفها



في جدول خاص أمر يصعب حصوله فلم ينعقد إجماع النّحاة على أن هذه العلل نهائية العدد وإنما قال النّحاة ما قالوه على سبيل التقريب.

ويمكن أن نعدّ كتاب التصريف لأبي "عثمان المازني" أول كتاب تعرض لأنواع العلل فقد ذكر فيه أنواعا من العلل منها : "علة الاستثقال، وعلة الاستخفاف، وعلة الالتباس، والقرب، والبعد من الطرف، والبقاء على الأصل في الواحد والجمع، والقلة والكثرة في المسموع والمستعمل، واجتماع المثلين والمتقاربين، والحركة والسكون والاستغناء بالشيء عن الشيء، والأخذ بالنظير، والكل أشد تأثيرا من الجزء، وعكس التقدير، وحمل الأصل على الفرع" (57).

أمّا التعليل عند "سيبويه" فقام على أنواع مختلفة من العلل النحوية وهي كثيرة جدا منها: "إيثار الخفة، وكثرة الاستعمال، والمعنى، والعوض، وطول الكلام، والالتباس، والاستغناء وغيرها" (58).

والملاحظ أن جميع هذه العلل التي وردت في الكتاب تكاد تكون من النوع الأول المؤدي إلى تعلم كلام العرب الذي وجده "الدينوري الجليس" أكثر استعمالا وأشد تداولا وهو عنده على أربعة وعشرين ضرباً إلا أننا وجدناه على أكثر من ذلك ووجدنا فيه عللاً لم يذكرها "الدينوري" ولا غيره.

وقد قام بعض الباحثين بالإشارة لبعض الوسائل التعليلية في الكتاب كما نلاحظ ذلك عند الأستاذ عبد السلام محمد هارون (59). وكذلك أشارت الدكتورة "خديجة الحديثي" إلى أنواع العلل التي وردت في الكتاب وخاصة العلل التي كثر دورانها فيه ومثلت لها وهي : "كثرة الاستعمال، والاستخفاف، والاستثقال، والقبح وخوف الالتباس، والتمكن،



والأصل والاستغناء والإعلام بالأصل ، والمشابهة ، و المخالفة ، والفرق والإجحاف والعوض ، والتوكيد " ، واكتفت بالإشارة إلى مواضع العلل الأخرى في الكتاب وهي كثيرة جداً وأغلبها يخص موضوعات الصّرف⁽⁶⁰⁾.

وقام باحث معاصر⁽⁶¹⁾ أيضاً بدراسة الوسائل التعليلية لمسائل النحو في الكتاب وجعلها تحت خمسة أصناف هي العلل الاستعمالية، ويقصد بها التي تعلل الاستعمال من مثل : "الثقل والخفة ، وكثرة الاستعمال ، والاستغناء . والعلل التحويلية وهي التي تنطلق من فكرة الأصل فيتم التعليل بها بافتراض خطوات لغوية تحويلية . منها : التمكن والأصل، والعوض، والقوة"، والعلل التي تتأرجح بين الاستعمالية والتحويلية وهي : الحذف، وطول الكلام، والعلل القياسية : ويقصد بها التي كان يعلل بها سيبويه بملاحظة المشابهة وهي : الشبه ، والحمل ، والتوهم، والمجاورة ، والاستئناس .

و العلل الدلالية : ويقصد بها التي كان يعلل بها سيبويه بالرجوع إلى المعنى وهي: أمن اللبس ، وخوف اللبس والمعنى ، والفرق وعلم المخاطب ، والإبهام ، والتوكيد .

وبعد قيامنا باستخراج العلل النحوية من كتاب سيبويه واستقراءها وجدنا أن أكثرها تداولاً وأشهرها استعمالاً ما يأتي:

1 - علّة الاستغناء: وهي علة كثيرة الاستعمال عند العرب تنسب إليهم أنهم قد استغنوا بشيء عن شيء قال السيوطي عن الاستغناء: " هو باب واسع فكثيراً ما استغنت العرب عن لفظ بلفظ ومن ذلك استغنائهم عن تثنية سواء بتثنية سيّ فقالوا سيّان ولم يقولوا : سواءان. وتثنية ضبع الذي هو اسم المؤنث عن تثنية ضبعان الذي هو اسم لمذكر فقالوا:



ضبعان ولم يقولوا : ضبعانان " ⁽⁶²⁾ ، وعقد ابن جني في الخصائص باباً في الاستغناء بالشيء عن الشيء ⁽⁶³⁾ ، وقال أبو حيان : " العرب تستغني ببعض الألفاظ عن بعض ، ألا ترى استغناءهم بـ(ترك) و(تارك) عن(وذر) و(واذر) ، وبقولهم : رجل آلي عن أعجز ، وامرأة عجزاء عن ألياء في أشهر اللغات " ⁽⁶⁴⁾ .

والاستغناء من العلل التي وردت كثيراً في كتاب سيبويه ⁽⁶⁵⁾ . ويستخدمها لتعليل استعمال ما من استعمالات العرب دون غيره فهي عنده لا تقوم على الافتراض والتخيل وإنما تتجه مباشرة إلى الاستعمال ولذلك فإنها علة لغوية أصيلة ، إذ قال سيبويه : " ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً ... فإنهم يقولون : يدع ولا يقولون : ودع ، استغنوا عنها بترك " ⁽⁶⁶⁾ .

ومن أمثلتها عند سيبويه تعليله بعدم العدول عن الضمير المتصل إلى المنفصل إذا أمكن الإتيان بالمتصل إذ يقول : " فأنا وأنت ونحن وأنتما وأنتم وأنتن ، وهو وهي وهما وهن ، لا يقع شيء منهن في موضع شيء من العلامات مما ذكرنا ، ولا في موضع المضمر الذي لا علامة له ، لأنهم استغنوا بهذا فاسقطوا ذلك " ⁽⁶⁷⁾ ، وقوله : " واعلم أنهم لم يستعملوا عسى فعلك استغنوا بأن تفعل عن ذلك كما استغنى أكثر العرب بعسى عن أن يقولوا : عسيا وعسوا ، وبلو أنه ذاهب عن لو ذهابه ، ومع هذا أنهم لم يستعملوا المصدر في هذا الباب كما لم يستعملوا الاسم الذي في موضعه يفعل في عسى وكاد ، فترك هذا لأن من كلامهم الاستغناء بالشيء عن الشيء " ⁽⁶⁸⁾ ، وقد تأتي عند سيبويه في بعض الأحيان بلفظ (الاكتفاء) كقوله : " وإنما قالت العرب : قال قومك ، وقال أبواك ، لأنهم اكتفوا بما أظهروا عن أن يقولوا : قالوا أبواك ، وقالوا قومك ، فحذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا " ⁽⁶⁹⁾ .



2 - علّة إعلام أو تبين : وهي علّة توضح أو تبين لحاق بعض المفردات أو الحروف في الكلام وما لحاق هذه الأشياء إلّا إعلام وإيضاح لأمر من الأمور ، فمن ذلك أن ضمائر الرفع المنفصلة قد يقعن فصلا وعلّة وقوعهن فصلا عند الخليل وسيبويه هي إعلاما للمخاطب المحدث بأن الاسم قد تم ولم يبق منه نعت ولا بدل ولا شيء من تمامه وأن الذي بقى من الكلام هو الخبر إذ قال سيبويه : " اعلم إنهن لا يكنّ فصلا إلّا في الفعل ، ولا يكنّ كذلك إلّا في كل فعل الاسم بعده بمنزلته في حال الابتداء ، واحتياجه إلى ما بعده كاحتياجه إليه في الابتداء ، فجاز هذا في هذه الأفعال التي الأسماء بعدها بمنزلتها في الابتداء ، إعلاما بأنه قد فصل الاسم ، وأنه فيما ينتظر المحدث ويتوقعه منه ، مما لا بد له أن يذكره للمحدث".⁽⁷⁰⁾

3 - علّة الالتباس : وهي علة كثيرا ما تأتي عند سيبويه تفسيرا للالتزام العرب استعمالا ما من استعمالات اللغة مختلفا عما ينبغي أن يكون عليه هذا الاستعمال تجنبا للالتباس الذي قد يحصل بين الاستعمالين ، فالتزام العرب هذا الاستعمال المختلف هو لإزالة ذلك اللبس قال السيوطي : " اللبس محذور ، ومن ثم وضع له ما يزيله إذا خيف واستغني عنه لحاق نحوه إذ امن "⁽⁷¹⁾ ، وقد استعمل سيبويه مصطلح اللبس للدلالة على الغموض الناشئ عن وجود لفظ يحتمل أكثر من معنى أو تركيب يؤدي إلى تعدد المعنى وغموضه وبهذه الدلالة شاع هذا المصطلح عند باقي النحاة⁽⁷²⁾ . ومن أمثلتها قول سيبويه : " وسألته لم لم يجز والله تفعل يريدون بها معنى ستفعل ؟ فقال من قبل إنهم وضعوا تفعل ها هنا محذوفة منها لا ، وإنما تجئ في معنى لا أفعل ، فكروا أن تلتبس إحداهما بالأخرى . قلت فلم ألزمت النون آخر الكلمة ؟ فقال : لكي لا يشبه قوله :



أنه ليفعل ، لأن الرجل إذا قال هذا فإنما يخبر بفعل واقع فيه الفاعل ، كما ألزموا اللام: إن كان ليقول ، مخافة أن يلتبس بما كان يقول ذاك ، لأن (أن) تكون بمنزلة (ما)⁽⁷³⁾ ، فنجد في هذا النص تتابع التعليل بعلّة الالتباس ، فالعرب تجتنب استعمال (والله تفعل) للمستقبل مخافة أن تلتبس باستعمالهم هذا التركيب للنفي لأنه قد يأتي محذوفاً منه (لا) مقصوداً به النفي ، وكذلك ألزموا فعل القسم النون مخافة أن يلتبس هذا الفعل بالفعل الواقع في أسلوب الخبر نحو : إنه ليفعل ، وهذه العلّة تشبه علّة دخول الكلام الفارقة على خبر إن المخففة من الثقلية المكسورة كي لا تلتبس (إن) المؤكدة بـ(إن) النافية التي بمعنى (ما) إذ قال سيبويه : "واعلم أنهم يقولون : إن زيد لذهاب ، وإن عمرو لخير منك ، لما خففتها جعلتها بمنزلة لكن حين خففتها ، وألزمها اللام لئلا تلتبس بـ(إن) التي هي بمنزلة (ما) التي تنفي بها"⁽⁷⁴⁾ .

4 - علّة التخفيف : وهي علّة تتصل بطبائع العرب في القول إذ كانوا يميلون إلى اختيار الأخف إذا لم يكن ذلك مخلاً بكلامهم⁽⁷⁵⁾ . فهم يفضلون ما خفّ من الكلام ويستحبونه ويستثقلون الثقل ويتجنبونه اقتصاداً بالجهد المبذول فلذلك "من الممكن أن نربط بين هذه العلّة وما يسميه علم اللغة الحديث بقانون الاقتصاد اللغوي ويعني به أن المتكلم يحاول أن يوصل ما في ذهنه من أفكار ، أو ما في نفسه من إحساسات مع أقل جهد عضلي مبذول وقد عبّر عنه القدماء بالاستخفاف ، لأن المصطلحات العلمية تختلف باختلاف الأزمنة"⁽⁷⁶⁾ ، وعلّة التخفيف من العلل التي كان يعمل بها سيبويه ، فهو يعمل بعض ظواهر اللغة فيصف تصرف العرب حيالها بالخفة أو طلب الخفة⁽⁷⁷⁾ .



وقد وردت هذه العلة عند سيبويه في مواضع كثيرة وأكثر ما تكون للحذف كما في قوله : " وسألته عن قوله : على كم جذع بيتك مبني ؟ فقال : القياس النصب وهو قول عامة الناس . فأما الذين جرّوا فإنهم أرادوا معنى (من) ولكنهم حذفوها هاهنا تخفيفا على اللسان وصارت على عوضا منها " .⁽⁷⁸⁾

وقال أيضاً : " وزعم الخليل أن قولهم : لاه أبوك ولقيته أمس ؛ إنما هو على : لله أبوك ، ولقيته بالأمس ولكنهم حذفوا الجار والألف واللام تخفيفا على اللسان . وليس كل جار يضمّر ، لأن المجرور داخل في الجار فصار عندهم بمنزلة حرفاً واحد فمن ثم قبح ، ولكنهم قد يضمرونه ويحذفونه فيما كثر من كلامهم لأنهم إلى تخفيف ما أكثروا استعماله أحوج " .⁽⁷⁹⁾

5 - علّة التمكن أو التصرف : وهي علة لغوية لأنها تتم من داخل اللغة وفق نظامها ولا تخرج عن ذلك ، ومفادها عند سيبويه هو أن هناك بعض الأشياء تفوق غيرها في التصرف أو تمتاز عليها بميزة والسبب هو تمكّنها أو تصرفها ، وهي علة من أوائل العلل التي تلقانا في كتاب سيبويه ، إذ يقول في " باب مجاري أواخر الكلم من العربية " : " وليس في الأسماء جزم لتمكّنها وللحاق التنوين فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة " .⁽⁸⁰⁾ وقوله أيضاً : " واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض ، فالأفعال أثقل من الأسماء لأن الأسماء هي الأولى ، وهي أشد تمكّناً فمن ثم لم يلحقها الجزم والسكون ، وإنما هي من الأسماء . ألا ترى أن الفعل لا بد له من الاسم وإلا لم يكن كلاماً ، والاسم قد يستغنى عن الفعل ، تقول : الله إلهنا ، وعبد الله أخونا " .⁽⁸¹⁾





ويقابل هذه العلّة علة لغوية أخرى كثيراً ما يعلل بها سيبويه وهي: عدم التمكن أو عدم التصرف. وتقوم عنده على اعتبارين أحدهما العمل والآخر: الأصل والفرع، فما كان غير متصرف أو غير متمكن ما هو إلا فرع انحط عن درجة الأصل في قوة العمل.

ومن أمثلتها قول سيبويه: "إلا أنه ليس لك أن تقول: كأن أخوك عبد الله، تريد: كأن عبد الله، لأنها لا تصّرف تصرف الأفعال، ولا يضمرفها المرفوع كما يضمرف في كان، فمن ثم فرقوا بينهما كما فرقوا بين ليس وما فلم يجروها مجراها، ولكن قيل هي بمنزلة الأفعال فيما بعدها وليست بأفعال" ⁽⁸²⁾، وقد نراه لا يشير إلى عدم التمكن صراحة وإنما يذكره ضمناً كقوله: "وليس في الأفعال المضارعة جر كما أنه ليست الأسماء جزم؛ لان المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين، وليس ذلك في هذه الأفعال" ⁽⁸³⁾.

6 - علّة التوكيد: وهي من العلل التي يعتمد التعليل بها على ملاحظة المعنى في إطار السياقات المختلفة عند تقعيد القاعدة ⁽⁸⁴⁾، وتأتي عند سيبويه تفسيراً لزيادة بعض الألفاظ أو الحروف في الكلام، فمن ذلك أن (كأين) تجري مجرى (كم) في الاستفهام "إلا أنّ أكثر العرب إنما يتكلمون بها مع (من) قال عز وجل: ﴿وَكَايُنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾" ⁽⁸⁵⁾. وإنما ألزمت (من) توكيداً قال سيبويه: "فإنما ألزموها (من) لأنها توكيد، فجعلت كأنها شيء يتم به الكلام، وصار كالمثل، ومثل ذلك: ولا سيما زيد، فرب توكيد لازم حتى يصير كأنه من الكلمة" ⁽⁸⁶⁾.

7 - علّة الثقل: وهي من العلل الكثيرة في كتاب سيبويه ومؤداها أن العرب يستثقلون عبارة، أو حرفاً، أو حركة وأكثر ما يكون ذلك فيما كثر



دورانه في كلامهم فيفرون منه إلى ما هو أخف عليهم، فالقصد من هذه العلة كالقصد من علة التخفيف لأن مؤداهما واحد وهو طلب الخفة في الكلام إذ ترى الدكتور خديجة الحديثي أن "هذه العلة هي من حيث النتيجة عين علة التخفيف أو الاستخفاف"⁽⁸⁷⁾، فالعرب يجعلون الممنوع من الصّرف في موضع الجر مفتوحاً لأنهم يستثقلون الكسرة فيه لأنه ضارع الفعل بثقله ، إذ قال سيبويه : "واعلم أن ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام ووافقه في البناء أجري لفظه مجرى ما يستثقلون ومنعوه ما يكون لما يستخفون وذلك قولك : أبيض وأسود وأحمر وأصفر، فهذا بناء اذهب وأعلم ، فيكون في موضع الجر مفتوحاً، استثقلوه حين قارب في الكلام ووافق في البناء"⁽⁸⁸⁾.

8 - علّة الحمل على المعنى : ويعتمد التعليل بها على المفهوم العام للكلام أي على معناه الذي يفهم منه فلذلك توجب هذه العلة التزام ترتيب ما في تراكيب الكلام كالتقديم أو التأخير حفاظاً على صحة المعنى واستقامته، ومن أمثلتها عند سيبويه قوله: " وكأنهم إنما منعهم أن يستعملوا في كدت و عسيت الأسماء لأن معناها ومعنى غيرها معنى ما تدخله (أن) نحو قولهم : خليك أن يقول ذاك ، وقارب أن لا يفعل ، ألا ترى أنهم يقولون : عسى أن يفعل ، ويضطر الشاعر فيقول : كدت أن ، فلما كان المعنى فيهن ذلك تركوا الأسماء لئلا يكون ما هذا معناه كغيره، وأجروا اللفظ كما أجروه في كنت ، لأنه فعل مثله".⁽⁸⁹⁾ ومن أمثلتها أيضاً تعليل سيبويه لعدم جواز الاختصار على أحد مفعولي ظن وأخواتها، إذ يقول : ((وإنما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين هاهنا أنك إنما أردت أن تبين ما استقر عندك من حال المفعول الأول يقينا كان أو شكاً، وذكرت الأول لتعلم الذي تضيف إليه ما استقر عندك، من هو ، فإنما



ذكرت ظننت ونحوه لتجعل خبر المفعول الأول يقيناً أو شكاً ولم ترد أن تجعل الأول فيه الشك أو تقيم عليه في اليقين".⁽⁹⁰⁾.

9 - علة طول الكلام : وهي علة تؤدي إلى اختيار العرب ما هو أخف في الكلام ليتناسب مع ذلك الطول قال أحد الباحثين⁽⁹¹⁾ : "والتعليل بطول الكلام يعني ان الناطق يخفف الجهد فيستخدم أسلوباً ما من الأساليب أو يفضل حركة تكون أخف من سائر حركات الإعراب كحركة النصب"، فالمنادي المضاف طال بالمضاف إليه ، والشبيه بالمضاف طال بما بعده ، والنكرة غير المقصودة طالت بالتنوين فاختارت العرب لهذه الأقسام من المنادى أخف الحركات وهي الفتحة تناسباً مع طول الكلام . إذ قال سيبويه : " وزعم الخليل - رحمه الله - أنهم نصبوا المضاف نحو : يا عبدا لله ، يا أخانا ، والنكرة حين قالوا : يا رجلاً صالحاً ، حين طال الكلام ، كما نصبوا هو قبلك وهو بعدك "⁽⁹²⁾ وقال أيضاً: " وقال الخليل - رحمه الله- : إذا أردت النكرة فوصفت أو لم تصف فهذه منصوبة ، لأن التنوين لحقها فطالت ، فجعلت بمنزلة المضاف لما طال نصب ورد إلى الأصل ، كما فعل ذلك بقبل وبعد "⁽⁹³⁾.

10 - علة علم المخاطب : وتأتي عند سيبويه لتفسر لنا الاستغناء عن بعض الأشياء في الكلام لأنها معلومة لدى المخاطب فهي إذن "تعتمد على السياق العام في الاستعمال اللغوي وعلى التواصل بين المتكلم والمخاطب".⁽⁹⁴⁾ ، ومن أمثلتها : " واعلم أن (أن) لا تظهر بعد (حتى وكي) كما لا يظهر بعد أما الفعل في قولك : أما أنت منطلقاً انطلقت ... واكتفوا عن إظهار (أن) بعدهما بعلم المخاطب أن هذين الحرفين لا يضافان إلى فعل وأنهما ليسا مما يعمل في الفعل ، وأن الفعل لا يحسن بعدهما إلا أن يحمل على (أن) فإن هاهنا بمنزلة الفعل في أما وما كان بمنزلة أما لا يظهر



بعده الفعل ، فصار عندهم بدلاً من اللفظ بـ (أن).⁽⁹⁵⁾، وقد يضيف إليها علة أخرى كالتخفيف مثلاً في نحو قوله : " هذا باب يحذف فيه المستثنى تخفيفاً ، وذلك في قولك : (ليس غير) و (ليس إلّا) كأنه قال : ليس إلّا ذاك وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوه تخفيفاً واكتفاء بعلم المخاطب".⁽⁹⁶⁾

11 - علّة العوض: وهي علة من العلل التي ذكرها "الدينوري الجليس" والتي تطرد على كلام العرب وشرحها التاج بن مكتوم بقوله: "وعلة تعويض مثل تعويضهم الميم في (اللهم) من حرف النداء"⁽⁹⁷⁾، وتأتي عند سيبويه لتفسير لحاق بعض الحروف أو الكلمات للتراكيب أو العبارات التي يفترض أنها قد حذفت منها بعض أجزائها فعوض عنها فهذه العلة "تقوم على افتراض أصل مقدر حذف وعوض عنه"⁽⁹⁸⁾. ومن أمثلتها عند سيبويه تعليله للحاق النون بالاسم المثنى نحو : رجلان، ورجلين ، إذ يقول : "وتكون الزيادة الثانية نوناً ، كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين ، وهي النون وحركتها الكسر وذلك في قولك : هما الرجلان، ورأيت الرجلين ، ومررت بالرجلين "⁽⁹⁹⁾، ومن أمثلتها تعليله للحاق (ما) بعد (أن) المصدرية عند حذف (كان) وبقاء اسمها وخبرها في نحو: أما أنت منطلقاً انطلقت معك والأصل : إن كنت منطلقاً انطلقت معك ، إذ قال سيبويه: "فإنما هي (أن) ضمت إليها (ما) وهي (ما) للتوكيد ولزمت كراهية أن يجحفوا بها لتكون عوضاً من ذهاب الفعل كما كانت الهاء والألف عوضاً في الزنادقة واليماني من الياء".⁽¹⁰⁰⁾

12 - علّة الفرق: وردت في مواضع عديدة في كتاب سيبويه ، والتعليل بها ينسب إلى العرب اللجوء إلى استعمال ما بغية التفرقة بين أمرين لو لم يفرقوا بينهما لأدى ذلك إلى التباس ، "وهي علة تتصل بقصد الإبانة إذ يعطى للحكمين المتشابهين مظهران مختلفان توخياً لدقة الدلالة".⁽¹⁰¹⁾



ومثال ذلك ما علله سيبويه في فتح نون جمع المذكر السالم وكسرون المثنى في نحو : مسلمون ومسلمان ، إذ فتحوا نون جمع المذكر السالم ليفرقوا بينه وبين المثنى قال سيبويه : " وإذا جمعت على حد التثنية ، لحقتها زائدتان قال : الأولى منهما حرف المد واللين ، والثانية نون ، وحال الأولى في السكون وترك التنوين وأنها حرف الإعراب حال الأولى في التثنية ، إلا أنها واو مضموم ما قبلها في الرفع ، وفي الجر . والنّصب ياء مكسور ما قبلها ونونها مفتوحة ، فرقوا بينها وبين نون الاثنين كما أن حرف اللين الذي هو حرف الإعراب مختلف فيهما" .⁽¹⁰²⁾ وقد ترد عند سيبويه في بعض الأحيان بمصطلح (الفصل) كقوله : " واعلم انك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان : الأولى منهما حرف المد واللين وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون ، يكون في الرفع ألفاً ، ولم يكن واوا ليفصل بين التثنية والجمع الذي على حد التثنية ، ويكون في الجرياء مفتوحاً ما قبلها ، ولم يكسر ليفصل بين التثنية والجمع على حد التثنية" .⁽¹⁰³⁾ ، فالمثنى لا يرفع بالواو ، ولا يكسر ما قبل يائه في النّصب والجر فصلاً بينه وبين جمع المذكر السالم .

13 - علّة القبح : وردت في مواضع كثيرة في كتاب سيبويه وتقوم على قبح أمر من الأمور في العبارة أو الكلمة فيفرون منها إلى ما يحسن ويستحب⁽¹⁰⁴⁾ ، وهي علة تأتي عند صاحب الكتاب لتفسير التزام العرب استعمالاً ما وتركهم الاستعمال الآخر الذي قد يجوز ولكنه قبيح لأنه قد يكون خلاف الأصل ، ومثال ذلك علة نصب تمييز (كم الخبرية) إذا فصل إذ يقول سيبويه : " وإذا فصلت بين كم وبين الاسم بشيء استغنى عليه السكون أو لم يستغن فاحمله على لغة الذين يجعلونها بمنزلة اسم منون ، لأنه قبيح أن يفصل بين الجار والمجرور ؛ لأن المجرور داخل في الجار فصارا كأنهما



كلمة واحدة " (105)، وقد تأتي عنده بلفظ (الكراهية) كقوله: "وسألته - رحمه الله - عن الضاربي فقال هذا اسم ويدخله الجر، وإنما قالوا في الفعل: ضربني، ويضربني، كراهية أن يدخلوا الكسرة في هذه الباء كما تدخل الأسماء فمنعوا هذا أن يدخله كما منع الجر". (106)

14 - علّة القرب أو المجاورة: القرب أو المجاورة عند سيبويه والبصريين علة تجعل الشيء يجري على شيء آخر لمجاورته إيّاه حتى وإن كان ذلك خارجاً على القياس "ومما يدل على رعايتهم جانب القرب والمجاورة أنهم قالوا: جحرضب خرب، وماء شن بارد فاتبعوا الأوصاف إعراب ما قبلها وإن لم يكن المعنى عليه ألا ترى أن الضب لا يوصف بالخراب والشن لا يوصف بالبرودة وإنما هي من صفات الجحر والماء". (107)، وقد ترجح هذه العلة عمل عامل دون غيره لقرب جواره للمعمول، مثال ذلك أن سيبويه والبصريين يعملون الفعل الثاني من الفعلين المتنازعين لقرب جواره للاسم يقول سيبويه: "هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به وما كان نحو ذلك وهو قولك: ضربت وضربني زيد وضربني وضربت زيداً، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه ... وإنما كان الذي يليه أولى لقرب جواره وأنه لا ينقض معنى وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد، كما كان خشنت بصدرة وصدريزيد، وجه الكلام، حيث كان الجر في الأول، وكانت الباء أقرب إلى الاسم من الفعل، ولا تنقص معنى، سوّوا بينهما في الجر كما يستويان في النصب". (108)

15 - علّة كثرة الاستعمال: وهي علة لغوية تؤدي إلى التغيير، قال ابن يعيش: "لكثرة الاستعمال أثر في التغيير، إلا تراهم قالوا: إيش والمراد: أي شيء، وقالوا: لا أدري فغيروا هذه الأشياء عن مقتضاها لضرب من



التخفيف عند كثرة الاستعمال".⁽¹⁰⁹⁾ ، ويرى الأخفش (ت 215 هـ) أن ما غير لكثرة استعماله إنما تصورته العرب قبل وضعه وعلمت أنه لابد من استعماله ، فابتدءوا بتغييره ، علماً بأن لابد من كثرة استعماله الداعية إلى تغييره كما قالوا :

رأى الأمر يُفْضي إلى آخرٍ فَيُصَيِّرُ آخرُهُ أولاً⁽¹¹⁰⁾

فكثرة الاستعمال علة توجب في اللفظ ما لا توجب في غيره فاللفظ إذا كثرا استعماله قد يحذف كله أو بعضه أو يلحق به أو تجوز فيه أشياء ما لا تجوز في غيره، قال السخاوي: "هم يغيرون الأكثر ويحذفون منه كما فعلوا في : لم ابل ، وربما الحقوا فيه كقولهم : أمهات وكقولهم : اللهم ، ويا أبت ويا أمت ."⁽¹¹¹⁾

وعلة كثرة الاستعمال وردت في كتاب سيبويه في عدة مواضع : ولا تكاد تخلو منها مسألة جزئية من الجزئيات التي تتناول الواقع اللغوي⁽¹¹²⁾ . وتأتي في كثير من الأحيان – لتفسر لنا حذف بعض الحروف من الكلمة أو حذف بعض الألفاظ من الكلام وقد أشار الأستاذ عبد السلام محمد هارون إلى كثير من المواضع التي حذف فيها لكثرة الاستعمال⁽¹¹³⁾ .

ومن أمثلتها عند سيبويه تعليله لحذف الخبر بعد (لولا) إذ قال : " هذا باب من الابتداء يضمرفيه ما يبني على الابتداء . وذلك في قولك : لولا عبد الله لكان كذا وكذا ... وكان المبني عليه الذي في الإضمراكان في مكان كذا وكذا ، فكأنه قال: لولا عبد الله كان بذلك المكان ولولا القتال كان في زمان كذا وكذا ، ولكن هذا حذف لكثرة استعمالهم إيّاه في الكلام كما حذف الكلام من (أما لا) وزعم الخليل – رحمه الله – أنهم أرادوا أن كنت لا تفعل غيره فافعل كذا وكذا أما لا ، ولكنهم حذفوه لكثرتهم



في الكلام...⁽¹¹⁴⁾، وقد تأتي كثرة الاستعمال عند سيبويه علة لحذف بعض العوامل كحذف الفعل في التحذير يقول سيبويه: "وحذفوا الفعل من إياك لكثرة استعمالهم إياه في الكلام فصار بدلاً من الفعل ..."⁽¹¹⁵⁾، وحذف العامل في المفعول به وجوباً، وحذف العامل في الحال وجوباً، وحذف العامل في المنادى⁽¹¹⁶⁾، وأكثر علل النداء في الكتاب ترجع إلى كثرة الاستعمال كقول سيبويه: "واعلم أن الترخيم لا يكون إلا في النداء إلا إن يضطر شاعر، وإنما كان ذلك في النداء لكثرتة في كلامهم، فحذفوا ذلك كما حذفوا التنوين وكما حذفوا الياء من قومي ونحوه في النداء".⁽¹¹⁷⁾

16 - علّة المشابهة: التعليل بالمشابهة تزخر به كتب النحاة، متقدمين ومتأخرين، فهي ملجأ النحاة حين يجدون ما يخرق أصولهم في كثير من الأحيان، إذ أنهم قسموا الكلام إلى ثلاثة أقسام وأعطوا كل قسم حده وأصوله، وحين يخرج الاستعمال اللغوي إلى غير ما بنوا تكون المشابهة هي المتكأ للخروج من هذه الأشكال اللغوية⁽¹¹⁸⁾. وهي علة لغوية كثيرة الورد، فسيبويه وهو يعالج مختلف موضوعات اللغة يسعى إلى أن يجمع شتات هذه الموضوعات لينظمها في خيط واحد حتى تكون بمثابة القانون العام الذي ينظم تعليم اللغة إذ أن اللغة ليست نظاماً محكماً مطرداً ولذلك وضع سيبويه العلل اللغوية ليقرب بين هذه الأشياء المتباعدة حتى تبدو اللغة أقرب ما تكون إلى التجانس والاطراد، ومن هذه العلل التي تحقق لسيبويه ما أراده وابتغاه علة الشبه، فقد علل بها لكل ظاهرة لغوية خالفت ما قرره وأصله فشبهها بما ثبت واستقر من القواعد المقررة⁽¹¹⁹⁾.

والمشابهة علة عند سيبويه تلحق الشيء بشبيهه في الحكم وتخرجه عن أصله وليس شرطاً أن يكون الشبه في كل شيء فيكفي أدنى وجه



للمشابهة ليجعل منه سيبويه علّة مشابهة ينسبها إلى العرب وهذه حقيقة أكدها سيبويه قائلاً: "ومن كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع الأشياء".⁽¹²⁰⁾

ومن أمثلتها عند سيبويه قوله: "ولا تفصل بين شيء مما ينصب الفعل وبين الفعل سوى إذن ، لأن إذن اشبهت أرى ، فهي في الأفعال بمنزلة أرى في الأسماء وهي تلغى وتقدم وتؤخر فلما تصرف هذا التصرف اجترؤوا على أن يفصلوا بينهما وبين الفعل باليمين".⁽¹²¹⁾ ، وقد يسميها في بعض المواضع (المضارعة)⁽¹²²⁾ ، كعلة إعراب المضارع لمضارعتة الاسم ، وعلة بناء الفعل الماضي على الفتح لا السكون لمضارعتة المضارع⁽¹²³⁾ .

17 - علّة المشكلة أو المناسبة : وهي علّة قد تعتمد في أكثر الأحيان على اللفظ إذ تؤدي إلى اختيار أمر من الأمور دون غيره لأنه يؤدي إلى المشكلة أو المطابقة في الكلام وتطابق الألفاظ و تشاكلها أفضل من تخالفها . فمن ذلك أن الاسم المشغول عنه إذا عطف على جملة فعلية نحو : رأيت زيداً وعمراً كلمته ، فالمرجح نصب هذا الاسم طلباً للمناسبة بين الجملتين لأن من نصب فقد عطف جملة فعلية على فعلية ، ومن رفع فقد عطف اسمية على فعلية . وتناسب المتعاطفين أفضل من تخالفهما ، إذ قال سيبويه : " وإنما اختير النصب هاهنا لأن الاسم الأول مبني على الفعل ، فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم ... ليجري الآخر على ما جرى عليه الذي يليه قبله . إذ كان لا ينقض المعنى لوبنيته على الفعل ... فكان أن يكون الكلام على وجه واحد – إذا كان لا يمتنع الآخر من أن يكون مبنيًا على ما بني عليه الأول – أقرب في المأخذ".⁽¹²⁴⁾

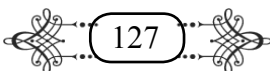


18 - علّة النّظير: وهي علّة تجعل الشيء يجري على شيء آخر في الإعراب لمناظرته له في أمر من الأمور وقد ذكرها الجليس النحوي⁽¹²⁵⁾ ، ضمن ما صنفه من علل تطرد على كلام العرب وشرحها التاج بن مكتوم قائلاً: "وعلة نظير مثل كسرهم احد الساكنين إذا التقيا في الجزم حملاً على الجر إذ هو نظيره"⁽¹²⁶⁾.

وقد علل بها سيبويه ووردت مرات عديدة في كتابه فتاء جمع المؤنث السالم تكسر في النصب وعلة ذلك لأن هذه التاء في التأنيث نظيرة واو وياء جمع المذكر السالم في التذكير فأجروها مجراها في النصب ، إذ قال سيبويه: "ومن ثم جعلوا تاء الجمع في الجر والنصب مكسورة ، لأنهم جعلوا التاء التي هي حرف الإعراب كالواو والياء ، والتنوين بمنزلة النون ، لأنها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فأجروها مجراها"⁽¹²⁷⁾.

فهذه أشهر العلل في كتاب سيبويه لمسائل النحو لأنها الأكثر شيوعاً واطراداً في الكلام ، على أن هناك عللاً أخرى غير ما ذكرنا قد علل بها سيبويه ولكنها لم يكثر ورودها في الكتاب ككثرة هذه العلل وقد أشارت إليها الدكتورة خديجة الحديثي في كتابيها: دراسات في كتاب سيبويه⁽¹²⁸⁾ ، والشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه.

ولذلك فإن هذه العلل التي ذكرناها ليست كل العلل في الكتاب وإنما المشهور منها وهي كافية لإعطاء صورة واضحة عن أنواع العلل في الكتاب ، وكلها تدلنا على اهتمام سيبويه وشيخه الخليل بالعلّة النحوية واستفادتهما منها في تثبيت الأحكام أو شرحها وتفسيرها لتثبت في ذهن الدّارس والمتعلم ، ويستطيع بها مقارنة حكم بآخر ، والتفريق بينها ، والموازنة بين الأحكام المختلفة على اختلاف المواضع التي يحتاجون فيها إلى التعليل.





الهوامش :

- 1 - ينظر :لسان العرب: 11 / 6 ، مادة (علل).
- 2 - المصدر السابق : 11/ 471 ، مادة(علل).
- 3 - ينظر :القاموس المحيط: 4/ 21.
- 4 - الحدود في النحو للرماني ص: 38.
- 5 - النحو العربي ، العلة النحوية ص: 90.
- 6 - أصول النحو العربي ص: 108.
- 7 - لمع الأدلة ص: 93.
- 8 - المصدر السابق ص: 93.
- 9 - المصدر نفسه ص : 93.
- 10 - ينظر : مدرسة البصرة ص: 248.
- 11 - ينظر :لمع الأدلة ص: 93.
- 12 - أصول التفكير النحوي ص: 166.
- 13 - ينظر : دراسات في كتاب سيبويه ص: 155.
- 14 - ينظر : مكانة الخليل بن أحمد في النحو الغربي ص: 85.
- 15 - ينظر : إحياء النحو ص: 10 - 11.
- 16 - أصول التفكير النحوي ص: 62، و ينظر :العلّة النحوية بين النظرية والتطبيق ص: 167.



- 17 - من أعلام البصرة ، سيبويه ص: 100.
- 18 - ينظر : مدرسة البصرة ص: 263.
- 19 - ينظر : طبقات فحول الشعراء ص: 6.
- 20 - ينظر : طبقات النحويين واللغويين ص: 25.
- 21 - ينظر : إنباه الرواة : 2/ص 105.
- 22 - ينظر : طبقات النحويين واللغويين ص: 36.
- 23 - ينظر : أصول التفكير النحوي ص: 167.
- 24 - ينظر : مكانة الخليل بن أحمد ص: 87.
- 25 - أصول التفكير النحوي ص: 168.
- 26 - المرجع السابق ص: 168.
- 27 - مدرسة البصرة ص: 269.
- 28 - الكتاب : 1/ص 32.
- 29 - المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ص: 82.
- 30 - ينظر : مكانة الخليل ص: 103.
- 31 - ينظر : أصول التفكير النّحوي : 173، مكانة الخليل ص: 103.
- 32 - ينظر : مكانة الخليل ص: 103.
- 33 - ينظر : الشاهد وأصول النحوي كتاب سيبويه ص: 319.
- 34 - دراسات في كتاب سيبويه ص: 158، وينظر : الشاهد و أصول النحوي كتاب سيبويه ص: 319.



- 35 - ينظر :النحو العربي،العلّة النحوية ص:67-68، والشاهد وأصول النحوي في كتاب سيبويه ص:319.
- 36 - ينظر : الفهرست ص:84.
- 37 - ينظر : معجم الأدباء 7/ 218 - 222.
- 38 - ينظر : الشاهد وأصول النحوي في كتاب سيبويه ص : 322.
- 39 - ينظر : الأصول في النحو ص: 1 / 38.
- 40 - ينظر : الإيضاح في علل النحو ص: 64.
- 41 - ينظر : الرد على النحاة ص: 151 - 152.
- 42 - ينظر : الاقتراح ص: 75-82.
- 43 - ينظر : المصدر السابق ص: 82 - 88.
- 44 - ينظر : المصدر نفسه ص: 88 - 97.
- 45 - ينظر : الشاهد وأصول النحوي في كتاب سيبويه ص: 347.
- 46 - ينظر : الرد على النحاة ص: 151 - 152.
- 47 - ينظر : منهج السالك لأبي حيان ص: 229 - 230.
- 48 - ينظر : الخصائص : 1 / 184 - 186.
- 49 - ينظر : منهج السالك لأبي حيان ص: 231.
- 50 - الاقتراح ص: 70.
- 51 - ينظر : الإيضاح في علل النحو : المقدمة : د-هـ.



- 52 - ينظر : سر الفصاحة ص: 33 ، ورأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية ص: 60 .
- 53 - ينظر : النحو العربي ، العلة النحوية ص: 163 - 164 .
- 54 - مدرسة البصرة ص: 276 .
- 55 - ينظر : نحو التيسير ص: 45 .
- 56 - ينظر : دراسات نقدية في النحو العربي ص: 29 - 30 .
- 57 - ينظر : الشاهد وأصول النحوي كتاب سيبويه : 323 - 324 ، أبو عثمان المازني : 145 - 158 .
- 58 - ينظر : أصول النحو العربي : 113 - 114 .
- 59 - ينظر : الكتاب : 5/ 330 - 333 .
- 60 - ينظر : دراسات في كتاب سيبويه : 197 - 212 .
- 61 - الدكتور شعبان العبيدي ينظر كتابه : التعليل اللغوي في كتاب سيبويه : 91 ، 246 - 311 .
- 62 - الأشباه والنظائر : 1/ 61 .
- 63 - ينظر : الخصائص : 1/ 271 ، الأشباه والنظائر : 1/ 61 ، أبو عثمان المازني : 155 .
- 64 - الأشباه والنظائر : 1/ 61 .
- 65 - ينظر : الشاهد وأصول النحوي الكتاب : 378 - 379 ، علل النحو لابن الوراق : 68 .



- 66 - الكتاب : 1/ 25، وينظر : 3/ 121.
- 67 - المصدر السابق : 2/ 351 - 352 .
- 68 - المصدر نفسه : 3/ 158 ، وينظر : 2/ 347 ، 366 - 367 ، 383 - 384
- 69 - المصدر نفسه : 2/ 36 - 37.
- 70 - المصدر نفسه : 2/ 389 ، وينظر : 1/ 244 .
- 71 - الأشباه والنظائر : 1/ 309.
- 72 - ينظر: العربية والغموض : 116 نقلا عن التعليل اللغوي في كتاب سيبويه : 297 .
- 73 - الكتاب : 3/ 106 - 107 .
- 74 - المصدر نفسه : 2/ 139.
- 75 - ينظر : علل النحو لابن الوراق : 66.
- 76 - أصول النحو العربي : 114.
- 77 - ينظر : التعليل اللغوي في كتاب سيبويه : 250.
- 78 - الكتاب : 2/ 160.
- 79 - المصدر نفسه : 2/ 162 ، وينظر للتعليل بها : 1/ 165 - 166 ، 203 ، 2/ 161 ، 172 ، 208 ، 210 .
- 80 - المصدر نفسه : 1/ 14.
- 81 - المصدر نفسه : 1/ 20 - 21.



- 82 - المصدر نفسه : 2/ 131، وينظر: 1/ 46 ، 57 ، 59 ، 252-253 ، 286/ 3.
- 83 - المصدر نفسه : 1/ 14.
- 84 - ينظر : التعليل اللغوي في كتاب سيبويه : 308.
- 85 - الحج : من الآية 48 ، والطلاق : من الآية 8 ، الكتاب: 2/ 170.
- 86 - الكتاب : 2/ 171 وينظر: 1/ 44.
- 87 - دراسات في كتاب سيبويه : 202 .
- 88 - الكتاب: 1/ 21.
- 89 - المصدر السابق: 3/ 12.
- 90 - المصدر نفسه: 1/ 40 وينظر: 1/ 45 ، 47 - 48 ، 54 - 55 ، 120 ، 142.
- 91 - الدكتور شعبان عوض العبيدي في كتابه التعليل اللغوي في كتابه سيبويه : 277.
- 92 - الكتاب : 1/ 182 - 183.
- 93 - المصدر نفسه: 2/ 199 وينظر: 2/ 378.
- 94 - التعليل اللغوي في كتاب سيبويه : 306.
- 95 - الكتاب : 3/ 7 وينظر: 2/ 297، 6.
- 96 - المصدر نفسه : 344-345/ 2 .
- 97 - الاقتراح : 71 - 72.



- 98 - التعليل اللغوي في الكتاب : 270 وينظر : الكتاب : 1 / 25.
- 99 - الكتاب : 1 / 17 - 18.
- 100 - المصدر نفسه : 1 / 293 - 294 ، وينظر : 2 / 196 ، 211 ، 3 / 167.
- 101 - علل النحولابن الوراق : 67.
- 102 - الكتاب : 1 / 18 وينظر : 1 / 13 ، 2 / 376 - 377 .
- 103 - المصدر نفسه : 1 / 17 ، وينظر : 2 / 37 - 38 .
- 104 - ينظر : دراسات في كتاب سيبويه : 203 ، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : 375 - 377 .
- 105 - الكتاب : 2 / 164 ، وينظر : 2 / 378 ، 396 .
- 106 - المصدر نفسه : 2 / 369 وينظر : 2 / 251 ، 364 ، 371 ، 381 ، 3 / 288 ، 113 / 287 - 288 .
- 107 - شرح المفصل : 1 / 79 وينظر : الكتاب : 1 / 436 .
- 108 - الكتاب : 1 / 73 - 74 ، وينظر للتعليل بها : 1 / 88 - 89 .
- 109 - شرح المفصل : 4 / 102 .
- 110 - ينظر : الأشباه والنظائر : 1 / 308 .
- 111 - المصدر السابق : 1 / 308 .
- 112 - ينظر : الشاهد وأصول النحو : 368 ، التعليل اللغوي في كتاب سيبويه : 256 .



- 113 - ينظر : الكتاب (الفهارس التحليلية) : 5 / 300 - 303.
- 114 - الكتاب : 2 / 129.
- 115 - المصدر السابق : 1 / 274 .
- 116 - ينظر : المصدر نفسه : 1 / 280 - 283.
- 117 - ينظر : المصدر نفسه : 1 / 290.
- 118 - ينظر : المصدر نفسه : 1 / 291.
- 119 - المصدر نفسه : 2 / 239 وينظر : 2 / 195 ، 214 ، 256.
- 120 - ينظر : المشابهة في النحو العربي : التمهيد : هـ .
- 121 - ينظر : التعليل اللغوي في كتاب سيبويه : 279.
- 122 - الكتاب : 3 / 278.
- 123 - المصدر نفسه : 3 / 12 - 13.
- 124 - ينظر : الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : 380 ، دراسات في كتاب سيبويه : 206.
- 125 - ينظر : الكتاب : 1 / 13 - 14 .
- 126 - ينظر : المصدر السابق : 1 / 16.
- 127 - المصدر نفسه : 1 / 88 .
- 128 - المصدر نفسه : 1 / 18 .



المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم.

1 - أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو : رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ، 1969م.

2 - إحياء النحو : إبراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1937م.

3 - الأشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1990م.

4 - أصول التفكير النحوي: د.علي أبو المكارم ، مطابع دار القلم ، بيروت، 1973م .

5 -الأصول في النحو : أبو بكر بن السراج البغدادي (ت316هـ) ، تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي ، الجزء الأول : مطبعة النعمان ، النجف الأشرف، 1973م ، الجزء الثاني : مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد، 1973م.

6 -أصول النحو العربي: محمد خير الحلواني ، حلب ، 1979م .

7 -الاقتراح في علم أصول النحو : جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد حسن إسماعيل الشافعي الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م.

8 -أنباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت 646 هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1952م .



9 -الإيضاح في علل النحو : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت 337 هـ) تحقيق:د.مازن المبارك الطبعة الثالثة ، دار النفائس، بيروت 1979م .

10 - التعليل اللغوي في كتاب سيبويه : د. شعبان عوض محمد العبيدي ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ، ليبيا 1999م .

11 -الحدود في النحو : علي بن عيسى الرماني (ت 384 هـ) ، تحقيق : د.مصطفى جواد ، ويوسف مسكوني بغداد ، 1969م .

12 -الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، الطبعة الرابعة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1990م .

13 -دراسات في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ، دار غريب للطباعة القاهرة 1980م .

14 - دراسات نقدية في النحو العربي : د. عبد الرحمن أيوب ، مكتبة الأنجلو- المصرية القاهرة ، 1960م .

15 -رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية : عباس حسن ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، 1951م .

16 - الرد على النحاة : ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ)،تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار الفكر العربي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1947م .

17 -سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ، 1953م .



- 18 - الشاهد وأصول النحوي كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ،
مطبعة مقهوري الكويت، 1974م.
- 19 - شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش النحوي (ت 643 هـ) ، عالم
الكتب بيروت (د.ت).
- 20 - طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي (ت 231 هـ) ،
الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت (د.ت).
- 21 - طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدي (ت 379 هـ) ، تحقيق:
محمد ابر الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر 1984م.
- 22 - العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبني على المعنى :
د.حلمي خليل الطبعة الأولى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1988م.
- 23 - العلة النحوية بين النظرية والتطبيق : نهاد فليح حسن ، مجلة
آداب المستنصرية ، العدد الرابع عشر ، 1986م.
- 24 - علل النحو: أبو الحسن محمد بن عبد الله الوراق ، تحقيق:
د.محمود جاسم الدرويش ، بيت الحكمة ، بغداد ، 2002م.
- 25 - الفهرست: محمد بن إسحاق النديم (ت 380 هـ) ، دار المعرفة ،
بيروت (د.ت).
- 26 - في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي ، الطبعة الأولى،
المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت 1964م.
- القاموس المحيط: الفيروزآبادي ، مطبعة السعادة بمصر (د.ت) .



27 - كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977 .

28 - لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ) دار إحياء التراث العربي 1985م.

28 - لمع الأدلة في أصول النحو : أبو البركات بن الأنباري ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، الطبعة الثانية ، دار الفكر بيروت 1971م

29 - المدارس النحوية : د. شوقي ضيف، الطبعة الرابعة ، دارالمعارف بمصر 1979م.

30 - مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها : د. عبد الرحمن السيد، الطبعة الأولى ، مطابع سجل العرب ، 1968م.

31 - معجم الأدباء : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ) الطبعة الثانية ، طبعة مرج ليوث مصر 1973م.

32 - مكانة الخليل بن احمد في النحو العربي : د. جعفر نايف عابنة، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان 1984م.

33 - المشابهة في النحو العربي : نعمان عنبر الإبراهيمي : رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة البصرة 2002م.

34 - من أعلام البصرة ، سيبويه، هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه: د. صاحب أبو جناح ، دار الحرية للطباعة بغداد 1974م.



- 35 - منهج السالك في الكلام على ألفية بن مالك : أبو حيان النحوي
الأندلسي ، تحقيق: سدني جليزر ، المطبعة الأمريكية ، نيوهافن 1974م.
- 36 - نحو التيسير : د. احمد عبد الستار الجوّاري ، جمعية نشر العلوم
والثقافة 1962م.
- 36 - النحو العربي ، العلّة النحوية ، نشأتها وتطورها : د. مازن المبارك ،
الطبعة الثالثة ، دار الفكر بيروت 1974م.

بوادر الدرس الصوتي عند العرب

د/ والي دادة عبد الحكيم (ج. تلمسان)

يشكل الصّوت الإنساني المادّة الأولى في الدراسات اللغوية لأيّ لسان من الألسن البشرية، وتعد الدراسات الصّوتية قديما من أصل العلوم عند العرب، لأنها اتصلت مباشرة بتلاوة القرآن الكريم لضبط أدائه.

اعتنى العرب باللغة العربية قبل الإسلام، وبعده كان الاعتناء بها للحفاظ على القرآن الكريم من اللّحن والتّحريف، وذلك بعدما سُمعت بعض مظاهر اللّحن في لغة القرآن من أفواه من دخل الإسلام من غير العرب ومن العرب أنفسهم ، مما دعا علماء العربية إلى المسارعة في وضع سياج يحفظها ويصون قواعدها للحيلولة بين القرآن وهذه المظاهر. فنشأت الدّراسات اللغوية عند العرب وتطورت في ظل القرآن الكريم واهتموا بمستويات اللّغة صوتا ونحوا وصرفا وتركيبا. ولعلّ بوادر الدّراسات الصّوتية كانت التي قام بها أبو الأسود الدؤلي (ت69هـ) من خلال ضبط إعراب القرآن بالنّقط، وذلك بملاحظة حركة الشفتين بقوله لكتابه: "إذا رأيتني قد فتحت فمي فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه ، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف" ⁽¹⁾. وإنما هذا يدل على أن أبا الأسود لاحظ أثر الشفتين في نوعية الصوت الذي يسميه المحدثون بالصائت وهذه إشارة إلى خاصية من خواص الحركات، فكانت المبادرة



الأولى لءءءء رموز للأصواء الصاءة القصيرة المصاحبة للصوت الصاءم".⁽²⁾ فعمل أبى الأسود وإن كان ىءف إلى المءافظة على لغة القرآن إلا أنه مءصل بالصوءىاء أوءق صلة. كما ءعدّ ءهود نصر بن عاصم • (ء 89هـ) و ىحى بن ىعمر •• (ء 129هـ) فى عءم ءروف الهءاء عملا فى صمىم الءرس الصوءى، إذ أعءما المصءف الشرف لأول مرة ونقطا ءمىع ءروفه المءشابهة، والءزما ألا ءزىء النقط فى أى ءرف على ءلاء، فكان له أءره العظمى فى إزالة الإءكال واللبس عن المصءف⁽³⁾، وءىرها من الأعمال الءى قام بها أولاءك الأفءاذ من علماء العربىة أمءال: عبء الرءمان بن هرمز وعبسة بن معءان وعبء الله بن اسءاق وأبوعمر بن العلاء وعىسى بن عمرو ىونس بن ءبىب.⁽⁴⁾

اهءم العرب بالءراسة الصوءىة من ءانبىها: ءراسة الأصواء المءرءة وءراسة الأصواء من ءلال الظواهر الصوءىة -Phonologie- Phonétique.

أما ءانب الأول من علم الأصواء العام فنءءه فى ءاب العىن للءلىل ابن أءمء الفراهىءى (ء 175هـ) الءى بء فىه آراءه الصوءىة، فهو أول من صنف ءروف العربىة ءصنىفا صوءىا، إذ رءب معءمه ءسب مءارء ءروف، فبءأ بأبعء الأصواء مءرءا. فوءء أعمق الأصواء الهمزة، لءنه لم ىبءأ بها لأنها مءقلبة لاءسءقر على ءال ولا صورة ءابءة لها فى النطق أو ءءابة، ءم قارن بىن العىن والءاء فوءء أن العىن أنصع فى النطق فبءأ بها ىقول الللىل: "فأقصى ءروف ءلها العىن ءم ءاء"⁽⁵⁾، قال ابن كىسان: "سمءء من ىذكر عن الللىل أنه قال: لم أبءأ بالهمزة لأنه ىلءقها النقص والءغىىر والءذف، ولا بالألف لأنها لا ءكون فى ابءءاء ءلمة ولا فى اسم ولا



فعل إلآ زائءة أو مبدلة؁ ولا بالهاء لأئها مهموسة خفية لا صوت لها؁ فنزلت إلى الءيز الأاني وفيه العين والءاء فوءءت العين أنصع (الءهر والقوة) الءرفين؁ فابءءأت به ليكون أءسن في التأليف. (6) وعلى هذا النحو مضى إلى أن رتب الءروف ترتيبا صوتيا محضا. كما توصل الءليل من ءلال هذا التصنيف إلى تقسيمها: أصوات صامئة وأءرى صائئة يقول في العين: "في العربية تسعة وعشرون ءرفا منها خمسة وعشرون ءرفا صءاها لها أءيازومءارج؁ وأربعة أءرف ءوفية وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة وسميت ءوفا لأنها تءرء من الءوف فلا تقع في مءرءة من مءارج اللسان؁ ولا من مءارج الءلق؁ ولا من مءرج اللاءة؁ إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها ءيز تنسب إليه إلآ الءوف. (7)

أمآ سيبويه (ت 180هـ) فقد ءتم مؤلفه "الءتاب" بباب الإءغام تناول فيه عءء ءروف العربية ومءارجها وصفاءها؁ فكان ءقيقا في ءءليلاته وتقسيماته ءيآ قءم تصنيفا للأصوات حسب وضع الأوتار الصوتية والءي سماه الءهر والهمس؁ ثم حسب طريقة النطق ليجء الأصوات الشءيدة والرخوة وما بينهما. فضلا عن الظواهر الصوتية الءي ءرسها ءراسة واعية تنم عن إءراك عميق لأسباب تلك الظواهر وأبعاءها الصوتية (8)؁ وتعد ءراسة سيبويه من أصء ءءراسات المءقءمة ومازالء تعد مصءرا أساسيا عىء المءءئين لءراسهم اللسانية والصوتية في العربية.

وقء بين كل من الءليل وسيبويه أن ءروف العربية تسعة وعشرون؁ وهي أصول: "وتكون خمسة وثلاثين ءرفا بءروف هن فروع؁ وأصلها من التسعة والعشرين... وتكون اثنين وأربعين ءرفا... وهذه الءروف الءي



تَمَمَّتْهَا اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ جِيدَهَا وَرَدِيؤُهَا أَصْلُهَا التَّسْعَةُ وَالْعَشْرُونَ، لَا تَتَبَيَّنُ إِلَّا بِالْمَشَافَهَةِ"⁽⁹⁾. وقد نبني على هذا أن فكرة الصَّوت بعدّه وحدة صوتية مجرّدة، وجدت عند القدامى، وإن لم يتّضح مضمونها.

فالملاحظ أن كليهما ا درساً الأصوات دراسة وصفية واقعية قائمة على الملاحظة الذاتية بعيدة عن الافتراض والتأويل.⁽¹⁰⁾

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر أن الخليل وسيبويه كانا دقيقين الحس حيث أعطى الخليل لترتيب الأصوات طابعا جديدا، لم يسبقه -كما هو معلوم- أحد إلى ذلك، فرتب الأصوات بحسب مخارجها لإصدار صوت ما، ثم بحسب مدى وقع هذه الأصوات في الأذن.

ورتب الخليل الأصوات في نظامه المبتدع على النحو التالي: "العين الحاء الهاء الخاء الغين، القاف الكاف، الجيم الشين الضاد، الصاد السين الزاي، الطاء الثاء الذال، الراء اللام النون، الفاء الباء الميم، الواو الألف الياء الهمزة"⁽¹¹⁾.

ولئن كان ظاهر ترتيب الأصوات عند الخليل وسيبويه واحدا، فإن الثَّاني صنّف الأصوات تصنيفا مغايرا لتصنيف أستاذه، إذ بدأ بالهمزة وختمه بالواو، وقال الهمزة: "...نبرة في الصّدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا"⁽¹²⁾.

فرتب الأصوات على الشّكل التّالي: "الهمزة، الألف، والهاء، والعين والحاء، والحاء، والغين، والكاف، والقاف، والضاد والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والذال والطاء، والصاد، والزاي، والسين، والطاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم والواو"⁽¹³⁾.



فهناك ءقءىم وءأخىر فى بعض الأصواء موازنة بىن ءصنىفه وءصنىف أءأذه وءبع سىبوىه فى هءا كلّ من ابن جنى (الخصائص)، (سرصناعة الإعراب) فى الجزء الأول ، ابن الجزرى (النشر فى القراءاء العشر) فى الجزء الأول ، عبء القاهر الجرجانى (المقءصء)، والخفاجى (سرالفصاحة) (14).

وخالف ابن جنى سىبوىه فى ءرىب أصواء الصفىر (السىن، والزى، والصاد) (15). وىرى سعىء النعىمى أنّ اءءلافهما فى ءرىب هءه الحروف فىكون سىبوىه أو ابن جنى قء أحسّ أءءهما بأن ءلأءة من مخرج واءء، لا ىءقءم أىّ منها على غىره، والفرق بىنهما فى الصّفة، فالزى من مخرج السىن إلاّ أنّها مجهورة، والسىن مهموسة، والصاد من مخرج السىن، وهى مهموسة أىضا إلاّ أنّها ءءءلف عىن السىن بالإطباق (16).

فابىن جنى (ء392هـ) من أبرز العلماء الءىىن اسءطاعاوا اسءىعاب نءاج الخلىل وسىبوىه فأفرء عملا كاملا لءراءة الأصواء سمّاه "سرصناعة الإعراب" وهو كءاب ىشمل جمىع أحكام حروف المعجم وأءوال كل حرف منها فى مخرجها ومءارجها، وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها، وشءىءها ورخواها، وصحىحها ومءءلها، ومطبىقها ومنفءءها، وساكنها ومءحركها، ومضغوطها ومءءوءها ومنحرفها ومشرىها، ومسءوىها ومكررها، ومسءطىلها ومنخفضها، إلى غىر ءلك من أجناسها. (17)

كما أن ءعىف ابن جنى للغة كان ءعىفا صوءىا حىن قال فى الخصائص: "أمّا حءّها فىنّها أصواء ىعبّر بها كل قوم عىن أغراضهم." (18) فالواضح أن ابن جنى "قصر اللغة على الأصواء، وأخرج الكءابة من



هءا التعرءف؁ ومعنى هءا أن علماء العربفة لم فءرسوا اللغة باعءبارها لغة مكوءة وإنما باعءبارها لغة منطوءة قائمة على الأصواء؛ أف أنها نظام من الرموز الصوءفة للءواءل أو للتعبفر ءاأل مءءمع".⁽¹⁹⁾ كما عرّف الصوّ بءولة: "اعلم أن الصّوء عرض فءرء مع النّفء مسءطفلا مءّصلا ءقّ فعرض له فف الءلق والفم والشّفءفن مقاطع ءءنفه عئ امةءاءه واسءطالءه ففسى المقطع أفنما عرض له ءرف".⁽²⁰⁾ والمقصوء بالمقطع المكان الءف فععرض ففه الصّوء عائق فمنعه عئ ءرفه واسءطالءه. فمءف انقطع الصّوء باصءطءامه بءاءز؁ فئءر عئ ءلك الاصءطءام الءرف الءف فءءلف صءاء باءءلاف موضعه والأعضاء المءاركة فف إصءاره؁ وقء ءكر هءا ابن ءنف ففن قال عئ الءروف "إن أءراسها ءءءلف باءءلاف مقاطعها"⁽²¹⁾.

فالعءس المرهف الءف امةازبه ابن ءنف ءعله فءمس فمزاء الصّوء الءف ءفرز الءرف عئء منءهى المقطع الءف فقف عئءه الصّوء وفواءل ءءفءه بءولة: "ألا ءرى أنك ءبءءى الصّوء من أقصى ءلقك؁ ءم ءبلغ به أف المقاطع شءء ءءء له ءرسا ما؁ فإن انءقلت عئء راءعا منه؁ أو مءءاوزا له؁ ءم قءطء؁ أءسء عئء ءلك صءف ءفر الصءف الأؤل"⁽²²⁾.

ونسءنء من هءا أن ابن ءنف أراد ءأكفء الءروف بموسفقاها؁ فعبر عئ ءلك بصءف الصّوء الءف فءّصء فف فهمه وفهم الءفن سبءوه بإضافة همزة مكسورة وءسكفن الءرف؁ وفبءو أن ما ءعرض له ابن ءنف فف ءرسه للصوء وءءفءه للمقطع لم فكن مقصوءا لءاءه؁ كالأل مع ءءراساء الفونولوجفة العربفة الءءفءة الءف لا نغفل قصورها ففما فصدء من ءراساء فف النبر والءنغم والظواهر الأءاففة الأءرى⁽²³⁾؁ فكاء فنعءم؁



لأسىما مع الاءءقار إلى الإمكانياء الءكنولوجىة وآلاء الءسجىل ومخابر الصوء.

كما يعد ابن جنى أول من عرض لجهاز النطق فشبهه بالنائ وبوتر العوء، لىقءم صوءة عئ العملية الطبقىة لإنءاء الكلام⁽²⁴⁾ ، يقول ابن جنى: "وقء شبّه بعضهم الءلق والفم بالنائ، فإن الصوء ىخرج فىه مسءطىلاً أملكسا ساءجا، كما ىجرى الصوء فى الألف عفلا بغير صنعة، فإذا وءع الزامر أنامله على خروق النائ المنسوءة وراو بىن أنامله اءءلفء الأصواء، وسمع لكل خرق منها صوء لا ىشبه صاءبه، فكذلك إذا قءع الصوء فى الءلق والفم بالاعءماء على جهاء مءءلفة كان سبب اسءماعنا هءه الأصواء المءءلفة." (25) ثم بىن سر اءءلاف الأصواء الخارجة من جهاز النطق وكىف ىتم هءا الاءءلاف فىقول: "ونضىر ذلك أىضا وءر العوء فإن الضارب إذا ضربه، وهو مرسل سمعت له صوءا فإن حصرا آءر الوءر بعض آءر أصابع ىسراه أءى صوءا آءر... وىءءلف ذلك بقءرة قوة الوءر وصلابءه وءظفه ورءاوءه، فالوئر فى هءا الءمءىل كالألق... وما ىعءرضه من الءظف والأصربالأصابع كالأى ىعرض للصوء فى مخابر الءروف من المقاطع، واءءلاف الأصواء هناك كاءءلافها هنا." (26) فافىن جنى ءفءن إلى أن الأصواء ءءءلف فىما بىنهما ءبعا لأوءاع أعضاء جهاز النطق، وأن من الأصواء ما ءعءرضه العواءق الءى مءلها بأنامل الزامر أو أصابع ضارب العوء على الوئر، فىهءا ىكون قد وصف مىكانيكىة النطق.

إنّ ما أبءاه ابن جنى من ءفصىل ءمءىلى ءقىق لجهاز النطق عئء الإنسان وأءرانءلاق الهواء مضغوطاً وعىر مضغوط فى إءءاء الأصواء مءءلفة بءسب إراءة الناطق أو الموصوء هو ما ءبناه علم الأصواء



الفىزىولوجى (phonnetics.physiology) فى الءءء عئ الجهاز الءنفسى الذى ىقءم الهوء المئاسب لءكفىف ءءوء الأصواء ، وعئ الءئجرة باءءبارها مفجرة الطاقء الصوءىة ، وعئ الءءاوىف فوء المزمارىة الءى ءلعب ءور عزف الرئىف فى إئئاء ءالبىة الضوءاء المءءءءمة فى الكلاء (27).

كما قسّم الأصواء إلى صاءمة و صاءئة ومىّز بئىهما بقوءه:"وسبىلك إذا عءءرت اعءبار صءى الءرف أن ءأى به ساكئا لا مءءركا، لأن الءركة ءقلق الءرف عئ موضعه ومءءقره وءءءبه إلى ءهة الءرف الءى هى بعضه، ءم ءءءل علفه همزة الوصل مكسورة مئ قبله لأن السّاكن لا ىمكن الاءءءاء به فنقول إئ، إق، إء...والءروف الءى اءسءت مءارءها ءلاءة الألف ءم الفاء ءم الواو وأوسعها وألفىها الألف". (28) للءعرف على صءى الءرف ىقءضى ءسكىئ هءا الأءىر مع إضافة همزة القءع فى أوّله، وعلّءه فى ذلء أن: "الءركة ءءءب الءرف إلى صوء الءرف الذى هو بعضه"، والطرىقة الءى وضاءها ابن ءئى لمعرفء صءى الءرف ءءرت مئء الءراساء الءءىئة لأنها طرىقة ءىر علمىة وءقىقة والءرف ءئىها: "لا ىءءقق فىه الاءءقلال الذى هو أساس الءءربة الصءىءة" (29).

فرّق ابن ءئى بئى الصّواءء والصّواءء ءسب مءرى الهوء عئء النّطق، فالءركات (الصّواءء) هى الّءى لا ىءء الءراض للهوء عئء نطقها، فالصّوء الصّاءء هو الصّوء المءءور الّذى ىءء فى نطقه أن ىئءفع الهوء فى مءرى مءءمر ءلال الءلق والقم وءلال الأنف مءىما أءىانا ءون أن ىكون ءمة عائق أو ءضىىق لمءرى الهوء مئ شأنه أن ىءء الءءكا مسموعا، أمّا الصّاءء فهو الصّوء المءءور أو



المهموس الذى ىءء فى نطقه اعءراض لمجرى الهوء اعءراضا كاملا أو جزئيا من شأنه أن ىمنع الهوء من أن ىنطلق من الفم. وعرض ابن جنى إلى الحركات القصيرة والحركات الطويلة فهو ىرى أنها لا ءءلف عى القصيرة إلا من ءىء الطول أو كمية الصوت، إلى جانب تعرضه إلى خصائص الأصوات، فهو ىرى أن الأصوات فى الكلمات أو الكلام لا ءءفظ بخصائصها الءى ءعرف بها ءىن ءكون أصواتا مستقلة فهي قد ءكءب خصائص جءىءة كأن ىنقلب الصوت إلى صوت جءىء وقد ىءذف ءاماما كما فى ءالات الإءغام.⁽³⁰⁾

إن هءه الأعمال ءكشف عى عمق الفكر الصوءى عىء ابن جنى إذ ىعرض فىه عصارء ءجاربه الصوءىة الءققة المنظمة ، وىءفرغ لبعء أصعب المشكالات الصوءىة بءرءىب ءصىف ىءنقل فىه من الأدنى إلى الأعلى ، ومن البسىط إلى المركب ءى إذا ءكاملء الصورة لءىه ، ولعل أبرز ما نعقبه فى سر صناعة الإعراب لصوقا بجوهر الصوت الخالص البءوء الآءىة :

- 1- فرق ما بىىى الصوت والحرف.
- 2- ذوق أصوات الحروف.
- 3- ءشبىه الءلق بآلات الموسىقى (المزمارة ، العوء).
- 4- اشتقاق الصوت والحرف.
- 5- الحركات لبعض حروف المء.
- 6- الءل وعلاقءها بالأصوات.
- 7- مصءلءاء الأصوات العشرة الءى ذكرها أنفا مع ما ىقابلها.



8- ءروف الءلاقة والأصماء.

9- ءسن تألىف الكلاء من الءروف فىما ىءلق بالفصاءة فى اللفظ المفرد ، وءأصىل ءلك على أساس المءارء المءباعدة.

10 - ءصائص كل صوء من ءروف المعجم ، وءىءىاءه ، وءزئىاءه كافه ، بمباحء مءءصصة لم ىسبق إلهى فى أعلها.⁽³¹⁾

وكما ءكرنا أنفا أن ابن ءنى قء ءالف كلا من الءلىل وسىبوىه فى ءرءىب الأصواء فكان على النءو ءالى: الهمزة ، الألف ، الهاء ، العىن ، الءاء ، الغىن ، الءاء ، القاف ، الكاف ، الءىم ، الشىن ، الىاء ، الضاء ، اللام ، الراء ، النون ، الطاء ، الءال ، ءاء ، الصاء ، الزاء ، السىن ، الظاء ، الءال ، ءاء ، الفاء ، الباء ، المىم ، والواء.⁽³²⁾

وىضىف ابن ءنى إءماما لنظرىءه فى الأصواء سءة أءرف مسءءسنة على ءروف المعجم العربى ، وءمانىة أءرف فرعىة مسءقبءة ، ولا ىصح ءلك عئءه إلا بالسمع والمشافهة ، ءى ءكون ءروف المعجم مع الءروف الفرعىة المسءءسنة ءمسة وءلاءىن ءرفاً ، وهما مع الءروف الفرعىة المسءقبءة ءلاءة وأربعون ءرفاً. فءروف العربىة ءسعة وعشرون ءرفاً ، لا شك فى هءا ، ولكن الءروف المسءقبءة والمسءءسنة ءى أضافها ، وإن لم ىكن لها وءوء فى المعجم العربى ، إلا أن لها أصواءاً فى الءارء عئء السامعىن ، وهو إنما ىبءء فى الأصواء فأءبءها ، فعاءة الأصواء فى العربىة عئءه ءلاءة وأربعىن صوءاً ، وهو إءصاء ءقىق ، وكشف ءءىء ، وءبءىب بارع. فالءروف المسءءسنة عئءه ، ىؤءء بها فى القرآن وفصىء الكلام ، وهى : « النون الءفىفة ، والهمزة المءءفة ، وألف ءءفءىم ، وألف الإماءة ، والشىن ءى كالءىم ، والصاء ءى كالأى ... والءروف



الفرةة المءءقبة ، هة فروع عفر مءءءسنة ، لا يؤءء بها فف القرآن ولا فف الشعر ، ولا ءكاء ءوءء إلا فف لغة ضعفة مرءولة ، عفر مءقبلة. وهة : الكاف ءة بفف ءفم والكاف ، والءفم ءة كالكاف ، والءفم ءة كالففف ، والءاء الضعفة ، والءاء ءة كالففف ، والءاء ءة كالففف ، والءاء ءة كالففف .⁽³³⁾

فالملاحظ أن بفف ءف فءءءة بفف ءالفف النظرفة والءالفف العملف ءءطففف فكانء عئوانا علف ءفوقه فف ءراسة الأصواء ، بفءء ءكلم عئ الصوء اللغوف بكلمات علمفة لها مفهوما المءءء ، فضلا علف ءناوله الأصواء العربفة من معظم ءهافها وائءلافها فف ءركفب الألفاظ.

وفءعرض بفف سفا (ء429هـ) كءابه "أسباب ءءوء ءروف" إلى قضافا ءوهرفة ءءعلق بالءالفف العضوف والففزفائف للصوء ، فبالإضافة إلى ءقة الملاحظة فف كفففة ءءوء الصوء فصفه وصفاف فسمء مفهومه من المءفط الطفففف إذ فءءل علف منهء سابقفه ءالفف ءءرففف الملموس ءفن فقرر بأن هءه ءروف قء ءسمع من ءركاء عفر نطقفة مءلا العفن قء ءسمع من انءفاع الهواء بقوة فف الماء⁽³⁴⁾. فبف سفا كان فف رسالءه هءه مءمرسا للإشاراء الصوءفة وءمففزها فف الأسماع ، مءءءا عئ مءارء الأصواء وعضارفف ءءءرة ، كما عرض للفم واللسان ءشرفففا وءركفففا ، وعنف عئافة ءاصة بءرفب مءارء الصوء العربف مقارنا باللغات الأءرى بفءب ءركفب أءهزة الصوء الإنسانف ، وبءء ممفزاز ءءرف العربف صوءفا وءكم ءهازه السمعف فف معرفة الأصواء وأءرءءبءها.⁽³⁵⁾

وأما ءالفف ءالفف - أف ءراسة الأصواء - من ءلال الظواهر الصوءفة- فقء نال النصفب الأوفر فف كءب النءو .



كما يضاف إلى جهود علماء اللّغة ما استءءئه النقاء والبلاغىون من نظرىاء فى الفصاحة وأضرىها؁ غير أن الءرس الصّوءى بقى يأخذ فى أغلبه من علمى الصرف والتجوىء؁ وما أنجزه اللّغوىون العرب فى هذا الموضوع؁ فكانت جهودهم الصّوءىة تتعلق بفصاحة الكلمة وبيان الكلام؁ فاعءنوا بمخارج الحروف وعرفوا صلءها بءلاؤم الحروف وءنافرها فوضعوا شروطا لءلوّ الكلمات من ءنافر الأصواء كأن ءكون من مخارج مءقاربة؁ وهذا ما يعرف فى علم الأصواء بالءراسة الءنظىمية وهى طرىقة ءألىف الأصواء. بقول ابن سنان الخفاجى (ء 446هـ) فى سر الفصاحة: "ولحروف الءلق مزية فى القبح إذا كان الءألىف منها فقط؁ ومءاله الهعع".⁽³⁶⁾ وقبله الجاحظ (ء 255هـ) زاء فى ءءابه من العناىة فى الءراسة الصّوءىة فى أكثر من موضع فنجد فىه معالجة علمىة ءقىقة للأصواء الءى ءءلها اللّغة بقول: "وهى أربعة أحرف: القاف والسن واللام والراء". وءءء عن أوصاف هذا المرض واقءرء بعض العلاجات الطبقىة.⁽³⁷⁾

وما ءام هذا النوع من الءراسات جاء من أوّل الأمر لىءفظ القرآن الءرىم بوصفه نصا مقءسا؁ فقد انصبّ اهءمام العلماء فى هذا السىاق على كىفىاء أءاء هذا النص تجوىءا وءرءىلا؁ فءعمّقا فى ءراسة علمى التجوىء والءرءىل؁ وضبط أسسهما العلمىة فءرسوا فى الأوّل حظ الصّوء ومسءءقه (الصفااء الءاءىة والعرضىة)؁ وءرسوا فى الءانى حظ اللسان من ءصءىح الأصواء؁ وحظ العقل من ءفسىر المعانى وءءءىء الءلااء؁ ثم حظ القلب من الاءعاظ والءأءر؁ لىفرّقا بعء ذلك بىن القراءاء المشهورة منها؁ والمءواءرة والشاءة.



فقد زاد علماء التجويد من العناية في الدراسة الصوتية بدءاً بجانبها الأول وانتهاءً بجانبها الثاني، وكانت الغاية من دراساتهم هي الوصول إلى النطق السليم لأي الذكر الحكيم وهو ما دفعهم إلى دراسة أصوات اللغة، وذلك لمعرفة مخارجها وصفاتها وما يطرأ عليها حالة تركيبها، منبهين إلى كيفية النطق السليم محذرين من الانزلاق إلى الخطأ عند تلاوة الكتاب المبين، فجاءت دراساتهم معيارية عمادها الصحة والصواب، فتتبعوا كل ما يتعلق بالصوت اللغوي من أحكام حالة إفراده لمعرفة مخرجه وصفاته فيضمن الطريقة المثلى لنطقه، أوفي حالة تركيبه لمعرفة ما يطرأ عليه من تغيرات بسبب مجاورته لغيره من الأصوات فهي تتأثر فيما بينها ممّا يغير طريقة التلفظ بها، وكل هذه الدراسات كانت من خلال النص القرآني، وهذا اتخذ علماء التجويد الأصوات اللغوية مادتهم العلمية الوحيدة فتخصصوا فيها ولم يخلطوها بغيرها (38). فاهتمامهم بالأصوات أدى إلى ظهور مصطلحات صوتية مهمة كالإشمام والروم والاختلاس والإمالة والتخفيف والتفخيم، واعتنوا بالإدغام عناية خاصة فأفاضوا فيه. (39) فالملحوظ أنهم خاضوا غمار علم الأصوات بفرعيه النطقي والوظيفي وهدفهم من دراسة الأصوات اللغوية هدف تعليمي محض وذلك لتعليم قرّاء القرآن النطق السليم والتحذير من النطق الخاطئ واللحن الخفي. (40)

ولكن على الرغم من ذلك ما زال الدرس الصوتي عند المحدثين يعاني قصوراً، إذ يستنسخ في الغالب أطروحات القدماء، في رأي أحد الدارسين، ما جعل الدراسات الفونولوجية شبه منعدمة. (41)



الهوامش :

- 1 - محمد بن إسحاق الئءم؁ الفهرست؁ ءح:رضا ءءءء؁ ء1؁ ص45
- 2 - فءوى ءسان؁ أءر الانسءام الصوءى فى البنىة اللغوىة فى القرآن الكرىم؁ الأردن؁ عالم الكءب الءءء؁ 2010؁ ص56.
- نصربن عاصم اللئى كان فقهما فصئءاً عالمأ بالعربىة؁ من ءلامءة أبى الأسود الءؤلى أول من وءع النقاء على الءروف فى اللغة العربىة بأمر من الءءاء بن يوسف.
- ءئى بن ءعمر البصرى الفقىه ؁ العلامة ؁ المقرئ ءقال إنه أول من نطق المصاءف.
- 3 - محمد عبء العظىم الزرقانى؁ مناهل العرفان فى علوم القرآن؁ ءح:فؤاز أءمء زمربى؁ بىروء؁ ءار الكءاب العربى؁ 1415 - 1995؁ ء1؁ ص332.
- 4 - الئءم؁ الفهرست؁ ص 47.
- 5 - الءلىل بن أءمء الفراهىءى؁ العىن؁ ءح:مهمءى المءزومى وإبراهىم السامرائى؁ العراق؁ ءار الرشىء للنشر؁ ء1980؁ ص57.
- 6 - ءلال الءىن السىووطى؁ المزهرفى علوم اللغة وأنواعها؁ القاهرة؁ ءار الءراء؁ ء1؁ ط3؁ ص90.
- 7 - الءلىل؁ العىن؁ ص 57.
- 8 - عبءه الراءى؁ فقه اللغة فى الكءب العربىة؁ بىروء؁ ءار النهضة العربىة للطباعة والنشر؁ 1979؁ ص 130.



9 - سىبوىه؁ كءاب؁ مصر؁ المءبعة الكبرى الأمىرىة؁ ء1316؁ 4هـ؁ ص؁ 431.

10 - عبءه الراءى؁ فقه اللغة فى الكءب العربىة؁ ص131 .

11 - الءلىل؁ العىن؁ ء1؁ ص9.

12 - سىبوىه؁ كءاب؁ ء3؁ ص548 .

13 - سىبوىه؁ كءاب؁ ء4؁ ص434

14 - ابن ءنى؁ سرصناعة الإعراب؁ ءء:مءمء ءسن إسماعىل وأءمء شءاءه؁ بىروء؁ ءار الكءب العلمىة؁ ء1؁ ط2004؁ 1426؁ 2؁ ص50 و؁ ص: 30 - 31 - 32. الءرجانى؁ المءءصء؁ مىكرو فىلم ورقة 324-332 وما بعءها؁ نقلا عن ءامر سلؤم: نظرىة اللغة والءمال فى النقد العربى؁ ءار ءوار للنشر والءوزىع؁ سورىا؁ ط1؁ 1983؁ وابن سنان الءفاىى: سر الفصاءة؁ ءء: على فوءه؁ المءبعة الرءمانىة؁ ط1؁ 1932؁ ص: 5 إلى 21. ابن الءزرى: النشر فى القراءاء العشر؁ ص201 إلى 220 .

15 - ابن ءنى؁ سرصناعة الإعراب؁ ء1؁ ص52 .

16 - النعىى: ءءارساء اللهىىة والصؤوىة عىء ابن ءنى؁ منشوراء وزارة ءءافة والإعلام؁ العراق؁ 1980؁ سلسلة ءراسة 234؁ ص: 301.

17 - ابن ءنى؁ سرصناعة الإعراب؁ ص16-17

18 - ابن ءنى؁ الءصائص؁ ءء:مءمء النءار؁ القاهرة؁ ءار الكءب؁ 1952؁ ء1؁ ص33 .

19 - عبءه الراءى؁ فقه اللغة فى الكءب العربىة؁ ص133 .



- 20 - ابن ءنى؁ سرصناعة الإعراب؁ ص 119 .
- 21 - ابن ءنى؁ سرصناعة الإعراب؁ ء 1؁ ص:9.
- 22 - ابن ءنى؁ نفسه؁ الصفحة نفسها.
- 23 - راءع بسام بركة علم اللغة العام؁ ص: 99؁ وهذه الوءءاء المقطعية اسءعملها العرب القءامى فى لغاءهم؁ وهى الهمزوما يقابله من تسهيل؁ والإءغام وما يقابله من إظهار؁ والإمالة وما يقابله من فءء؁ والءفءخم وما يقابله من ءرقيق.
- 24 - عبءه الراءءى؁ فقه اللغة فى الكءب العربية؁ ص 133 .
- 25 - ابن ءنى؁ سرصناعة الإعراب؁ ء 1؁ ص 21 - 22 .
- 26 - ابن ءنى؁ سرصناعة الإعراب؁ ء 1؁ ص 22 .
- 27 - مءمء على الصءغر؁ الصوت اللغوى فى القرآن؁ بىروء؁ ءار المؤرخ العربى؁ ص 68 .
- 28 - المرجع السابق؁ ص 19 .
- 29 - إبراهيم أنىس: الأصواء اللغوىة؁ ءار النهضة العربية؁ مصر؁ 1961؁ ص 20.
- 30 - ابن ءنى؁ الخصائص؁ ءء:مءمء النءار؁ بىروء؁ ءار الكءاب العربى؁ ء 2؁ ص 315.
- 31 - مءمء على الصءغر؁ الصوت اللغوى فى القرآن؁ ص 58.
- 32 - ابن ءنى؁ سرصناعة الإعراب؁ ء 1؁ ص 50.
- 33 - ابن ءنى؁ سرصناعة الإعراب؁ ء 1؁ ص 50 - 51 .



- 34 - عافر ءامء هلال؁ أصوءاء اللغة العربية؁ ص 10 .
- 35 - ابن سينا؁ أسباب ءءوء ءءروف؁ راءعه وقءم له؁ طه عبء الرؤوف سعىء؁ مكءبة الكلىاء الأزهرىة؁ القاهرة؁ 1389هـ- 1978م؁ ص 18.
- 36 - ابن سنان ءءافى؁ سرالفصاآة؁
- 37 - أبو عثمان الجاآظ؁ البىان والتبىىن؁ ش:على أبو ملآم؁ بىروء؁ ءارو مكءبة الهلال؁ مآ 1985؁ 1407؁ 1؁ ص 51 .
- 38 - ءالء العىساوى؁ ءراساء فى اللغة والقراءاء؁ الأردن؁ عالم الكءب الءءىء؁ 2012؁ ص 80 - 82 - 92
- 39 - ءامء بن سعد الشنبرى؁ النظام الصوءى للغة العربية ءراساة صوءىة ططبىقىة؁ القاهرة؁ مركز اللغة العربية؁ 2004؁ 1425؁ ص 5 .
- 40 - ءالء العىساوى؁ ءراساء فى اللغة والقراءاء؁ ص- 101 97 .
- 41 - ءركاء مصطفى؁ الصوءىاء والفونولوجىاء؁ ءار الأفاق؁ الجزائر؁ ص 11.

الاتجاه الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث

أ. عبدا لله لطرش (ج. تلمسان)

١ - توطئة:

المقصود بالاتّجاه الإصلاحي في الشّعْر هو ذاك الذي ارتبط بالحركة الوطنية الإصلاحيّة التي قادتها جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين، حيث ارتبط بها جمع غير يسير من الشّعراء والخطباء والفقهاء فحملوا رسالتها النبيلة ورايتها الكريمة في التّربية والإصلاح ونشر العلم والثّقافة والوعي للتحرر من ربقة الاستعمار -بتعبير مالك بن نبي- الذي أوغل في تجهيل الأُمّة الجزائريّة وبذل الوسع في أن تلحق بالأُمّة الفرنسيّة ولكنّه بقوة الله ثمّ إرادة الشّعب خاب وخسر الخسران المبين.

من البداية سخر شعراء الاتّجاه الإصلاحي أقلامهم وقرائحهم لخدمة مبادئ وغايات شعبيّة وأمّتهم، فكانت كلمتهم مدوية ومسموعة أرعبت العدو وثبتت الأخ فتبيّن حينها أن الشعر وأهله يتحملون مسؤوليّاتهم بحكمة وأمانة "وإن من الشّعْر لحكمة"، فوجدنا كوكبة من الشّعراء بأسماء لامعة تألّأت في سماء الجزائر كالنّجوم المضيئة في ليل حالكة تجلجل بقصائدها معلنة عن نفسها وانتمائها تدحض الظّلم والظّلام وتنشر الفجر وتبشير السّلام نذكر منهم: أحمد سحنون، محمد العيد آل خليفة، السّعيد الزاهري، رمضان حمود، مفدي زكريّا، عمر بن قدّور، وغيرهم.



لقد قاد هؤلاء حركة الشعر ورسالته التى تحرّر الإنسان وتبنى
الأوطان بجدارة واقتداء معلّنين عن اتّجاههم ومدرستهم بفخرواعتزاز،
فاحتضنهم الشعب والوطن.

II - العوامل التى ساعدت فى ظهور الاتجاه الإصلاحى:

عاملين أساسيين وغيرهما مرتبط بهما بشكل أو بآخر:

أولاً: الظروف الدّينية والاجتماعيّة والسياسيّة والفكريّة التى طبعت
الحياة العامّة للجزائر والتى كانت مجتمعة قاعدة من القواعد وسببا قويا
هيأت لظهور الشعر الإصلاحى، ففي منتصف الثلاثينات "بدأ الشعب
الجزائرى يستيقظ من سباته ويبحث عن الطّريق الذى يقوده إلى النّجاة
وكان هذا الطريق هو العودة إلى الدّين الإسلامى الصّحيح، مما أدّى
بسبب الدّعوة إلى هذا المنبع النّقى إلى اصطدام بين رجال الإصلاح وبين
الطّريقين والمستعمر، ودخل الشعر هذه المعركة بوجه سافر، وكانت
فلول الطّريقين تتهاوى تحت ضربات الشّعراء الذين حملوا لواء هذه
الدّعوة"⁽¹⁾.

ثانياً: ظهور الحركة الإصلاحيّة، حيث أضحت عاملا قويّا فى ظهور
هذا الاتّجاه لأنّ أغليّة الشّعراء الذين ظهوروا فى هذه الفترة، إنّما كانوا
يحملون بذور الفكرة الإصلاحيّة وقد لمح لذلك الأستاذ الرّكيبى قائلاً:
"هذه الأفكار من تجنيس واندماج، وما صاحبهما من الدّعوة إلى التّبشير
ومحاولة التّفرة بين العناصر التى تشكّل الجزائرى بعامة، تردّدت لا فى
الجزائر وحدها، بل فى المغرب وتونس أيضاً، وتبلورت بشكل واضح أثناء
احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلالها الجزائر، كل هذا أدّى إلى أن تظهر





الفكرة الإصلاحية لتصارع هذه التيارات الأجنبية وتدافع عن الشخصية القومية وعن الحضارة العربية الإسلامية⁽²⁾.

وهكذا أصبح الشعر وسيلة شريفة تخدم المشروع الإصلاحى، ويقرر ذلك الدكتور عبد الله الركيبي بقوله: "ارتباط الشعر بالفكر الإصلاحى جاء لظروف أحاطت بالأدب والثقافة وبسبب عوامل أحاطت بالفكر والمجتمع والسياسة فأثرت فى الشعر ووجهته لخدمة هذا الفكر"⁽³⁾.

على أنه وجب الوقوف على سؤال ربما يطرحه البعض وهو كالاتي: لماذا ارتبط الشعر بالحركة الإصلاحية، ولم يرتبط بحزب من الأحزاب الأخرى التى كانت قائمة؟

يجيب الدكتور الركيبي: "...لهذا ارتبط بالفكرة الإصلاحية ولم يرتبط بالأحزاب السياسية، لأن هذه الأخيرة لم يكن من أهدافها العمل على إحياء التراث، خاصة الثقافية والأدبي، وإنما انصبّت مطالبها على المساواة والعدالة عند فريق وعلى الحرية والاستقلال عند فريق آخر، فيما كان رجال الإصلاح لا يرون تقدماً بغير المقومات الأساسية للشعب، من لغة وتاريخ ودين وحضارة، ومن هنا اتجه الشعر إلى التركيز على فكرة "الإحياء" وكانت النظرة فيه سلفية تتجه إلى الماضي الذى يمثل النموذج المحتذى"⁽⁴⁾.

III - تجليات الاتجاه فى الشعر:

وجب التنويه بداية أن رؤاد هذه المدرسة قالوا كلمتهم ورأيهم فى معظم الأمور ذات الشأن والعلاقة بقيم ومثل وتطلّعات المجتمع الجزائرى، لكن فى هذه الدراسة يمكن تحديد ميدانين حسّاسين هامّين جال فيهما





شعراؤنا فأثرى لديهم إنتاجا شعريًا غزيرًا زاخرًا:

أولاً: الميدان الاجتماعى بمفهومه الواسع

ثانياً: الميدان السياسى كحامل للقضايا الوطنية

ففى الميدان الاجتماعى حيث يتجلى الجانب الدينى كسمة غالبية على الشعر الإصلاحى فى عموميه وبطابع أساسى للقصيدة الإصلاحية، فأى موضوع يطرق إلا والنزعة الدينية حاضرة بارزة، وقد اشتهر فى هذا المجال الشاعر الكبير الشيخ أحمد سحنون بسبب أنه ذهب بعيداً فى تفسيره للقضايا من حوله تفسيراً دينياً، والمبرر حاضراً لأنه تربى تربية دينية محضة كان لها التأثير البالغ على رؤيته ومعاملاته، ف"الدّارس للأدب الجزائرى الحديث يلحظ أن الشاعر فى هذه الفترة كان يتأمل واقع المجتمع وما انتشر فيه من أمراض محاولاً إصلاحه من زاوية الدين، فتراه يذكر فى كل مناسبة بأن الرجوع إلى القيم الروحية واقتفاء أثر السلف الصالح هو سبيل النّجاة وأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"⁽⁵⁾.

ولما كانت فكرة الإصلاح تبدأ من الدين وتنتهى له، فإن الشاعر الإصلاحى لا ينسى لحظة واحدة وفى أى قصيدة أن يتحدث عن القرآن والسنة، لأنّهما المبدأ والمنتهى، وهما الأساس الذى بنيت عليه الفكرة الإصلاحية، بقول الشيخ الطيّب العقبي:

كتاب ربّى حجّتي	ما مثله للمرء هاد
وطريق أحمد لي هدى	ودليل قصدي والسّناد ⁽⁶⁾



ويمكننا فى بحثنا لهذا الموضوع الوقوف على سمتين بارزتين تقيمان هذا الاتجاه هما: "الدعوة والصِّراع".

فأما فى الدعوة فإننا نجد قصيدة "المنصفة" للشاعر الموهوب "محمد المولود بن الموهوب" والتي تصف واقع الشعب الجزائرى فى العقد الأول من القرن العشرين وما حصل له من ممارسة لأمر خارجة عن الدين غارقا فى الضياع سالكا طريق الخرافات والبدع، إذ اعتبرت القصيدة كبداية حقيقية للشعر الإصلاحى.

يقول الشاعر:

لأنَّ للمعارف ما هدينا	صعود الأسفلين به دهينا
أناساً للخمر ملازمينا	رمت أمواج بحر اللهمنا
أصولهم له أفنوا سنينا	فكم أكل العقار عقار قوم
كحيلة مثل جمعهم أهينا	وكم ساق الكحول إلى أنائين
ديونا وفق قول الغالبينا	وكم رَقَم القمار على بيوت
ولولاه لسادوا منعمينا	وكم داس الربا أعناق قوم
كؤوس الجهل لكن ما روينا	نعم إنا شقين إذ سقينا
فهل كنَّا لذلك سامعينا	يناديننا الكتاب لكل خير
ونحمل فى إقامتها الديونا	وسل بدعا نبدع ناكريمها
بعلم واتَّقوا الله المتينا	تعالوا للسَّعادات اطلبوها
فوالى البرَّ عون المسلمين ⁽⁷⁾	أعينوا واستعينوا واستفيدوا

إنَّه بلا شكَّ يتقصَّى أمراض المجتمع واحداً واحداً، وهذه لازمة فى خصائص الشعر الإصلاحى، منيَّها من خلالها شعور الأمة وضميرها من خطر محدِّق ومشكلة عميقة قائمة إن بقي الحال على ما هو عليه، فهذه





الخمرة تباع وتشرب في وضح النَّهار، مسبِّبة الإفلاس والضَّياع، والقمار والرِّيا شاعا واتَّسع التَّعامل معهما وتنافسهما النَّاس فدمَّرت بيوت قائمة وفسدت علاقات وأوشاج جامعة ولكنَّ الشَّاعر لا يكتفي بالتَّقرير وفقط وإنَّما يذكر السَّبب الرَّئيسي الَّذي دفع إلى ارتكاب هذه الموبقات القاتلة وهو "الجهل"، فالفكر الإصلاحي يركِّز على هذه النُّقطة بالذَّات لأنَّ الأُمِّية وضعف الثَّقافة وعدم العناية بالتَّعليم، وكذلك الابتعاد عمَّا في القرآن والحديث من هدى ونصح، أدَّى إلى ما يتخبَّط فيه المجتمع من حيرة واضطراب⁽⁸⁾.

هذه اللوحة التَّصويرية الَّتِي صوِّر من خلالها ملامح المجتمع ليس الهدف منها الوصف وحسب، وإنما الغاية هي التَّنتيجة المراد الوصول إليها وهي: محاولة إصلاحه باعتماد أسلوب التَّقريع واللُّوم.

ويفيض الشَّاعر في أبيات أخرى ببيان تعاليم الإسلام السمحة ومبادئه السامية من كرم الأخلاق، وصفاء النَّفس وحبِّ واحترام بين أفراد المجتمع لأنَّ هدفه ورسالته في الشُّعر ترغيب المجتمع في التَّعامل بما جاء به القرآن وأحاديث الرِّسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليصل إلى دعوتهم للتَّعاون والتَّعاضد والتَّضامن وإفادة بعضهم بعضا لأنَّ الله يحبُّ الجماعة ويباركها وهذا جلي في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾⁽⁹⁾، وهي منهاج أصيل للفكر الإصلاحي.

لقد استمر الشُّعراء في تلك المناسبات الدِّينية الَّتِي كانت على مدار السَّنة خاصَّة محطة المولد النَّبوي الشَّريف على صاحبها -أفضل الصَّلاة والسَّلام-، فزرعوا أفكارهم ورؤاهم ووضَّحوا أهداف دعوتهم الإصلاحيَّة، فها هو "محمَّد العيد آل خليفة" في إحدى مناسبات الاحتفال بالمولد النَّبوي الشَّريف ينتهز الفرصة لنظم قصيدة عنوانها "سلوا التَّاريخ" يدعو من خلالها إلى الإصلاح مبيِّنا فضائله ومزاياه:



فديت محمداً طفلاً يربى
ومقبل الشّباب يضيء وجهها
وكهلاً داعياً إلى الله حرّاً
وشيخاً عابداً لله برّاً
عليك سلام شعب فيك يؤذى
وهل شعب الجزائر مستفيق
وهل هو بالتحرّر سوف يحظى
ولا يعطى التحرّر غير شعب

بأحضان العوارف والرّفود
ويزكوفى الخلائق والقصود
يدين بدينه شتى الوفود
وسيم الوجه من أثر السّجود
ويرمى بالتعصّب والجمود
من الأحلام مطّرح الرّكود؟
كأمة (ليبيا) أو كالهنود؟
يجيب إلى المعامع حيث عودي⁽¹⁰⁾

وبيت القصيد فى شعر محمد العيد واضح وجلىّ، فهو هنا لا يحتفى
بذكرى الرّسول فيخلدها وكفى، إنما يرمى بعيداً فى شعره قريباً فى
دعوته بأن يقتفى الناس منهج محمد نبيّ الأمّة ويأخذوا العبرة فى التحرّر
والانعتاق من كلّ ربة ومنها ربة الاستعمار الفرنسى البغيض.

وفى مشهد آخر نجد أن الشّاعر سحنون يرى فى بناء المساجد قضاء
على التّخلّف وخطوة فى طريق النّصر على الأعداء وتحقيق لراية الصّلاح
والفلاح فى الأمّة، فيقول:

تعالوا سراعاً إلى المسجد
إلى منتدى النّخبة الصّالحين
إلى مشرق النّور للتّائمين
إلى عرصات الهدى والتّقى
فيا أيّها الأنفس الظّامئات
تعالى اسمعى الحكم المخالطات
ولا تسمعى لنعيق الألى
لقد صنع المسجد المعجزات
هنا يشفى جاهل من عمى
هنا النّصر للمسلم المهتدي

إلى ملتقى الرّكع السّجد!
إلى مبتغى الخشع الهجد!
ببيداء فى غيب أسود!
إلى مرتقى المجد والسّودد!
إلى المنهل الطّيب المورد
وسيرى إلى الله لا تقعدى
يروى الظّلاله أن ترشدي
بإنهاض مجتمّع مقعد
هنا من يجىء غاويّاً يهتد
على كل مستعمر معتد⁽¹¹⁾



قيلت هذه القصيدة فى مناسبة احتفالية بمسجد "تازمالت" حيث اعتبرت بأنها بيان صريح فى الإصلاحيين وحركة الإحياء فى نظرهم للمسجد ودوره ورسالته، فهو منتدى الإصلاح، ومشرق النور للتأهين ومحطة تزود فيها النفوس الظامئة ومنهل أهل العلم طلاب المعرفة والسعادة فى الدارين.

وإذا ذهبنا إلى موضع آخر فإننا نلتقى بالشاعر "عمر بن قدور" وهو يبكى على العقيدة الصحيحة والشريعة الغراء مما لصق بها من استهزاء واستهتار فى قصيدة "دمعة على الملة"، يقول:

أَكَيْدُ اللَّيَالِي بالسَّقُوطِ دهاها	أم المجد من سوء الفعال قلاها؟
فكم عندها من ألف باغ	يكيدونها كيد اللئام عداها
رموها وما مسّت يديها جناية	بفعل قبيح لا يضرّ عداها
وشددوا عليها فانثنت وترشحت	بغبن الليالي وارتدت بعناها
فهذا يحبُّ المراح واللهو عادة	يظنّ العلا فى خمرة فسقاها
ولما غدت بين اللئام غريبة	أهينت ببعث الخائنين قواها
وفيكُم كتاب الله لازال ناطقًا	كما كان فى عهد الهدى بحجاها
يناشدكم ألا تكونوا أذلة	وكونوا أشدّاء ضدّ بغي عداها ⁽¹²⁾

فالشاعر هنا يرسم حالة العقيدة الإسلامية وما علق بها من بدع وخرافات شوّهت صورتها الحقيقية فأضحت مهينة حزينة وحقيرة بين من ينتسبون إليها ويقولون أنّنا من أتباعها، وهذه اللّهجة الحزينة والمقرعة كانت سمة بارزة وقوية تطبع خطاب شعراء الاتجاه الإصلاحى أو "حركة الإحياء" كما يسمّونها البعض، ولأنّ واجهم معالجة ما يجب علاجه ومكافحة ما يجب مكافحته لأمراض تنوّعت وتعدّدت فى المجتمع واستفحلت مخاطرها فى أعماقه.



ولعل قصيدة "الدّين الخالص" للشّيح الطيّب العقبي أكبر دليل على منهج الإصلاحيّين فى الدّعوة والإصلاح، يقول:

ماتت السنّة فى هذى البلاد	قبر العلم وساد الجهل ساد
وفشا داء اعتقاد باطل	فى سهول القطر طرا النجاد
عبد الكلّ هواء شيخه	جده، ضلّوا وضلّ الاعتقاد
إنّنى لست ببديّ ولا	خارجى دأبه طول العتاد
بل أنا منبع نهج الأولى	صدعوا بالحقّ فى طرق الرّشاد
لست من قوم على أصنامهم	عكفوا يدعونها فى كلّ ناد
إنّنى ألعنهم مهما بدا	حاضر فى إفكه منهم وباد
وأنا خصم لهم أنكرهم	كيفما كانوا جميعا أو فراد ⁽¹³⁾

هذا عن سمة الدّعوة، أما السّمة الثّانية فهى "الصّراع" والمقصود منها الصراع مع الطّريقيّة وبعض الفقهاء المتزمتين الذين كانوا عوناً على الاستعمار بقصد أو بغيره فساهموا فى بروز الحالة الاجتماعيّة والدّينيّة بوضع غير سليم ولا صحيح.

إنّ هذا الصّراع مع البدع وأهله والتّفقيه وأتباعه هو فى حقيقة الأمر صميم الدّعوة الإصلاحيّة التى انبرى الشّعراء لإظهارها والتّمكين لها، من هذا المنطلق خاض الشّعراء معركتهم مع هؤلاء، فهى هو ذا مثلاً رمضان حمود يصف طريق التّصوّف بأنّه يقبل الجديد ويعيق التّقدّم:

فمن شاء أن يحيا على النّاس مشرفاً	ومنعزلاً عنهم يحب التّصوّفا
يقدم رجلاً ثمّ يدبر عشرة	وإن سمع الأقدام زاد توقّفا
ويمضى على قتل الجديد من أصله	ويرجع للقصر القديم وقد عفا ⁽¹⁴⁾



وأما "الطاهر بن عبد السلام" فيصف الطريقين فى سلوكهم وفهمهم المنحرف للدين وانخداع الناس بهم وبأساليبهم:

لهم طرق شتى بما قد تشرعوا	وهم عن طريق الشرع عى البصيرة
لهم من شياطين الأنام عصابة	تقودهم النار من غير مريّة
أنابهم الشيطان عنه لزيّفهم	فهم لضعاف العقل أكبر فتنة
ترى غرر الأموال تجبى إليهم	فتصرف فى مثل الزنا والسّيئة
وفى شهوات الشّيح أكل ومنكح	أنواع أثواب الرّبا والخلاعة
وفى ملك دور أو شراء مزارع	ممدّدة الأطراف ذات خصوبة
وفيما بعد من خمور بدارة	لأضيافه الإفرنج أهل الوجاهة ⁽¹⁵⁾

إنّهم الطريقون فى تلك لفترة وكيف أنّ فرنسا بتخطيطها الشّيطاني الماكر الخبيث وظفّتهم لتغرب السلوك الدّيني الصّحيح وتفتح جبهة الصّراع بين أبناء الوطن الواحد والمجتمع الواحد.

نعم هؤلاء الذين كان ظاهرهم الدّعوة إلى التّربية وفعل الخيرات، لكنّ باطنهم ضلال وزيف وتيه.

إن أكثر الشعراء قسوة وسخرية هؤلاء الطريقين كان الشاعر "السعيد" الذي أنشأ قصائد كثيرة فى هجائهم والرد عليهم، يقول:

وزعانف زعموا بأ	نّهم الضّرأغمة الأسود
ظنوا السيّادة فى اللّحى	وبطولهن وبالجحود
أبصرتهم يتفاخرون	على البريّة بالحدود ⁽¹⁶⁾

إنّ المدقق فيما مرّ معنا من نماذج للصّراع الدّني نهجه شعراء الإصلاح مع الطريقين يقف على استعمالهم لأسلوب الفضح، وهى سمة ارتبطت بالفكر الإصلاحى ومرّد ذلك عندهم أنّها خطوة أساسيّة للوصول إلى محطة المكاشفة الحقيقيّة إلى الدّعوة والإصلاح.



ثانيا: الاتجاه السياسى

لقد أولى شعراء "الإحياء" و"الإصلاح" أهمية بالغة للبعد السياسى المرتبط أصلاً بالجانب الاجتماعى وذلك لأن نظرتهم تعتمد على الشمولية مع ترتيب الأولويات، ففي زخم الولايات والاضطهاد الذى كان يسومه الاستعمار الفرنسى للمجتمع الجزائرى وطبيعة الجو السياسى المحتقن أصلاً، كان شعراؤنا ينشدون لمبادئ الأمة والدعوة، إلى التمسك بهويتها ولغتها، مرغبين الشعب والرأى العام قاطبة فى الانعتاق من الظلم والقهر متطلعين إلى الحرية والاستقلال.

ولك أن تقف على ما ردده "رمضان حمود"، حيث يتغنى بالوطن ويدعو إلى التشبث بأرضه:

ويرفع محمد العيد صوته عالياً متذمراً من الاستعمار الفرنسى واصفاً إياه "بالضيف الثقيل" طالباً منه الرحيل:

أطلت بجاني يا ضيف فارحل لحاك الله من ضيف ثقيل
مضى عليك منذ نزلت على قرن متى يا ضيف تؤذن بالرحيل؟⁽¹⁷⁾

إنه تدمر من ضيف غير مرحب به أصلاً لعله يحفز به الشعب فيقاوم ويتحدى ويرتبط بأمل النصر وتحرير الوطن.

وها هو مرة أخرى يطلق صرخة مدوية، رافضاً من خلالها مرارة هذا الواقع السياسى المر:

يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم فالعمر ساعات تمر عجالاً
الأسرطال بكم فطال عناؤكم فكوا القيود وحطّموا الأغلالاً
الشعب ضجّ من الظالم فانشدوا حرية تحميه واستقلالاً⁽¹⁸⁾



كما ينادى "عبد الكريم العقون" فى لهجة واضحة أبناء الوطن بإعادة
المجد وأداء الحقوق والحفاظ على الأمانة:

أقاموه على أقوى عماد	بنى وطنى أعيدوا مجد قوم
لشعبكم وذودوا كل عاد	وأدوا ما عليكم من حقوق
يعانى كل ظلم واضطهاد ⁽¹⁹⁾	وفكوا قيده لا تتركوه

وينبّه "أحمد سحنون" الشعب الثائر والمرابط أنه لا حرية ولا استقلال
والخائن المدسوس فى الصف يهدم ويخرّب، فكشف الخائن والتصدي له
يعنى تطهير الطريق المعبد نحو الانعتاق والحرية:

ظلة وترقب	وتصدّ لليوم العظيم بيق
خائرومذبذب	طهر صفوفك من جبان
حزبية وتعصب ⁽²⁰⁾	ومن الذى يدعو إلى

فهذه العينة غيض من فيض لعمق سياسى أصيل فى شعر الحركة
الإصلاحية، تثبت اهتمامهم بالبعد السياسى كركن ووظيفة فى الرؤية،
والرسالة الإصلاحية الشاملة التى قدّموا بها أنفسهم لمجتمعهم ووطنهم،
فبالرغم من اهتمامهم العميق بالبعد الاجتماعى والثقافى كقاعدة صلبة
تسبق الفعل السياسى إلا أنهم أدركوا قيمة حضوره فى فعلهم ونشاطهم
لأنه يثبت وجوده وحضوره بقوة الواقع اليومى وهو أثر لذاك.

VI - رؤاد شعر الإحياء:

أنهم بلا ريب كوكبة من الشعراء شكّلت كتلة الجمال والإبداع فى
مسيرة حركة الشعر الإصلاحى، فبرزت فى دنيا الأدب والفن والثقافة
كسرب نجوم أضاءت ليلة حالكة، ولك أن تذكر فى هذا المقام: رمضان



حمود، السّعيد الزّاهرى، محمد بن قدور، محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون... الخ، غير أنّنا فى هذه المقالة نقف على شاعرين كتب لهما الشّيوخ والبروز وهما: "محمد العيد آل خليفة" و"أحمد سحنون".

محمد العيد:

شاعرنا من مواليد مدينة "العين البيضاء" بتاريخ 27 جمادى الأولى 1323هـ الموافق 28 أوت 1904، من أسرة متدينة وعريقة ونشأ بمدينة، وحفظ القرآن الكريم وتعلم بمدرستها الابتدائية من الشّيوخ "محمد الكامل بن عزوز" و"أحمد بن ناجي"⁽²¹⁾.

درس بالزيتونة سنة 1921، ثم رجع سنة 1923 إلى بسكرة، وشارك فى حركة الانبعاث الفكرى بالتعليم والنشر فى الصحف والمجلات "صدى الصحراء" للشّيوخ أحمد بن العابد العقبي و"المنتقد" و"الشهاب" للشّيوخ بن باديس.⁽²²⁾

وفى سنة 1927 دعى إلى العاصمة للتّعليم بمدرسة "الشّبيبة الإسلامية الحرة"، كما أسهم فى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين، وكان من أعضائها العاملين، ساهم فى عدّة أنشطة مختلفة إلى أن وصل السّجن بعد اندلاع الثّورة المباركة⁽²³⁾.

له ديوان شعر يقع فى 587 صفحة يعالج القضايا المختلفة (الاجتماعيّة، الدّينيّة، الفكرية والسّياسيّة)، من بين إسهاماته، نذكر هذه القصيدة كمثال:



هيهات لا يعترى القرآن تبديل
قل للذين رموا هذا الكتاب بما
هل تشبهون ذوي الأبواب فى خلق
فاغزو الأباطيل للقرآن وابتدعوا
وازرؤا عليه كما شاءت حلومكم
ماذا تقولون فى آى مفصلة
ماذا تقولون فى بيض صحائفه
كلامه من الصدق الأمين ولا كذب
وإن تبدل توراة وإنجيل
لم يتفق معه شرح وتأويل
إلا كما تشبه الناس التماثيل؟
فى القول هيهات لا تجدى الأباطيل
فإنه فوق هام الحق إكليل
يزينها من فم الأيام ترتيل؟
هذى من الله ممضى فيه جبريل؟
وحكمه الحق لا ميز ولا تفضيل⁽²⁴⁾

أحمد سحنون:

ولد سنة 1907 بقرية "لشانة" قرب بسكرة، فىما تلقى تعلمه الأولى، ثم انتقل إلى زاوية "طولقة" وكان ذا موهبة قوية ساعدت على صقلها قراءته الحرة واتصاله بالإمام "ابن باديس" وانخراطه فى الحركة الإصلاحية. وفى سنة 1936، عين مديراً لإدارة مدرسة التهذيب "بجي بولوغين"، ألقى عليه القبض سنة 1956 وظلّ ينتقل بين سجون الاستعمار مدة ثلاث سنوات، وفى هذه الفترة نظم جزءاً هاماً من شعره سمّاه "حصاد السجن" متأثراً بالمحافظين، من آثاره ديوان شعر فى أغراض شتى وكتاب "دراسات وتوجيهات إسلامية"⁽²⁵⁾.

نأخذ من شعره الواسع هذه القصيدة كمثال عنوانها "الجزائر تشكو":

يا أمّة جمعتها	عقيدة الإيمان
وأخوة تلاقوا	على هوى الأوطان
وأنفسا ظامئات	للعلم والعرفان
تحية من فؤاد	فى حبكم متفان
إنّ الجزائر "تشكو"	لكم بدون لسان
تشكولكم ما تلقى	من ذلّة وهوان
تشكوا غتصاب حقوق	تشكوا ضياع أمان
فلتنجدوها لتحى	كسائر البلدان
بأن تردّوا إليها	ما ضاع من زمان ⁽²⁶⁾



لقد أعطى الشعر الإصلاحي صوراً حيّةً لما كان يعيشه المجتمع من مآسي وأحزان، فقد رسم صورة صادقة للمجتمع بكل ما فيه من متناقضات في أسلوب يناسب روح العصر، وروح الدّعوة ويساير الخطابة التي شاعت في هذه الفترة، في المسجد وفي المدرسة والشارع والمنتديات والمناسبات المختلفة، فهو يعبر مضموناً وشكلاً عن واقع معاصرو عن فترة لها ظروفها وتجربتها الخاصة ومنطقها الخاص أيضاً⁽²⁷⁾.

٧ - الخصائص الفنية:

أ - اللغة والأسلوب:

يقصد بها اللغة المستعملة في هذا الشعر بخصائصها وكذا الأسلوب المتبع في نظم القصائد التي كانت دعوة صريحة للإصلاح والإحياء، ذلك أن اللغة عامل أساس كما الأسلوب في إبراز قيمة الشعر وتجربة الشاعر، يذكر الدكتور محمد ناصر في أحد كتبه قائلاً: "إذا كان العمل الأدبي يتوقف على الدقة في الصياغة فإن أولى مميزات الشعر هي استثمار خصائص اللغة بوصفها منارة بناءة، فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية، وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إحياء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به.."⁽²⁸⁾.

ومن هذا المنطلق فإننا نؤكد أن شعراء الإصلاح امتازت لغتهم وأسلوبهم الشعريين بثلاث خصائص هي:

ب - الوضوح والسهولة:

حيث طبعت هذه الخصيصة الشعر الإصلاحي بطابع السهولة والبساطة، وارتبط هذا في حقيقة الواقع بالمجتمع من جهة وبالشعراء أنفسهم من جهة أخرى.



فمن حيث جانب المجتمع لك أن تقف على الواقع بصورة الفقر والحرمان والأمية، والاضطهاد، وكلها سمات تدفع إلى التمسك بالوضوح في المخاطبة والمقارعة، أمّا ما كان مرتبطاً بالشُعراء فإننا نذكر الآتي:

يشرح د. محمد ناصر قائلًا: "يلاحظ في لغة الشُعراء الإصلاحيين ما تمتاز به من بساطة ويسر وسهولة ومردّ ذلك يعود فيما نحسب إلى أسباب منها:

السبب الأول: أنّ الشُعراء الإصلاحيين بحكم رؤيتهم التقليدية للغة لم يحاولوا التعامل مع اللغة تعاملًا غير عادي باستخدام الرمز اللغوي أو الإتيان بعلاقات جديدة بين الألفاظ، لقد بقيت اللفظة عندهم في حدودها المعجمية، فلم يحملوها على غير محملها، ولم يفجّروا فيها أبعادًا جديدة مذهشة⁽²⁹⁾.

أما السبب الثاني: فيعود إلى موقفهم ورؤيتهم النقدية لوظيفة الشعر، فقد كان الشُعراء آنذاك يكتبون لجمهور الشعب، ويستخدمون الشعر أداة من أدوات الإصلاح، فالواحد منهم إنما يتوجّه بعمله الشعري إلى الغير لا إلى نفسه ويلتفت إلى الجمهور المتلقي الذي يهّمه أن يفهم عنه ويقتنع بأرائه، ومن ثمّ فهو يحاول أبدًا أن يكون واضحًا في ألفاظه ومعانيه، يتوخّى البساطة المتناهية في الألفاظ والتراكيب⁽³⁰⁾.

ولك أن تتأمل في قول "رمضان حمود"، حيث يعرف الشاعر الحقّ قائلًا: "لا يسمّى الشاعر شاعرًا عندي إلّا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها، بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسقة، إلّا أن يكلمون في القرن العشرين بلغة امرئ القيس وطرفة والمهمل الجاهليين الغابرين"⁽³¹⁾.



أما السبب الثالث: فيعود إلى طبيعة المعجم الشعري الذي كان متداولاً من طرف الشعراء الإصلاحيين، حيث كانوا يتقاربون في معجمهم اللغوي وتماثل أساليبهم وصورهم، وتتقارب نظرتهم وتشابه صياغتهم⁽³²⁾.

وسبب رابع: نعزوه إلى إعجاب أغلب هؤلاء بمدرسة الإحياء العربية، بحيث كانوا مدمنين على قراءة أشعار أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومعروف الرصافي وغيرهم مما ترك أثراً واضحاً متلمساً في معجمهم الشعري وأسلوب الصياغة والبناء عندهم.

ومن أمثلة خاصية الوضوح شعراً نورد الآتي:

المثال الأول: يقول الزاهري

حيّ العروبة في "جمعية العلى"	وحي ويحك فيها الدين والشّيما
جمعية أخلصت لله نيّتها	وللبلا، فكم ذا تبذل الخدما
جمعية لا تزال الدهر ماضية	من يوم نشأتها نحو العلا قدما
جمعية جمعت من بعد ذاك على الـ	قرآن والسنة الغراء أهلها
كانوا طوائف شتى كلّ طائفة	تطيع "شيخا" لها في كل ما زعما
إن قال إني "ولّي" صدّقه وإن	هو ادّعى الغيب قالوا أحكم الحكماء
وإن تعلّم بعض الشّيء تهجّيته	قليلة، هتفوا، يا أعلم العلماء ⁽³³⁾

ويقول محمّد العيد:

دعك الأمل	لخير العمل
فخل الونى	وهم عن عجل
أضعنا المنى	بفرط المهل
فهل نفخة	تزيل النّسل؟
وهل صرخة	تهزّ القلّل؟ ⁽¹⁾



ب - التّقليد والاتباع:

وهي ميزة أخرى أساسيّة ارتبطت بالشّعر الإصلاحي لا تفقدها عين ولا تخطئها قراءة، ومردّ ذلك لأنّهم رأوا في المحافظة على القديم والتمسك به هو من صميم المحافظة على الثّراث الأصيل، وهذا بالطّبع كان هدفاً من أهداف الحركة الإصلاحيّة.

يقول الرّكبي: "إن حركة التّجديد ارتبطت بالدين ولم تستجب لـ"طه حسين" ودعوته لمراجعة الثّراث ودراسته بمناهج جديدة، كذلك لم تستجب لمدرسة "الديوان" لأنّها تقف من الثّراث أيضاً موقف النّاقّد وتثور على التّقليد، في حين أنّ حركة الإصلاحيّ تلجّ على الثّراث وتتمسّك به، ومن ثمّ راحت تشيد بشوقي وحافظ والكلاسيكيّين الذين ارتبطوا بهذا الثّراث وأعادوا به مكانته"⁽³⁵⁾.

ويؤسّس لهذا المنطق الأستاذ "صالح خرفي" في كتابه "الشعر الجزائري"، فيقول: "الشعر الجزائري في نهضته الحديثة، استمد من رافدين رئيسيين: النهضة الأدبية الحديثة في الشرق، والتراث العربي القديم الذي تعتبر النهضة إحياءً له، وكان للتعلم المفرط بشعراء النهضة الحديثة في المشرق أثر كبير في تركيز الطابع التقليدي على القصيدة الجزائرية التي لم تسعفها الظروف بالاتصال المباشر بالمنابع الأولى"⁽³⁶⁾.

إنّ تمسّك الإصلاحيّين بالقديم إنّما كان ذوقاً يطبع على قصائدهم مسحة من الجمال والجلال لأنّه كان بالنّسبة لهم المثل الحيّ الذي وجب أن تهتدي به، وها هو ابن رحمون يصدح:



إِنَّ الكَرِيمَ إِن التَّمَسَّتْ وَدَادَهُ أَلْفَيْتُهُ مَتَهَلَّلًا مَتَبَسِّمًا
وَرَأَى الْوُدَادَ مَبْرَّةً فَجَزَاكَ عَنْ ذَاكَ الْوُدَادَ مَبْرَّةً وَتَكْرَمًا
أَمَّا اللَّئِيمُ فَإِنْ طَلَبْتَ وَدَاهُ أَلْفَيْتُهُ مَتَجَهِّمًا مَتَبَرِّمًا
وَأَرَاهُ طَبَعَ اللَّؤْمِ وَدَّكَ قَرْدَبَةً تَبْغِي بِهَا مَمَالَهُ لَكَ مَغْنَمًا
وَإِذَا عَرَضْتَ أَمْرًا نَفْعُهُ لَكُمْ تَعَرَّضَ فِي الْقَبُولِ وَحَمَمًا
وَتَنْصَلِّ الْأَعْدَارِ يَخْفِي خَلْفَهَا مَا قَدْ نَوَاهُ مِنَ النُّكُوصِ وَحَمَمًا⁽³⁷⁾

وفي موضع آخر لنتأمل شعر محمد العيد، لنجده مرتبطا بنزعة التقليد فلا يكاد يبرحها، لأنها دافع قوي في قرص الشعر:

فَازَ الْمَجْدُ الْمَغْنَى بِمَرَامِهِ فَتَنَافَسَ الْأَمْجَادُ فِي إِكْرَامِهِ
قَدْ هَيَّأتْ خَضِرَ الرِّيَاضِ طَيُورَهَا لِكَلَامِهِ وَزَهْوَرَهَا لِسَلَامِهِ
وَدَنْتَ لَهُ كُلَّ الْمَنَى وَأَطَاعَهُ حَتَّى الزَّمَانَ فَعَادَ مِنْ خِدَامِهِ
اللَّهُ رَاعِي صَدْقِهِ فِي سَعِيهِ مَعَدَ فَلَمْ يَحْرَمِهِ مِنْ أَنْعَامِهِ
وَهُوَ الَّذِي أَدْنَى إِلَيْهِ مَقَامِهِ شَكَرًا فَمَنْ ذَا يَزْدِرِي بِمَقَامِهِ
قَدْ أَدْرَكَ ابْنَ الْعِلْمِ غَايَتَهُ الَّتِي يَصْبُو إِلَيْهَا مِنْذَ عَهْدِ فِطَامِهِ
مَازَالَ فِي طَلَبِ الْحَقَائِقِ هَائِمًا حَتَّى شَفَى مِنْهَا غَلِيلَ هِيَامِهِ⁽³⁸⁾

ج - المتانة والجزالة والقوة:

وهي في مدلولها تدلُّ على تمكن جيد من ناصية اللغة وخصائصها وألفاظها ومفرداتها ممَّا جعل معجمهم الشعري غني بالألفاظ الجميلة وكما أنَّه أصبح معجما ثريًا واسع النِّواء ولغتهم تجلَّتْ صحيحة وسليمة بسبب أنَّهم لم يتساهلوا أبدا في استخدام لغة ضعيفة أو تعبيرات ركيكة أو عبارات سقيمة، يقول "سعد الله": "ولعلَّ أكثر ما يميِّز الشعر الجزائري جزالة اللفظ وحبك العبارة والمحافظة على القوالب العتيقة"⁽³⁹⁾.



فالاعتباس من القرآن الكريم وظّفه الإصلاحيون بمهارة وذكاء فأعطى لألفاظهم المتانة والقوّة.

ومثال ذلك ما أورده "محمّد العيد" في قصيدة "هذيان أشيل":
فليس فيه لأعلى النَّاس منزلة (عدن) وفيه لأذى النَّاس "سجّيل"
وهو واضح هنا لأنّ الاعتباس تم من سورتي (البينة والفيل).

وفي موطن آخر يشير إلى الاختراع الحديث:

أشار إليه الله في الذّكر قائلاً "ويخلق ما لا تعلمون" ليطلبها
ويقول أيضا:

ويا أيّها الإنسان (إنّك كادح إلى الله كدحا) ما خلقت لتلعباً⁽⁴⁰⁾
ونجد مفدي زكريّا مقتبساً أيضاً وهو من الذين أكثروا، يقول:
أنا راض إن عاش شعبي سعيداً⁽⁴¹⁾ واقض يا موت في ما أنت قاض

VI - الصُّورة الشعرية:

وهذه الخاصيّة الفنيّة في حقيقة الأمر صبغت بالضّعف في الشّعر الجزائري عموماً وعند الإصلاحيين بشكلٍ خاص، يورد د. محمد ناصر قوله: "قد لا يكون من قبيل التعجل في الحكم القول بأنّ الجانب الفني في الشّعر الجزائري في هذا الاتجاه ظل في الأغلب الأعمّ ضعيفاً وأنّ ضعفه يرجع أساساً إلى ضعف عنصر التّصوير فيه"⁽⁴²⁾.

رغم هذا التّقرير فإنّه لا يمكن أن نصدر حكماً قاطعاً بأنّ الصُّورة كانت غائبة تماماً ولكنّ المراد هو أنّ حضور هذه الخصيّة كان ضعيفاً فوجب التّنبيه.





وللوقوف على اهتمام شعراء الإصلاح بالصورة الشعرية نورد خصائصها ويمثّل لذلك من شعرهم.

أولاً: الوضوح والابتدال : والمقصود هنا أنه كلّما كانت الصورة واضحة فإنها لا تستحق استعمال الخيال الواسع أو بذل الجهد في فكّ الرُّموز وتشفيرها.

ومثال ذلك ما قاله الشّاعر سحنون في قصيدة "يا بلادي":

كلّ شيء نسيته يا بلادي	وتلاشت أطيافه من فؤادي
غير ذكراك فهي تكمن في قلبي	كوت اللظى بقلب الرّماد
والشّذا في الزّهور والحبّ في	الأشجاء والكبرياء في الأطواد
فإذا ما بدا الصّباح تجلّت	أغنيّات سحرية الإنشاد
وإذا ما دحا الظّلام تراءت	في طيوف تحوم حول وسادي
وإذا ما بلابل الدّوح غنت	قلت: صوت الحمى إلى المجد حاد
وإذا ما الريّاض أبدت حلاها	قلت حسن من (الجزائر) باد ⁽⁴³⁾

والشّاعر صالح خرفي يقول:

خيروني أبالجزائر أنس	أم طوى شعبها المكافح رمس
أنهيج خيم السّكون عليها	وأناس بين المنازل خرس
سكنت لا سكون عمر وكانت	كعباب الخضمّ تطفو وترسو ⁽⁴⁴⁾ .

إذاً، الصّورة واضحة الشّاعر يبتدل في تقديمها سهلة ميسّرة بعيدة عن جنوحها للخيال الواسع المفرط.

ثانياً: الحسيّة والشّكليّة: ومؤداها أن نصف الشيء وصفاً حسيّاً شكليّاً، كما هو بخصائصه وأركانه، "والمراد بالحسيّة والشّكليّة ميل الشّعراء إلى وصف الأشياء وصفاً حسيّاً يتناول الخصائص الثّابتة كاللون والحجم والشّكل والوقوف عند هذه الجوانب التي تعتمد أساساً





على حاستى البصر والسمع دون التَّغلغل إلى مواطن الأشياء والنَّفاذ إلى
جواهرها باستخدام الحدس والخيال لتحفيز الوعي والمنطق والعقل⁽⁴⁵⁾.
ومثال ذلك ما جاء فى شعر "رمضان حمود":

أنظر إلى الكون البديع بنوره	وظلامه وسكونه الرُّوحاني
ونسيمه وهبوبه ومياهه	وخريرها وجمالها الفتان
وسحابه بسماؤه متقطعا	عند الغروب وهو أحمرقاني
متشَتَّتاً كالفلك فى إمساءها	فكأنَّه قطع من المرجان
وسهوله ممتدَّة ومروجه	خلاَبة بتناسق الألوان ⁽⁴⁶⁾

ثالثاً: الجمود وعدم التَّعاطف : والمعنى أن تقدِّم الصُّورة وتعطى
جامدة تماماً كالشيء الذى تلامسه اليد أو تبصره العين، ومن هذا المنطلق
كرس الشُّعراء هذه الخصيصة فى شعرهم مما طبع قصائدهم بالجمود
وانغلاق النفس، فلا خيال ولا إحياء.

ولك أن تقف مع أحمد سحنون فى هذه القصيدة:

يا صامتا يتكلَّم	وضاحكاً يتألَّم
ويا خطيباً بليغاً	ومعرباً وهو أعجم
ومانحاً كل سرّ	لشاعر يترنَّم
لكنَّه عن سواه	بسرّه يتكتم
يا راضياً مطمئناً	وساخطاً يتبرَّم
ويا حليفاً وقوراً	وثائراً ليس يرحم ⁽⁴⁷⁾

ويقول محمد العيد فى موطن آخر:

يا بحر أفديك بحرأ	ملكى قلبي سحرأ
تبدو مياهك زرقأ	للناظرين وخضرأ
فليس لونك ليلاً	تمثل لونك فجرأ
وليس لونك صباحأ	تمثل لونك ظهراً ⁽⁴⁸⁾





VII - البنية العامة: ونقصد بها الإطار العام الذي يمثي فيه الشعراء من حيث النبرة الخطابية والتعبير وكذا الصياغة اللفظية التي استعملوها في قرص الشعر.

أولاً: النبرة الخطابية:

ولعل أول مظاهر طغيان النبرة الخطابية في القصائد العمودية هو ارتكازها الشديد في صياغتها العامة على الأدوات المستعملة في الخطب عادة كأدوات الاستفهام، والأمر والنهي، والتوكيد والتداء والإكثار من صيغ التعجب والإنكار والتعريض والتخصيص والقسم... الخ.

يقول محمد العيد مستفهما:

علام يظلّ دهرك مستريباً تسأله ويأبى أن يجيباً؟⁽⁴⁹⁾

فالتشبيه والتحضّض يحتلّان مكانتهما بسبب أن الشاعر يعتمد الاهتمام بهذا الغرض في شعره إمّا اهتماماً بشعره أو لأفكار الإصلاح والإحياء التي يدعولها. كقول ابن السّائح:

ألا دع التغزلّ في غوان فتلك طريقة المستهترينا⁽⁵⁰⁾

أو كما جاء في استعمال كلمة "هيمات" اسم فعل آخر:

هيمات أن يعتري القرآن تبديل وإن تبدّل توراة وإنجيل⁽⁵¹⁾

يقول الركيبي: "مادام أنّ الدّعوة التي حملها هؤلاء الشعراء كانت الدّعوة إلى الاستفاقة واليقظة، فإنّهم عمدوا سواء بشعور أم بغير شعور إلى استعمال ألفاظ معينة مثل الإنذار بالخطر، ومن ثمّ تعتمد القصيدة على الاستفهام والإنكار والتعجب والتداء والتعريض والأمر والنهي...".



يقول الزّاهري:

ضقت ذرعا برحب هذا الوجود وبقوم طول الزمان رقود
أوجه مثل أوجه الناس لكن خشب من خلالة وجمود⁽⁵²⁾

ثانيا: الصيغة اللفظية: وهي الاعتناء بصياغة الألفاظ وإخراجها في قالب جميل.

يقول د. ناصر: "ولعلّ هذه الميزة تدلّ على الجهد الذي يبذله شعراء هذا الاتجاه البياني، فقد كانوا فيما يبدو شديدي العناية بقصائدهم وجودونها تجويداً، ويحتفلون بها احتفالاً وإن هم تفاوتوا في مقدار هذا التّجويد والاحتفال"⁽⁵³⁾.

يقول أحمد سحنون شعراً:
ما أحوج القرآن للسُّلطان لو آمن السُّلطان بالقرآن
كما يطبق حكمه بنفوذه وبذا تتمُّ سعادة الإنسان
وبغير قرآن وسلطان معاً ينهار ما قد شيد من بنيان
ويعيش أبناء البسيطة مثلما تقضي الحياة فضائل الجيران
النّاس بالقرآن والسُّلطان في عزّ وحرز وظلّ وأمان⁽⁵⁴⁾

ويكي "ابن رحمون" على حال الضّاد:

قل لي أخي ذاك الصّراح عزائي أم فيه كان تفجّعي وعناقي؟
وهل أنت تصدح في الخمائل والرّبي عن غبطة أو عن أنس ورثاء؟
يا ويح نفسي كم يجرعها الزّمان وصرفه من علقم الأرزاء
لما وقفت حيال أطلال أرى ما شاد قومي من عظيم بناء⁽⁵⁵⁾



VIII - الخاتمة:

لقد كان لظهور جمعىة العلماء المسلمين الجزائريين حاملة لواء الفكر والإصلاح فى الجزائر أثر عظيم فى تجميع كوكبة من الشعراء، سخروا أقلامهم وقريحتهم لخدمة مشروع الإحياء والبعث فى وطن استوطنه الغرب المسيحى بقيادة فرنسا.

وقد بدا على شعرهم هذه الرسالة التى أفنوا حياتهم فى صدقها متأثرين بإخوانهم فى مدرسة الإحياء الشرقىة، فاستفاد الشعر العمودى من بنية أخرى ليجاهد هو الآخر دفاعاً عن قيم هذه الأمة وهويتها ومبادئها.

لقد خدم الاتجاه الإصلاحى من خلال الشعر اللغة والفكر والأخلاق، فكان سبباً من أسباب نشر الوعي ومحاربة الجهل وتصحيح العقيدة والانتماء لمجتمع أريد له أن يتمسح وأن يلحق طول عمره بالآخر.





الهوامش:

- 1 - الوناس شعبانى - تطوّر الشعر الجزائرى الحديث من 1954 حتى 1980، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر - 1988، ص 25.
- 2 - عبد الله الركيبي، الشعر الدينى الجزائرى الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر- 1980، ص 36.
- 3 - عبد الله الركيبي، الشعر الدينى الجزائرى الحديث، ص 560.
- 4 - المرجع نفسه، ص 561.
- 5 - المرجع نفسه، ص 563.
- 6 - المرجع نفسه، ص 576.
- 7 - المرجع نفسه، ص (563 - 567).
- 8 - المرجع نفسه، ص 564.
- 9 - المرجع نفسه، ص 566.
- 10 - محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، مطبعة البحث، قسنطينة 1967، ص (198 - 201).
- 11 - أحمد سحنون، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1980، ص 138.
- 12 - عبد الله الركيبي، الشعر الدينى الجزائرى الحديث، ص 568، 570.
- 13 - المرجع نفسه، ص (591 - 592).



- 14 - المرجع نفسه، ص 593.
- 15 - المرجع نفسه، ص (595 - 597).
- 16 - المرجع نفسه، ص 597.
- 17 - محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 515.
- إِنَّ قَلْبِي فِي عَشْقِهَا لَا يَبَالِي تَنْطَوِي الْأَرْضُ أَمْ يَخْرَّ سَمَاهَا
قَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ تَكُونَ كَصَوْت وَقَضَى أَنْ يَرِدَّ رَوْحِي صَدَاها⁽¹⁷⁾
- 18 - نفس المصدر، ص 339.
- 19 - الوناس شعباني، نفس المرجع، ص 50.
- 20 - أحمد سحنون، الديوان، ص 126.
- 21 - أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر، محمد العيد آل خليفة،
المؤسسة الوطنية للكتاب، طبعة الثالثة، 1984، ص 86.
- 22 - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 88.
- 23 - المرجع نفسه، ص 89.
- 24 - محمد العيد، الديوان، ص 85.
- 25 - المختار في الأدب والقراءة، السنة الثالثة ثانوي، الفرع الأدبي،
ص 150.
- 26 - أحمد سحنون، الديوان، ص 107.
- 27 - عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 628.





28 -محمد ناصر، الشعر الجزائرى الحديث، اتجاهاته وخصائمه
الفنية، دار الغرب الاسلامى، بيروت، لبنان، طبعة الأولى، 1985،
ص276.

29 -المرجع نفسه، ص287.

30 -المرجع نفسه، ص287.

31 -المرجع نفسه، ص288.

32 -عبد الله الركبى، الشعر الدينى الجزائرى الحديث، ص708.

33 - صالح خرفى، محمد السعيد الزاهرى، المؤسسة الوطنية
للكتاب، طبعة الأولى، سنة1986، ص(101 - 102).

34 -محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص233.

35 -عبد الله الركبى، الشعر الدينى الجزائرى الحديث، ص635.

36 -صالح خرفى، الشعر الجزائرى الحديث، ص338.

37 -ابن رحمون مصطفى، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،
الجزائر، الطبعة الأولى فترة 1980، ص125.

38 -محمد العيد، الديوان، ص89.

39 -عبد الله الركبى، الشعر الدينى الجزائرى الحديث، ص708.

40 -أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص216.

41 -مفدى زكريا، اللمب المقدس، دار الكتاب، بيروت، طبعة أولى سنة
1961، ص117.



- 42 -محمد ناصر، المرجع السابق، ص 422.
- 43 -أحمد سحنون، الديوان، ص101.
- 44 -صالح خرفى، أطلس المعجزات (ديوان) المؤسسة الوطنية للكتاب، طبعة أولى، ص 1985، ص 47.
- 45 -محمد ناصر، المرجع السابق، ص 445.
- 46 -محمد ناصر، المرجع السابق، ص 446.
- 47 -أحمد سحنون، الديوان، ص 34.
- 48 -محمد العيد، الديوان، ص 63.
- 49 -أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 700.
- 50 -المرجع نفسه، ص 700.
- 51 -المرجع السابق، ص 700.
- 52 -أحمد سحنون، الديوان، ص 140.
- 53 -المصدر نفسه، ص 140.
- 54 -المصدر نفسه، ص 140.
- 55 -ابن رحمون، الديوان، ص 137.

الدلالة الصّوتية في ديوان (مآسي وأين الآسي؟) لأبي الحسن علي بن صالح الجزائري 1906-1988م

د/يوسف بن نافلة (ج.حسيبة بن بوعلي - الشلف)

المتأمل في التراث الأدبي الجزائري يجده تراثا نفيسا شاملا للعلماء أجلاء تركوا بصماتهم في الساحة العلمية ، والأدبية ، فهم بحق نجوم القمة ، وأعلام الأمة الخالدة بخلود رجالها ، وعلمائها الأجلاء ، ومن الشعراء الجزائريين الذين خلدوا أسمائهم في التاريخ الناظم أبو الحسن علي بن صالح الغرداوي الجزائري، فارتأيت أن أتناول الصوت ، ودلالته، ووظيفته في ديوانه (مآسي وأين الآسي؟).

مفهوم الدلالة :

أ- في اللغة : جاء في معجم لسان العرب (مادة دلل) : "الدالة : ما تدل به على حميمك ، والدليل : ما يستدلّ به.وقد دلّه على الطريق يدلّه دَلالة ودِلالة ودُلولة ، والدليل ، والدليلي:الذي يدلّك ، والجمع أدلّة وأدلّاء،والاسم الدِّلالة والدَلّالة بالكسر والفتح، والدّلولة، والدليلي. ثم يستدل بقول سيبويه (ت180هـ):والدليلي علمه بالدلالة ، ورسوخه فيها . ودلت بهذا الطريق :عرفته .ودلت به أدلّ دلالة ، وأدلت بالطريق إدلالا،والدليّة المحجة البيضاء ،وقوله تعالى : (ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلا).



والدلال : الذي يجمع البيعين ، والاسم الدلالة ، والدلالة ، والدلالة: ما جعلته للدليل أو الدلال. ¹ وأدلت بالألف لغة والمصدر دلولة، والاسم الدلالة بكسر الدال وفتحها وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه ، واسم الفاعل دال ودليل وهو المرشد والكاشف ، ودلت المرأة دلا، ودلا من بابي تعب وضرب وتدللت تدللا . والاسم الدلال. ²

ب- في الاصطلاح: يرى العلامة التهانوي (ت1158هـ) في الكشف: (الدلالة بالفتح هي على ما اصطلح عليه أهل الميزان، والأصول، والعربية، والمناظر، أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر .، والشيء الأول يسمى دالا ، والشيء الآخر يسمى مدلولاً). ³

ويرى محمود عكاشة أن « علم الدلالة (سيمونتيك) هو العلم الذي يتناول المعنى بالشرح والتفسير ، ويهتم بمسائل الدلالة وقضاياها، ويدخل فيه كل رمزيؤدي معنى؛ سواء أكان الرمز لغويا أم غير لغوي .

ويعد علم الدلالة أهم فرع من فروع علم اللغة ، وأنّ اللغة موضوع علم اللغة وضعت للتعبير (أو للدلالة) عما في نفس متكلميها ، وكل الجوانب اللغوية الأخرى هدفها تبين المعنى على نسق واضح سهل الفهم ، وجميع فروع اللغة تشارك في الدلالة ولا يمكن الفصل بينها وبين علم اللغة، وكل فرع منها يساهم بدوره في الدلالة في إطار مجاله . ⁴

وهو العلم الذي يتناول المعنى بالشرح والتفسير ، ويركز على مسائل الدلالة وقضاياها، ويتعلق ذلك بكل رمزيؤدي معنى سواء أكان الرمز لغويا أم غير لغوي، (مثل الحركات ، والإشارات ، والهيئات، والصور، والألوان، والأصوات غير اللغوية ، وغير ذلك من الرموز التي لها دلالة تؤديها عن طريق التواصل الاجتماعي .



الدلالة الصوتية : يدرس علم الأصوات اللغة المنطوقة ، وهو فرع من علم اللغة ، وينفرد عن غيره من الفروع بأنه يهتم بشطرها المنطوق أو الملفوظ فقط ، كما أنه يهتم بأدق وأصغر الوحدات الدلالية في اللغة، والأصوات أصل طبيعة اللغة ، أما الكتابة فهي لاحقة عليها ورمز الصوت .

وتقسم أصوات اللغة إلى ضريين هما: الصوامت، والصوائت، الصوامت: الأصوات التي تتعلق بمخرج معين يعترض الهاء الصادر من الحنجرة حين إصدار الصوت المراد اختياره، وهذا النوع يشكل معظم أصوات العربية. والأصوات الصائتة هي التي لا يعترضها عضو من أعضاء النطق، أو لا تنطق بمخرج صوتي يثني النفس (الهواء الصادر من الحنجرة) عن امتداده، فيكون الصوت أثناء نطقها ممتدا حرا لا يعوقه حتى ينفذ، ويمثل هذا النوع أصوات المد أو اللين أو العلة (الألف، الواو، الياء حال سكون الواو، والياء .)، والحركات القصيرة تعتبر أبعاض هذه الأصوات أو جزء منها، لكنها لا تبلغ مقدارها من ناحية الطول، وكَمّ الهواء المندفع، وهذان النوعان (الصامت، والصائت) يشاركان في الدلالة أكثر من الحركات القصيرة .

وتتحقق الدلالة الصوتية في مجال تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة ، وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسة ، والتي يرمز إليها بالحروف :أ.ب.ت.ث.ج.....، ويشكل منها مجموع حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي⁵.

وتتحقق هذه الدلالة أيضا من مجموع تأليف كلمات الجملة ، وطريقة أدائها الصوتي ، ومظاهر هذا الأداء ، وتعرف باسم العناصر الصوتية



الثانوية ، وتعتبر هذه العناصر أكثر إسهاما في مجال الدلالة من العناصر الصوتية التي تتعلق بالكلمة المفردة . ويطلق العلماء على الأصوات الصامتة ، والأصوات الصائتة المقطع الأولي ، أو الصوت التركيبي ، وهو أصغر وحدة صوتية ، ويشمل السواكن والعلل .

التعريف بالشاعر أبي الحسن علي بن صالح الجزائري : هو أبو الحسن علي بن صالح بن عمر بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن مرزوق من مواليد 1324 هـ الموافق ل 1906 م بمدينة القنطرة ، ولاية غرداية ، ترعرع في أحضان عائلة محافظة على العادات ، والتقاليد ، والدين الحنيف ، تتلمذ على يد علماء أجلاء أمثال الشيخ محمد بن الحاج الطرابلسي ، ثم أتم حفظ القرآن الكريم وهو لا يتجاوز سن الثانية عشر من عمره . التحق بالبعثة الميزابية العلمية إلى تونس وهو ابن الحادية عشر ، ثم قاطع دراسته لظروف اجتماعية ، وعاد إلى بلاده سنة 1923 م فواظب على حلقات العلم .

ولما تأسست في بسكرة أول مدرسة عربية حرّة سنة 1928 م كان بها مديرا ، ومعلما ، وقد لاحقته السلطات الاستعمارية الفرنسية بإلحاح لما رأت فيه من جرأة في خدمة الدين ، واللغة والوطن ، وكان ذلك سببا في عدم استقراره ، وفي سنة 1931 م انتقل الشاعر إلى مسقط رأسه بمدينة القنطرة .

وقد برز الشاعر أبو الحسن علي بن صالح على الساحة الأدبية ضمن جماعة من الشعراء في عصره ، وعلى رأسهم شاعر الثورة مفدي زكرياء ابن منطقة وادي ميزاب ، ومحمد العيد آل خليفة ، ورمضان حمود ، وغيرهم .





عُرف الشاعر بحبه للوطن حتى النخاع ،ودفاعه المستميت عنه، رافضاً لكل ظلم واستبداد ،متأثراً بأفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وقد لقي من الاحتلال الفرنسي الغاشم مرارة الحياة ،وضنك العيش مثل غيره من دعاة الحق ،وأعلام الإصلاح في الجزائر، وقد لاحقه الاحتلال بإلحاح بسبب جرأته ،إيمانه بالحق ،وحبه الشديد لوطنه، وعدم خوفه في الله لومة لائم ،وإخلاصه في خدمة الدين، واللغة، والوطن المفدى.

انضمّ الشاعر إلى الثورة المباركة ،وعزم على محاربة العدو المحتل باللسان ،إلى جانب القلم واللسان، فاعتقل في الأربعينيات ،ولم يطلق سراحه إلاّ قبيل اندلاع الثورة التحريرية المجيدة سنة 1954م، ولما تكونت الولاية السادسة التاريخية كان من الأوائل الذين التحقوا بجبل "بوكحيل" الذي دوّخ فرنسا قرب ولاية بوسعادة ،وله في العمل الثوري مواقف مشرفة ،وكان منزله من الأماكن التي يتردد عليها المجاهدون ،وقد تعرض لعنت شديد ،حيث أُلقي القبض على ولديه "بكيرومحمد" ، ولم يجتمع شمل العائلة إلاّ بعد الاستقلال .

انتقل بعد الاستقلال إلى الجزائر العاصمة ،وعُيّن أستاذاً في التعليم الرسمي بإكاديمية القبّة بالعاصمة .

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من محرم 1409هـ/ الموافق للسّادس من سبتمبر 1988م بمنطقة غرداية .

خلف الشاعر آثاراً مختلفة، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط، وهي على النحو الآتي :



1- ديوان أبي الحسن علي بن صالح ، طبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1984م، ضمن سلسلة "شعراء الجزائر ، يحتوي على تسع ومائتي صفحة. (209ص).

2 -ديوان "مآسي وأين الآسي؟" طبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1988م، في ست وثلاثين ومائة صفحة (136ص) ، من الحجم الصغير (شكل كتيب).

3 -ديوان "شاعرائر" توفي قبل أن يتم طبعه .

4 -مجموعة كبيرة من القصائد المخطوطة .

5 -مذكراته ، ورسائل هامة مخطوطة .⁶

الدلالة الصوتية في ديوان الشاعر أبي الحسن علي بن صالح :
المراد بالصّوت في عرف أهل الاختصاص آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا، ولا كلاما موزونا إلاّ بظهوره⁷

وحدّ الصّوت اللغوي هو الصّوت الصادر من جهاز النطق الإنساني، وينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمرّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف ، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن.⁸

وتنقسم الأصوات في اتفاق اللغويين إلى أصوات صامتة CONSONANTS وتعرف عند العلماء بالحروف ، وأصوات صائتة VOWELS ويسمىها القدماء الحركات .





أمّا ما يتعلق بموضوع العلاقة بين الصوت والدلالة، أو ما يعرف بالدلالة الصوتية ، فقد كان محل اهتمام كثير من العلماء و الباحثين، وخاصة ما يتعلق بما يعرف بالتطريز الصوتي كالنّبر، والتنغيم، والوقفات، أو السكنات ، أو الفواصل ، ودرجة الصوت وصفته ، وقوته ، وانطلاقا من كل ذلك حاولت تتبع الصوت ودلالته في الخطاب الشعري الجزائري عند الشاعر أبي الحسن علي بن صالح من خلال ديوانه (مآسي وأين الآسي؟)

فمن الظواهر الصوتية الدلالية التي وردت في الديوان نجد :

1 - الانسجام الصوتي : كقوله:

إنما الدنيا وإن ما ست فأغرتنا مآسي
لم أجد في صيدليا ت الدواء مرهم آسي
أين آسي عبقرى بارعٌ يمحو المآسي؟
صدمتنا رغم تنقي بٍ جرى صخرة يأس⁹

فنلاحظ أن الشاعر قد استطاع تحقيق الانسجام الصوتي الرائع بين الكلمات، وخاصة في اختياره لحرف السين ، وهو حرف مهموس في الكلمات: مآسي، وآسي، والمآسي، ويأس، وبأس.. وذلك للدلالة على الحالة النفسية للشاعر، انطلاقا من حديثه عن حقيقة الدنيا وتكالب الناس عل ملذّاتها، ونجد الانسجام الصوتي أيضا في حديثه عن "مأساة سقوط غرناطة" وذلك حين قال :

أرى الجزيرة عقدا غاليا قطعت أطرافه، وعنت في الحكم أشراف
فصال صولة أساد الشرى وبدت معارك الحرب والأهوال أصناف



قف واعتبر، واتَّعِظْ حِيالَ أُنْدَلَسْ ترالأعادي حول الدور قد طافوا
فقتلوا صبية بل مزقوا مهجا وأحرقوا، مثلوا، والله ما خافوا
فنلاحظ أن الشاعر قد استطاع أن يحدث انسجاما صوتيا جميلا،
ونغما عذبا، وخاصة في (أشراف، وأصناف، وأسَاد، ومعارك.... كل ذلك
للدلالة على الحالة النفسية الممزقة التي يعيشها الشاعر حين وصف
نكبة ومأساة سقوط الأندلس .

ونجد هذا الانسجام متوافرا بكثرة في ديوان الشاعر

2 - الإتياع : وهو أن تحرك ما قبل الحرف الأخير إذا كان ساكنا حركة
الحرف الأخير في الرفع والجرح نحو : هذا بكر وممرت ببكر " ¹⁰

وقد ورد ذلك في قوله :

ألم يك فيك يا رمضان بدر بها عزّ الهدى والشرك ذلاً ¹¹
وقوله :

هكذا الدهر يُسْقَطُ التيجانا ويُذِلُّ الأمير والسلطانا
وقوله :

في ارتكاب الجرائم الموبقات السود قد أطلق اليهود العنانا
وغيرها من الأبيات التي ورد فيها الإتياع في الديوان .

3 - التلاوة : وهي مراعاة مخارج الحروف بالترتيل والتجويد ¹²

من ذلك قول الشاعر :

من لي بأحرف مارج من نار فأخط من شواظها أشعاري





وأصوغ من لهب الحماس قذائفًا ترمي العدى بسواعد الثوار.

لنحرر القدس الشريف وما حواه المسجد الأقصى من الأسرار¹³.

ف نجد أنّ الشاعر قد كان يراعي مخارج الحروف في الأداء الصوتي للكلمات : مارج ، نار ، ولهب ، وقذائف ، والعدى ، والثوار ، وغيرها من الكلمات في الديوان

4 - الجرس الموسيقي : وهو في الاصطلاح إجمال الخطاب الإلهي الوارد على القلب بضرب من القهر ، ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بصلصلة الجرس ، وبسلسلة على صفوان ، وقال أنه أشدّ الوحي؛ فإن كشف تفصيل الأحكام من بطائن غموض الإجمال في غاية الصعوبة¹⁴.

والجرس هو الظاهرة الصوتية التي تميز بين الأصوات الموسيقية بعضها عن بعض ، وركّز النحويون على ثلاثة أجراس رئيسة من الحركات الطويلة أي: (ا)، و(ي)، و(و) والمراد بهذه الحركات: الفتحة الطويلة، والكسرة الطويلة ، والضمة الطويلة¹⁵ . وقد ورد ذلك عند الشاعر في مواضع كثيرة من ذلك قوله :

قسما بعاصفة الجهاد الأقدس وبفتحه وذرى جبال الأطلس

لنحطمنّ عصابة النازيين والباغيين ، من عاثوا ببيت المقدس¹⁶

ف نجد أنّ الشاعر قد استطاع تحقيق الجرس الموسيقي العذب ، وخاصة في اختياره لحرف السين مثل الأقدس، والأطلس، والمقدس، وكذلك في بقية الأبيات من القصيدة في حديثه عن عاصفة الفتح المبين،



فنجد في الأبيات الموالية الجرس الموسيقي في الكلمات: الأنحس،
والأكيس، وأيبس، ومبلس، ومؤنس، والأهوس، والمفلس، ومدلس،
وأشوس وأدنس، والأشرس... والقصيدة تقع في ثلاثين بيتا .

5- الإيقاع: والمقصود به حركة النغم الصادر عن تأليف الكلام المنثور
والمنظوم، والنتاج عن تجاوز أصوات الحروف في اللفظة الواحدة، وعن
نسق تزاوج الكلمات فيما بينها، وعن انتظام ذلك كله شعرا في سياق
الأوزان والقوافي.¹⁷

وينقسم الإيقاع إلى قسمين هما :

أ- الإيقاع الخارجي : والمراد به الوزن والقافية في القصيدة الشعرية،
وهذا ما يعرف بعلم العروض .

ب -الإيقاع الداخلي : والمقصود به إحساسات الشاعر بالحروف،
والكلمات، والعبارة إحساسا خاصا، بحيث تجيء في النص، أو أجزاء منه
متسقة أو متجاوبة، وبمعنى آخر الإحساس بجماليات اللغة، وقيمتها
الصوتية، والتركيبية.¹⁸

ويتكون الإيقاع الداخلي من العناصر الآتية : التكرار، والجرس،
والسجع، والموازنة. والمقاطع الصوتية، والكمية، والتّبر، والتنغيم،
والمماثلة، والمخالفة، والتّضاد.

أمّا عن الموسيقى الخارجية فقد التزم الشاعر أبو الحسن علي بن
صالح في ديوانه (مآسي وأين الآسي؟) بعدة بحور خيلية في قصائده، من
ذلك اختياره لبحر الطويل: وتفعيلاته: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.



كقوله :

سأَمْضِي وتَبْقَى صورتي في الدفاتر خيالاً توارى في ضمير الجزائر.¹⁹

وبحر المجتث :وتفعيلاته :

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

في قوله :

إنّما الدنيا وإنّ ما ست فأرتنا مآسي.²⁰

وبحر البسيط : وتفعيلاته:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

في قوله :

أرى الجزيرة عقداً غالياً قطعت أطرافه ،وعتت في الحكم أشراف.²¹

وبحر الخفيف، وتفعيلاته هي :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

كقوله :

لايسير الزمان حسب هوانا تارة عزّة وطورا هوانا²²

وبحر الرمل ، وتفعيلاته :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

كقوله : يا رجال الأحباش موتوا كراما دون صون الحريم والأوطان.²³



وبحر المقتضب وتفعيلاته :

مفعولات مستفعلن مفعولات مستفعلن

كقول الشاعر :

ليبيا الشقيقة مرحبا شعب المفاخر والإبأ²⁴

وبحر الرجز ، وأجزاؤه :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

كقوله :

مالي وللنجم أرعاه ويرعاني وقد جفا النوم عبر الليل أجفاني²⁵

وأما ما يتعلّق بالقافية فإنّها عبارة عن الساكنين اللّذين في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة ، ومع التحرك الذي قبل الساكن الأول²⁶

وللقافية حروف مخصوصة بها ، وحركات ، وأنواع . فحروفها ستّة وهي : الرّوي ، والوصل ، والخروج ، والرّدف ، والتّأسيس ، والدّخيل ، وقد جمعها صفي الدين الحلّي (ت 750هـ) في قوله :

مجرى القوافي في حروف ستة كالشّمس تجري في علوّ بروجها

تأسيسها ، ودخيلها مع ردفها ورؤيها ، مع وصلها ، وخروجها²⁷

وقد تنوع حرف الروي عند الشاعر في ديوانه ، من ذلك اختياره لحرف السين رويّا كقوله :



ست فأغرتنا مآسي	إنّما الدّنيا وإنّ ما
ت الدّوا مرهم آسي	لم نجد في صيدليا
بارع يمحوا المآسي ؟	أين آس عبقريـ
ب جرى صخرة يأس	صدمتنا رغم تنقيـ
لذوي بطش وباس	لا أرى دنياك إلّا
وارتادوها كلباس ²⁸	تغدو القوة درعا

ويعد صوت السين من بين الأصوات الطويلة لطبيعته الصفيّرة ، في رأي إبراهيم أنيس حين قال : "السين العربية عالية الصفيّر إذا قيست بها السين في بعض اللغات الأوروبية كالإنجليزية مثلا"²⁹ وصوت السين هو الذي يغلب على قصيدة الشاعر في مقدمة الديوان ، والتي تشمل عشرين بيتا ، وهذا الصوت هو صوت رخو ومهموس مرقق ، يضيفي على القصيدة كلها إيقاعا مهموسا يتلاءم مع الحالة النفسية في نظمه للقصيدة ، ويبدو أنّ الشاعر قد تأثر بسينية البحري التي مطلعها :

صنت نفسي عما يدنّس نفسي وترفّعت عن جدا كلّ جبسي .

واختارا لشاعر حرف الفاء رويا كما في قوله :

أرى الجزيرة عقدا قطعت أطرافه ، وعنت في الحكم أشراف³⁰

وحرف الفاء من الحروف المهموسة أيضا للدلالة على حالته النفسية

واختار الشاعر حروف روي أخرى في القصيدة مثل الباء كقوله :

يا أبا عبد الله مالك نادب قد عهدناك لا تخاف النوائب .



وحرف الباء من الحروف العربية المجهورة وهي تؤدي غرضاً واضحاً يرمي إليه الشاعر، وذلك بغرض تصويره الفاجعة.

ثم التزم بحرف مجهور آخر وهو النون كقوله :

نبأني إن كنتما تعلمان ما دهي الحبش أيها النيران

والدال وهو حرف مجهور كقوله :

رمنازيارة سيدي فرج لذكرى تستعاد.

والقاف وهو حرف مهموس كقوله :

نزل اليوم في حمانا العراق بعد أن بنا الأشواق .

والميم وهو حرف مجهور كقوله :

هلال ذي الحجة الميمون مبتسم بالأفق مرتسم بالبشر متّسم.

وقوله :

أجرى الإله بحكمه الأقلاما فرمى بسهم قضائه الأصناما

والراء وهو حرف مجهور كقوله :

على المسجد الأقصى اعتدى اليوم فاجر وأضرهم فيه النار باغ وماكر
كل ذلك لتصوير حالته النفسية، والتعبير عن مشاعره، فاختار
الشاعر لكل موقف، وحال، ومناسبة، حرف روي مناسب للمقام .

أما الإيقاع الداخلي فهو متوفر بكثرة عند الشاعر، تبعاً لمناسبة
القصيدة، ومقامها، والحالة الشعورية في نظمه للقصيدة، وذلك باعتبار
أن هذا الضرب من الإيقاع يشمل وحدة النغم التي يكون مصدرها



اهتمام الشاعر باختيار الألفاظ المناسبة، والخاصة التي تعبر عن عواطفه وانفعالاته، ومع تكرار كلمات، وأصوات داخل التركيب، ويشكل هذا النوع من الإيقاع بنية النص الداخلية.

من ذلك تصويره لدلالة الحزن والألم كقوله: مقتحما، قطعت، ومعارك والأهوال، والدمع، والقلب، وقتلوا، ونعاج، وخرفان..... وكذلك في قصيدة "ابك مثل النساء" التي نظمها سنة 1932م وهو يصف سقوط قصر الحمراء، وكذلك في قصيدة وعد بلفور المشؤم التي نظمها سنة 1938م.. نلمس الحزن والأسى أيضا في قصيدة (الاحتلال نزول الإفرنج بسيدي فرج) التي نظمها سنة 1959م مثل الكلمات (الاضطهاد، والحداء، والرهيبة، والغزو، والهوان، وكابوس، ولوعة..... وكذلك في قصيدة (نكسة يونيو) التي نظمها سنة 1967م، وغيرها من القصائد، وكذلك الإيقاع الجميل المناسب للحالة النفسية للشاعر في قصيدة (مأساة وأين الأساة ؟)، وهي تتكون من خمس وعشرين بيتا ومنها قوله :

مالي وللنجم أرعاه ويرعاني وقد جفا النوم عبر الليل أجفاني ؟
فأيّ داهية حلت بساحتنا وأي سهم رمى قلبي فأضناني ؟

فلاحظ جمال الإيقاع في يرعاني، وأجفاني، وأضناني، كل ذلك للدلالة على حالته النفسية الحزينة البائسة على ما ألمّ بالأمة العربية من ويلات وهموم، وحروب .

ومن دلالات الإيقاع نجد أيضا الحزن والأسى والدموع على نكبة الزلزال بالأصنام، حيث عبّر بدموعه على كارثة الأصنام بالزلزال الذي أصيبت به يوم الجمعة غرة ذي الحجة الحرام 1400هـ الموافق للعاشر من أكتوبر 1980م، فسجل قصيدة طويلة منها قوله :



أجرى الإله بكمه الأقلاما فرمى بسهم قضائه الأصناما
بلد عزيز في الجزائر ليته ما كان يدعى بيننا أصناما
فلرب تسمية تواكب متعة ولرب أخرى واكبت آلاما
ما كان من طبعي التشاؤم، إنما أهوى من الأسماء ما يتسامى

فلاحظ الإيقاع لدى الشاعر يحمل دلالة الحزن الشديد، والألم المير، على ما ألم بولاية الشلف حالياً، الأصنام سابقاً، من ذلك: الأقلاما، أصناما، آلاما، تشاؤم.... وغيرها من القصائد التي وظف فيها الشاعر الإيقاع وفق الدلالة المناسبة التي تصور أحاسيسه بكل صدق، وأصالة.

6 - المقاطع الصوتية :

كلمة "مقطع" في اللغة من القطع، وهو إبانة بعض أجزاء الشيء من بعض. أما في الاصطلاح فهو أقرب إلى قول العرب "مقطّعات الكلام، أي أجزاءه التي يتحلّل إليها، ويتركّب عنها، ويقسم بعضهم المقاطع إلى خفيفة، وثقيلة، فالخفيف مركّب من صامت ومصوّت، والثقيل من صامتين ومصوّت. وتفتن العلماء إلى أنّ الأصوات في السلسلة الكلامية تتابع شكل مجموعات متتالية يمكن تمييز أصوات كل مجموعة عن الأخرى، وقد تتألف الكلمة من مجموعة واحدة أو أكثر، وقد تتداخل تلك المجموعات بين كلمتين في الكلام المتّصل، وأطلقوا على كلّ مجموعة منها اسم (المقطع)³¹.

وعرّف بعض العلماء "المقطع" بأنّه وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت، وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت، أو تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد³²



وفي العربية ستة أضرب من المقاطع وهي :

- 1- ع ص وهو قصير مقفل ومثاله :أداة التعريف .
 - 2- ص ع وهو قصير مفتوح ومثاله :باء الجر المكسورة .
 - 3- ص ع ص وهو متوسط مقفل ومثاله :لم .
 - 4- ص ع ع وهو متوسط مفتوح ومثاله :ما
 - 5- ص ع ع ص وهو متوسط مقفل ومثاله :باب بالسكون .
 - 6- ص ع ص ص وهو طويل مزدوج الإقفال ومثاله :عند بالسكون .³³
- وقد وفق الشاعر في استغلال المقاطع الصوتية الطويلة المناسبة في قصيدة "اليهود يحرقون المسجد الأقصى" ص 83 من الديوان حيث قال :
- على المسجد الأقصى اعتدى اليوم فاجر وأضرم فيه النار باغ وماكر
 حريق ويا للهول شبّ أوّره فخرت على جمر الغضاة المنابر
 تداعت له الأركان والسقف قد هوى فشقت لهول الاعتداء المرائر
 حريق أباد اليوم وجه حضارة يباهي بها تاريخنا ويفاخر
 فيا لك من حسناء راحت ضحية على شلّوها قامت تنوح المناثر
 على مسمع الدنيا ومرأى شعوبها استباح حتى الإسلام والسلم فاجر
- نلاحظ أنّ الشاعر في هذه المقطوعة من القصيدة التي تشتمل على ثمانية وثلاثين بيتا قد غلبت عليها المقاطع الصوتية الطويلة المناسبة لمقام الحزن ، والألم مثل :فاجر، وباغ ، وماك، و الغضات، والاعتداء تداعت ...



وقد وظّف الشاعر ألوانا أخرى من المقاطع الصوتية مثل المقاطع القصيرة المقفلة كأدوات التعريف، وهي كثيرة للدلالة على التعريف، والمقاطع القصيرة المفتوحة كحروف الجر للدلالة على معاني متنوعة حسب السياق، والمقاطع المتوسطة المقفلة والمتمثلة في حرف الجزم في الديوان، والمقاطع المتوسطة المفتوحة للدلالة على الاستفهام، والمقاطع المتوسطة المقفلة وهي المنتهية بالسكون، وفي الأخير المقاطع الطويلة المزدوجة الإقفال وهي كثيرة في الديوان، والنتيجة أنّ الشاعر لم يوظف مقطعا صوتيا إلا للدلالة على أحاسيس صادقة، ودلالة تخصّه هو، سواء تعلق الأمر بسقوط الأندلس، أم وعد بلفور المشنوم، أم احتلال فرنسا للجزائر ونزولها بسيدي فرج، أم نكسة يونيو، أم بداية رمضان والقدس يهان، أم كيف يسعد عيد؟، أم نريد سلاما لا استسلاما، أم في مكة تلبية، وفي القدس بليّة، أم العام الجديد، والقدس مكبّل بالحديد، أم اليهود يحرقون المسجد الأقصى، أم نكبة الزلزال بالأصنام، أم صبره وشتيلا، وذكرى مذبحة "دير ياسين"، أم الاعتداء الإرهابي النازي على ليبيا سنة 1986م.

7- المماثلة الصوتية / المضارعة (المماثلة الجزئية) / الإدغام المماثلة الكلية): إنّ الأصوات تتأثر بعضها ببعض عند تجاورها في السلسلة الكلامية، ومعظمها ينضوي تحت موضوع المماثلة، وهي أن ينحو صوتان متجاوران أو أكثر نحو التماثل في المخرج أو الصفات³⁴

وقد عرفها أحدهم بأنّها التعديلات التكميلية للصوت حين يجاور أصواتا أخرى وهي على ثلاثة أنواع:



أ- التماثل التقدمي .

ب- التماثل الرجعي .

ج- التماثل المزدوج .³⁵

ومن أمثلة المماثلة ، والإدغام في ديوان الشاعر قوله :

يا أبا عبد الله مالك نادب قد عهدناك لا تخاف النوائب

قد عهدناك بين أهلِكَ لأعب أم رأيت الزمان، الملك ذاهب

ف نجد المماثلة أو التماثل في الكلمات: نادب الأولى، ولاعب، ثم ذاهب ونادب الثانية، وغيرها من مواضع المماثلة مثل (مزّقوا، وأحرقوا)، و(التيجانا، والسلطانا)، و(هوانا وهوانا)، و(علاكا، حماكا)، و(هواكا جفاكا)، و(العماد والقصاد)، (حداد، وتعداد)، (دهرا، فخرا)، و(بدرأوشزرا)، و(صرع، وامتناع)، و(تباهت، أضاءت)، (سادت، تداعت)، (العالى، والمعالي)، و(خبايا، وزوايا)، (السرايا، والضحايا) (الملاهي، والمناهي) وغيرها كثير من المماثلة في أبيات القصائد من الديوان .

8- النبر: النبر بالكلام الهمز، ونبر الحرف همزه، وهو عند العرب ارتفاع الصوت، أو هو علو في كلمة، إلا أنّ الباحثين يربطون بين النبر والمقطع الصوتي³⁶

ومن المقاطع التي وقع فيها النبر نجد ها في قول الشاعر :

بخامس منك يونيو انقضّ في حنق على العروبة أرجاس ملاعين

يا يوم غطت سماء العرب أجنحة التدمير أطلقها موشي وغوريونو

تتار التّبالم في أجساد أخوتنا تذيها، أين إسعاف وتأمين ؟

سيناء قد داسها أشكول في صلف واختال فيها قرير العين قارون³⁷ .



فمن خلال هذه المقطوعة نجد مواضع النبر في الكلمات الآتية: انقضّ، وحنق، وأرجاس، وغطّت، والنّبالم، وسيناء، وقرير. وغيرها من مواضع النّبر في الديوان .

9 - التنغيم: يطلق على نظام توالي درجات الصوت مصطلح التنغيم، أو موسيقى الكلام، وترتبط به مجموعة مفاهيم مثل النغمة، واللّحن، والإيقاع، وهي مصطلحات ذات دلالات فنية في مجال الموسيقى، والغناء، إلّا أنّ المستخدم في هذا المقام للدلالات المتفق عليها لدى علماء الأصوات اللغوية .

ويعرّف التنغيم بأنه ارتفاع الصوت، وانخفاضه في أثناء الكلام. وهو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية، أو الإيقاعات في حدث كلامي معيّن³⁸ وأشهر أنواع النغمات ثلاث هي :

أ- النغمة الصاعدة : وتعني وجود درجة منخفضة في مقطع ، أو أكثر تليها درجة أكثر علوا منها .

ب- النغمة الهابطة : وتعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر انخفاضاً .

ج- النغمة المستوية : وتعني وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة، وقد تكون هذه الدرجات قليلة، أو متوسطة، أو كثيرة³⁹.

وقد عثرت في الديوان على تنغيمات عديدة لها وظائف دلالية معينة من ذلك قول الشاعر :

طهّروا العوالي صن حماك صن حماك فإنّما بهمتك القعسا يسان المخيم
تقيظ ، و لا تأمن خوؤنا مراوغا فمن أمن الخوّان لاشك يندم



تدرّب على صنع السلاح وحمله فما ذلّ شعب بالتّسلّح مغرم
على صهوات الجوّ حلق مقنبلا وباغت وبادر، فالمبادر أحرّم⁴⁰

ف نجد في المقطوعة النغمة الصّاعدة التي تناسب مقام الحث على تطهير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي، فخطب الشاعر الشباب بهذه النغمة مستعملا الأساليب الإنشائية المتمثلة في الأوامر كقوله: "صُن، وتيقّظ، وتدرّب، وحلّق، وباغت، وبادر، واستعمل النهي في قوله: "لا تأمن". وغيرها من مواضع التنغيم في ديوان الشاعر.

10 - التّرصيع : وهو أن تتوخى تصوير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع وتشبيه به ، أو من جنس واحد في التصريف ، والتّرصيع في الشعر كالسجع في النثر ، وهو من حيث الوزن والروي ثلاثة أقسام: المتوازي، والمطرّف، والمتوازن.⁴¹

فمن مواضع التصريح في الديوان أذكر قول الشاعر :
يا أبا عبد الله مالك نادب قد عهدناك لا تخاف النوائب
قد عهدناك بين أهلك لالعاب أم رأيت الزمان والملك ذاهب⁴²

ف نجد التّرصيع في البيت الأول بين (نادب ، والنوائب)، وفي البيت الثاني بين (لاعِب، وذاهب)

وفي قوله :

هكذا الدهر يسقط التيجانا ويذل الأمير والسلطانا
لا يسير الزمان حسب هوانا تارة عزّة وطورا هوانا

نلاحظ التّرصيع بين (التيجانا ، والسلطانا) وبين (هوانا ، وهوانا)



وعثرت على التصريح في أبيات أخرى من الديوان مثل
(مضاعا والقلاعا) و(علاكا، وحمكا)، و(هواكا، وجفاك)، (نائي، والآباء)
(حداد، والتعداد)، و(دهرا وفخرا)، (بدرا، شزرا)، (الدفاع، وداع)
(تباهت، أضاءت) (العالي، المعالي) (الخوالي، المنال)، (خبايا، الزوايا)،
(السرايا، الضحايا)، (الملاهي، والمناهي) (دواهي، وأواه). وغيرها كثير في
الديوان.

الخاتمة :

بعد هذا العرض لأهم الظواهر الصوتية الواردة في مدونة الشاعر أبي
الحسن علي بن صالح الجزائري وتتبع الدلالات المختلفة لهذه الظواهر
يمكن أن اخلص إلى النتائج الآتية :

1- أغلب الأصوات التي في الديوان مهجورة، انفجارية، وتكمن دلالتها
حسب الحالة النفسية للشاعر، والمناسبة التي قيلت فيها القصيدة، أو
ما يعرف بالحال، وأغلبها تدل على المشاعر الحزينة، والممزقة، والهجوم
على الظلم، والاحتلال، ومواساة المنكوبين، والتعاطف مع البائسين،
المضطهدين.

2- ألفاظه كان يحسن اختيارها، ويضعها في المكان المناسب للدلالة
على الموقف الملئم للمشاعر الصادقة الأصيلية، وبالتالي جاءت الألفاظ
خادمة للمعاني، وعنوانا لها.

3- إذا كان الصوت عامًّا لدى العلماء، فإنَّ الإيقاع خاص بالقضايا
الصوتية، وهذا ما عثرت عليه لدى الشاعر، إذ أنَّ الإيقاع عنده يحمل
دلالات تناسب مشاعر أبي الحسن علي بن صالح.



4- القارئ لديوان الشاعر قراءة صوتية دلالية يجد دلالات متنوعة، من ذلك دلالة الحزن، والشجن، والألم، وهي الدلالة الغالبة في المدونة، وأيضاً دلالة التحسر، والشفقة، والمواساة.

5- الدلالة الصوتية عند الشاعر تبدأ من خلال أصغر وحدة صوتية، بحيث إن تغيرت الحركة بالضرورة تغير المعنى، وهذا ما لمستّه في ثنايا قصائد الشاعر.

6- الأشكال التنغيمية في خطاب أبي الحسن علي أدت وظائف دلالية مناسبة لحالته الشعورية والانفعالية. وأنّ هذه الأشكال، وكذا المسائل الصوتية برزت عنده، وأدت دوراً هاماً في توجيه الدلالة، وبالتالي تحقيق قيم دلالية نفيسة.

7- مظاهر التوافق أو التوازي الصوتي، والانسجام الصوتي، والتوزيع الصوتي في شعر أبي الحسن علي بن صالح كل ذلك في اعتقادي أدّى دلالات تناسب أحاسيس الشاعر.

8- الحس المرهف الذي يتمتع به الشاعر، أدّى به إلى إبراز مكنونات الأصوات اللغوية، وأنّ الدلالة الصوتية عنده تتماشى وفق السياق.

9- حالات الحزن عنده في الإيقاع الداخلي فاختار المقاطع المناسبة، وفي التنغيم للدلالة على الحالة الشعورية وقوة الانفعال لديه، وكذا التناسق بين الصوت والسياق.



الهوامش والإحالات:

- 1 - لسان العرب ، لابن منظور ، المجلد الثالث ص 399 وما بعدها ، دار الحديث القاهرة ، 1423 هـ/2003 م.
- 2 - المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ص 121 ، دار الحديث القاهرة ، 1424 هـ/2003 م.
- 3 - كشف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ، 2/119 ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان الطبعة الثانية 1427 هـ/2006 م.
- 4 - التحليل اللغوي فضوء علم الدلالة ، د/ محمود عكاشة ص 9 ، دار النشر للجامعات مصر ، ط/ الأولى 1426 هـ/2005 م.
- 5 - المصدر السابق ص 17 .
- 6 - ينظر: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر 2/613 ، وديوان مآسي وأين الآسي ص 7.
- 7 - ينظر: البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون ، ط/ الخامسة ص 79.
- 8 - ينظر: الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص 9.
- 9 - ديوان مآسي وأين الآسي ص 9.
- 10 - ينظر: اسرار العربية لابن الأنباري ص 204.
- 11 - ديوان مآسي وأين الآسي؟ قصيدة (هلّ رمضان والقدس يهان) ص 50.



- 12 -التعريفات للجرجاني ص125.
- 13 -ديوان مآسي وأين الآسي؟ق(لنحرر القدس)ص116-115
- 14 -التعريفات للجرجاني ص78.
- 15 -المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ص34
- 16 -ديوان مآسي وأين الآسي؟(عاصفة فتح)ص77و78.
- 17 -ينظرالمعجم المفصل في اللغة والأدب ،د/ميشال عاصي .
- 18 -يراجع : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية،د/مجيد عبد الحميد ناجي ص41.
- 19 -ديوان مآسي وأين الآسي ؟ ق(خيالي) ص5 .
- 20 -الديوان ص 9 .
- 21 -الديوان ص13(قصيدة مأساة سقوط غرناطة).
- 22 -الديوان ص18(ق/ابك مثل النساء) .
- 23 -الديوان (ق/يارجال الأحباش) ص28.
- 24 -الديوان (ق/هل وحدة كبرى ؟)ص37.
- 25 -الديوان (ق/مأساة وأين الأساة ؟)ص91.
- 26 -ينظر :المتوسط الكافي في علي العروض والقوافي ،لموسى بن محمد الأحمدى نويوات ، ط/3 ، ص353.



- 27 -المصدر السابق ص354، 355.
- 28 -الديوان ص9، وما بعدها.
- 29 -الأصوات اللغوية ،د/إراهيم أنيس ، القاهرة 1961، ص 64 .
- 30 -الديوان ص13 .
- 31 -ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ص197، وما بعدها .
- 32 -ينظر: المصدر السابق ص201.
- 33 -ينظر: مناهج البحث في اللغة ،د/تمام حسان ص141.
- 34 -المدخل إلى علم أصوات العربية ،د/غانم قدوري الحمد، منشورات المجمع العلمي بغداد ، 1423هـ، 1423، 20هـ/2003م
- 35 -ينظر علم الصرف الصوتي ،د/عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء عمان ، ط1 1431هـ، 2010م ص146، 147.
- 36 -اينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ص249.
- 37 -الديوان ص 42. ق(الاعتذار والغدر).
- 38 -ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ص257.
- 39 -المصدر السابق ص258.3
- 40 -الديوان ، ق(طهروا فلسطين) ص74.
- 41 -ينظر البنية الصوتية ودلالاتها في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء (رسالة ماجستير)، إعداد الطالب عبد القادر شارف ، جامعة وهران، 2001، ص 114.

السياحة الحلال بين النظرية والتطبيق

(تجربة ناجحة لدولة غير إسلامية " بريطانيا)

أ. سعاد دولي . أ. إلياس سليمان (ج. بشار)

مقدمة

المتأمل في الإحصاءات والأرقام الصادرة عن الهيئات والمؤسسات والدوائر السياحية العالمية والعربية والإسلامية، يدرك مدى الأهمية التي باتت تتمتع بها الصناعة السياحية، حتى أصبحت رقم التداول الاقتصادي الأول في العالم...

فقد أوردت إحصائية عالمية حديثة؛ أنه سيرتفع عدد السياح على مستوى العالم من 618 مليوناً عام 1997م إلى 1.7 مليار سائح بحلول العام 2020م ، فيما سيصل حجم الإنفاق السياحي في العام نفسه إلى 1600 مليار دولار. ولاشك أن الصناعة السياحية العربية والإسلامية نالت قسطاً من التطور، ما جعل منها المصدر الأول للدخول من العملات الأجنبية في مصر؛ وبمتوسط أربعة ملايين دولار (4) سنوياً، حسبما ذكرت إحصائية مصرية صدرت عام 2004م، وبينت الإحصائية أيضاً أن السياحة في مصر أسهمت بنسبة 11.3 % من الناتج المحلي الإجمالي، وتغطي أكثر من 41 % من العجز في الميزان التجاري..

أما في السعودية؛ فقد بينت دراسة سياحية أن عدد الحجاج والمعتمرين وصل إلى 4.5 ملايين سنوياً، وأن السياحة الدينية "الحج والعمرة" تعد الهدف الأول للسائحين الإقليميين والدوليين، وفي الكويت قدرت



إحصاءات دولية أبرزها منظمة (السياحة العالمية) ومنظمة أكسفورد بيزنس غروب) التي تعمل على دراسة قطاعات الاقتصاد الكويتي حالياً، و(أرنست انديونغ)، أن نسبة الكويتيين الذين يسافرون لقضاء الإجازات خارج البلاد تبلغ بين 70 - 75 % من إجمالي عدد المواطنين، أي نحو 665 ألف كويتي، ينفقون في الخارج سنوياً نحو 900 مليون دينار كويتي؛ أي (ثلاثة ملايين دولار سنوياً).¹

إن دلالات هذه الأرقام التي أوردناها على سبيل المثال لا الحصر تفرض علينا مجموعة من الأسئلة في غاية الأهمية وهي: أين موقع السياحة الإسلامية على خارطة السياحة العالمية؟ وهل تلبي هذه السياحة طموحات ملايين المسلمين في العالم؟ وهل السياحة الإسلامية قادرة على المنافسة وسط هذا الكم الهائل من المنتجات السياحية التي يتعارض كثير منها مع ثوابتنا وهويتنا ومعتقداتنا؟ وهل نمتلك برنامجاً أو مشروعاً سياحياً متكاملًا قادرًا على إبراز المنتجات السياحية الإسلامية المتوافقة مع هويتنا الإسلامية بصورة منظمة ومتطورة ومبرمجة وجاذبة؟.

إنَّ الجواب على هذه الأسئلة يأتي بالنفي في ظل الواقع الذي يلمسه الإنسان المسلم، والإحباطات التي أصابته وتصيبه عندما يقارن بين السياحة الإسلامية البينية والخارجية؛ وبين السياحة العالمية؟.

السياحة: المفهوم والتعريف/ تطور مفهوم السياحة ومعناها مع تطور المجتمعات، وكانت البداية مع العصور القديمة، بحيث كانت غريزة التنقل عند الإنسان منذ تواجدته على هذه المعمورة، فكان الإنسان يسعى إلى توفير احتياجاته بنفسه؛ وإلى خلق علاقات متبادلة بين القبائل، وكان حب الاطلاع دافعا قويا لقيام الفرد برحلات طويلة، وكذلك زيارة الأماكن المقدسة، ومع العصور الوسطى انفرد العرب بتطوير مفهوم السياحة



ووضع الأسس الأولى لمعظم فروعها، فتركزت السياحة في هذه الحقبة على التجارة، الحج، والدراسة. وأحدثت الثورة الصناعية في العصور الحديثة تغيرا جذريا في وسائل المواصلات، مما أدى إلى اختصار الوقت، وسهولة السفر.²

إن المهتم بدراسة السياحة يحصي زخما كبيرا من التعاريف التي تناولت المفهوم، وعلى هذا الأساس اخترنا كطريقة منهجية حصر أبرز مرتكزات هذه التعاريف على سبيل المثال لا الحصر، وذلك لتوافر عديد التعاريف التي لا يتسع المجال للخوض فيها كلها، قصد تكوين تعريف خاص يكون أكثر شمولية، بحيث يتوافق مع غاية البحث. وتتمثل أبرز المرتكزات التي تؤسس للتعاريف المختلفة للسياحة في كونها تعد:

عملية انتقال مؤقتة: أغلب التعاريف التي تناولت مفهوم السياحة تركز على أنها تخص غير المقيمين في منطقة معينة، وبالتالي فهي تستوجب الانتقال إلى المكان المستهدف ، وقد يكون هذا الانتقال محليا (من منطقة لأخرى بنفس البلد)، والأهم أن يكون دوليا (من بلد إلى بلد آخر)، ومن هذا المنظور ترتبط السياحة بالسفر الداخلي أو الخارجي. نقطة أخرى تشدد عليها تعاريف السياحة؛ وهي اعتبار عملية السفر مؤقتة وغير دائمة، حيث لا يعد المقيم سائحا، ونفس الشيء بالنسبة لمن سافر لأغراض غير البحث عن المتعة والترفيه؛ كالبحث عن عمل، الإقامة، أو الدراسة مثلا.

ولعل خير استدلال على ما تقدم ذكره تعريف "Robinson" روبنسون للسياحة، حيث يعتبرها " انتقال الأفراد خارج الحدود السياسية للدولة التي يعيشون فيها مدة تزيد عن 24 ساعة؛ وتقل عن عام واحد، على أن لا يكون الهدف من وراء ذلك الإقامة الدائمة، أو العمل، أو الدراسة، أو



مجرد عبور الدولة لأخرى"³، ويدعم هذا الطرح الأستاذان السويسريان krapf و Henniker في تعريفهما المقدم إلى الجمعية الدولية للخبراء العلميين في السياحة، حيث يعتبران "السياحة هي مجموعة من الظواهر والعلاقات التي تنشأ نتيجة لسفر وإقامة الشخص الأجنبي إقامة مؤقتة، بحيث لا تتحول إلى إقامة دائمة، أو ترتبط بعمل مأجور"⁴.

تعرف السياحة من هذا المنظور حسب العالم النمساوي HERMAN VON SHOLLEREN على أنها "كل العمليات المتداخلة، وخصوصا العمليات الاقتصادية المتعلقة بدخول الأجانب وإقامتهم المؤقتة، وانتشارهم داخل حدود أو منطقة معينة."⁵ من جهته MATHISON يعتبر السياحة "حركة مؤقتة للسكان أو الناس لمناطق معينة خارج مناطق سكنهم وإقامتهم الدائمة، وتشمل السياحة جميع النشاطات التي تمارس في مناطق الهدف، وكذلك جميع الخدمات والتسهيلات التي تم توفيرها لممارسة هذه النشاطات. والسياحة بهذا المفهوم نوع من أنواع السفر الذي يختلف عن رحلة العمل اليومية، أو الهجرة، أو التسوق، أو الإقامة الدائمة"⁶.

إشباع لحاجات السياح : السياحة توجه وتسخر جهود الدولة المضيفة بقطاعيها العام والخاص إلى محاولة إشباع حاجات السياح، من خلال توفير كل متطلبات الراحة من جهة، وتحقيق أكبر قدر ممكن من تطلعاته التي دفعته للزيارة السائحية من جهة أخرى ، وفي هذا السياق اعتبرت الأكاديمية الدولية للسياحة أن "السياحة اصطلاح يطلق على وحدات الترفيه وكل ما يتعلق بها من أنشطة، وإشباع لحاجات السياح"⁷.

تحقيق الراحة والمتعة للسياح والوفرة الاقتصادية للمستضيف:
إن السياحة هي السبيل إلى الحصول على الراحة والمتعة للسياح، من



خلال المزايا التي يوفرها المكان؛ من طبيعة أو تاريخ أو هياكل تسهر على خدمة السياح، أو عادات تخول للسائح الاتصال بالشعوب والاطلاع على ثقافتها المختلفة، كما أنها تمكن البلد المستضيف من تحقيق وفرة اقتصادية تعود على القائمين بشؤون السياحة أولاً: ومن ثم على باقي الأعوان الاقتصاديين ثانياً. ومن هذا المنظور يرى جويرفرويلر "السياحة بأنها ظاهرة من ظواهر عصرنا تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة، وإلى تغيير الهواء، وإلى مولد الإحساس بجمال الطبيعة ونمو هذا الإحساس، وإلى الشعور بالبهجة والمتعة من الإقامة في مناطق لها طبيعتها الخاصة، وأيضا على نمو الاتصالات، على الأخص بين الشعوب وأوساط مختلفة من الجماعة الإنسانية، وهي الاتصالات التي كانت ثمرة اتساع نطاق التجارة والصناعة، سواء أكانت كبيرة أم متوسطة أم صغيرة، وثمرة تقدم وسائل النقل".⁸

وعلى ضوء ما تقدم فالسياحة: "عملية انتقال مؤقتة إلى مكان معين تنشأ عنها مجموعة من النشاطات المختلفة بين المتنقلين (سياح)، وأصحاب المكان (سكان المنطقة + القائمون على النشاط السياحي + كل الهياكل المساعدة للنشاط السياحي)، تهدف أساساً إلى تحقيق إشباع السياح وتحقيق الراحة والمتعة لهم، وتحقيق وفرة اقتصادية لأصحاب المكان".⁹

مفهوم السياحة في الإسلام:¹⁰ لا يعني اهتمام الدول السياحية الكبرى بعلم السياحة وصناعتها أنها هي التي عنيت بها فحسب، بل كان للإسلام سبق في الحث على السفر والسياحة، إن الدين الإسلامي بمرجعياته القرآن الكريم ونبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء والصحابه ذكروا السفر والسياحة، واعتنوا بها وشجعوا عليها في مناسبات مختلفة، إذ تكرر ذكرها في عدة آيات من القرآن الكريم، وتحددت مجالاتها





في مناسبات معينة، كالتأمل في الطبيعة قصد معرفة قدرة الخالق في إبداع الكون، وفي آثار الأولين والاعتبار منها، ومحاولة الترويح عن النفس بالتأمل في جمال الطبيعة، والدعوة إلى التعارف بين الشعوب، وبيان أنواع وسائل النقل والانتقال وتطويرها وتوضيحها، وتوضيح بعض أحكام الفرائض الدينية كالصلاة والصوم، وأثر السفر بهما وفي أداء فريضة الحج، وذكر رحلات الفضاء الخارجي عن طريق الإسراء والمعراج.

يدعو القرآن الكريم صراحة إلى النظر في الكون وظواهر الطبيعة وصنوف البشر وأنواع الحيوانات والنباتات، والبحث في كل ما يتصل بالعالم المحسوس، فالله سبحانه الذي أوجد العوالم بكل ما فيها من أجل الإنسان، ودعاه إلى أن يتدبر في كل ما حوله؛ ليعرف قدرة الخالق، متجليا ذلك في قوله تعالى في سورة السجدة الآية (7) (الذي أحسن كل شيء خلقه)، ومن خلال كل ما نرى من آثار ومعالم للحضارات البائدة والقائمة، وليس النظر إلى الظواهر في الأمور السطحية فحسب، فهي تشير بوضوح إلى آثار السير في أرجاء الأرض، والانتباه إلى صوت التاريخ يقص علينا عبر الزمان فيقدر الاستمتاع السياحي بجمال الكون، يتقرب الإنسان من خالقه فيحمد الله، وبذلك يستحق المزيد من نعم الله، يتضمن القرآن الكريم خمسا وثلاثين (35) تدعو للنظر فيما يتعلم منه الإنسان، وأكثر من خمسين (50) آية تدعو للسير في الأرض، نذكر منها قوله تعالى في سورة آل عمران الآية (138) (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض وانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)، وقوله في سورة الروم الآية (42) (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل)، وقوله في سورة العنكبوت الآية (20) (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)، وكذا قوله في سورة غافر الآية (21) (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم، كانوا هم



أشد منهم قوة وآثارا في الأرض)، فالآيات الكريمة تأمرنا بالسير والحركة والسفر في ربوع الأرض، للاستفادة من عبر الماضي للعمل على ضوئه في الحاضر لما يفيدنا في المستقبل.

يخبرنا القرآن بما حدث للأمم السابقة، ويروي قصص الأنبياء والرسل وآثارهم، ويتحدث عن الحضارات التي سادت ثم بادت، والآثار التي تركتها الشعوب، والأحداث التي وقعت في الأزمنة الغابرة، فتناول الجماد والنبات والحيوان والإنسان والتأمل في الاختلافات والمتناقضات الموجودة في النوع الواحد وليس في الجنس الواحد، متجليا ذلك في قوله تعالى في سورة فاطر الآية (26 - 27) (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابين سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) .

أما الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد تعود في حياته ومنذ شبابه على الانتقال من بلد إلى آخر كتاجر، ووسيط في الأعمال التجارية، حيث ارتحل إلى الشام؛ وعمل في تجارة السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، فقد ذكر أنه وصل إلى منطقة الإحساء في الجزيرة العربية، وعندما بعث نبيا تنقل بين مدن الجزيرة ودعا إلى الدين الجديد؛ وإلى وحدانية الله تعالى، كما أنه شجع المؤمنين على الهجرة إلى الحبشة عابرين البحر الأحمر، هربا من إيذاء الكفار، كما أنه هاجر بنفسه إلى المدينة فسار إليها ليتخذها موطنًا له وللمؤمنين، وقد تحرك نحو شمال الجزيرة إلى حدود الشام في بعض غزواته وحروبه .

* أنواع السياحة: السياحة أنواع متعددة منها:¹¹

السياحة التأملية: وتقوم على تدبر الإنسان وتأمله في كل ما يراه ويقع عليه بصره، يلمسه أو يدركه بحواسه، وكل ما يسمعه ويستقبله بأذنيه،





وكل ما يهز قلبه ويحرك وجدانه من مخلوقات لها حركات وسكنات منتظمة تبعاً لسنن وقوانين ثابتة. قال تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (الأنعام: 28). وهي أيضاً تقوم على التمتع بما خلق الله لعباده من سنن كونية كالوديان، والجبال، والصحاري، والغابات، والسماء بما فيها من نجوم وكواكب وبحار ومحيطات وأنهار، وما تحويه كل هذه الأشياء من علامات تدل على قدرة الله تبارك وتعالى. قال تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (6) تبصرة وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (8) سورة: (6 - 8).

السياحة الدينية: وتقوم هذه السياحة - من خلال أداء الفرائض - على زيارة الأماكن الدينية، والسفر إليها، فيزداد الإيمان، ويرتفع انتماء المسلم إلى آثاره الإسلامية. قال تعالى: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) (آل عمران: 97).

وقد يتصور بعض الناس أن الإسلام يرفض السياحة، وأنه ليس لها مكان في تشريعات الإسلام، وهذا الكلام خاطئ، ولا يحمل أي من علامات الصواب، إن الإسلام هو دين الله الذي ضمن السعادة للإنسان إذا ما التزم به. وقد وضع الإسلام الأسس والوسائل الكفيلة بإنجاح السياحة وتحقيق الغاية منها، ومن هذه الوسائل:

- تنقية النشاط السياحي مما علق به من محرّمات، وذلك بالابتعاد التام عن إشاعة الفاحشة وإثارة الغرائز والشهوات، ومنع ما حرّمه الله من خمر وميسر واختلاط.



- عدم السياحة في أماكن الفتن والفسق والبدع؛ حتى لا يتعرض المسلم للفتنة في نفسه ودينه.
- التحلي بأخلاق الإسلام والتزام مبادئه والسير على منهج النبي وسنته.
- صدق النية وإخلاص العمل لله -عز وجل-، وذلك حينما نجعل هذه السياحة وسيلة للدعوة إلى الله، فنقدم للناس صورة مشرقة لديننا، وبلادنا، فنوضح لهم الحقيقة، ونفضح أمامه أكاذيب الإعلام الغربي الذي يشوه صورة الإسلام والمسلمين.

1- مصطلح "السياحة الحلال"¹²

ظهر مصطلح "السياحة الحلال" عقب سلسلة ثورات الربيع العربي، وأصبح الجدل حول هذا المصطلح حديث الساعة، فمن جانب استغله الليبراليون للترهيب من الفكرة الإسلامية والداعين لها، بدعوى أن الإسلاميين سيحرمون السياحة، وسيقصرونها على سياحة المساجد وحدائق الحيوانات، وسيحطمون الآثار ويغلقون الشواطئ، ومن ثمة ستنهار صناعة السياحة، ويضيع الاقتصاد. وعلى الجانب الآخر؛ يسعى الإسلاميون في ظل الصحة الحالية إلى استغلال هذه اللحظة، لفرض أطروحاتهم الفكرية ورؤاهم في مجالات الاقتصاد والسياحة والإعلام والتعليم... نافرين أراجيف الليبراليين وتخوفاتهم عبر برامج علمية وأطروحات تسعى للتنفيذ.

وتعريف السياحة الحلال لا يختلف كثيرا عن مفهوم السياحة المتعارف عليه، لكن بزيادة عبارة (فيما لا يغضب الله)، (أو فيما لا يخرق قيم وعادات وشريعة البلد)، وهو أمر لا خلاف عليه، بل ويعمل به في كافة دول العالم.





تعتبر السياحة الحلال، نوعاً من السياحة "يوفر وجهات يمكن أن تقصدها العائلات المسلمة الملتزمة بقواعد الشريعة، وتضم فنادق لا تقدّم الكحوليات، وحمامات سباحة، ومرافق صحية تفصل بين الرجال والنساء، وتقدّم صناعة السياحة الحلال أيضاً رحلات جوية لا تُقدّم على متنها المشروبات الكحولية أو لحوم الخنزير، وتعلن عن أوقات الصلاة، وتعرض برامج دينية ترفهية، وتوفّر مصاحف في جيوب المقاعد، وأماكن خاصة تتيح الفصل بين المسافرين الذكور والإناث". ولا ينحصر هذا النوع من السياحة في الشواطئ والآثار فقط، بل هناك السياحة الرياضية والسياحة العلاجية وسياحة المؤتمرات والندوات، وسياحة المعارض والأسواق، والسياحة الصحراوية، السياحة الريفية؛ وغيرها من الأنواع التي أهملت عن قصد وعمد.

اختارت منظمة المؤتمر الإسلامي دولة قطر ضمن أفضل عشر دول للسياحة الإسلامية "الحلال" على مستوى العالم، واحتلت الدوحة المرتبة العاشرة، وجاء في الموضوع الذي تناولته عدة وسائل إعلامية أجنبية، أن قطر التي فازت باستضافة كأس العالم 2022 عزز موقع قطر على خريطة السياحة الدولية، وأن المتحف الإسلامي يمثل عنصر جذب خاصاً يعزز من مفردات السياحة الإسلامية الحلال. وضمت القائمة إلى جانب الدوحة كلا من ماليزيا، ومصر، وتركيا، وإندونيسيا، والإمارات العربية، والمغرب، وتونس، والأردن، وبروناي.¹³

2 - أهمية "السياحة الحلال". لا يميل كثير من العاملين في قطاع السياحة إلى فكرة السياحة الحلال، ويدّعون أنها ستؤدي إلى كساد هذه الصناعة وتراجع أرباحها، وهو أمر مردود يسفّه الواقع. فكثير من الدراسات تثبت أن قطاع السياحة الحلال في نمو وازدهار، ومن هذه الدراسات دراسة نشرها سابقاً منظمو معرض سوق السفر العالمي في لندن، وشركة الدراسات «يورومونيتور انترناشيونال» في نوفمبر 2007م.



وبحسب هذه الدراسة فإن عدد السياح الذين يزورون منطقة الشرق الأوسط طلبا للسياحة الحلال في ازدياد وارتفاع، وبينت الدراسة كذلك وجود عدد كبير من السياح ينحدرون من الدول الإسلامية، ولا يحظون بخدمات خاصة بهم لتتوافق مع ديانتهم ومأكلمهم ومشربهم خلال رحلاتهم إلى الخارج. وهذه الفئة من السياح تشكل نسبة كبيرة، ولا تحظى بالاهتمام اللازم، على الرغم من إنها تشكل رافدا مهما لتنمية السياحة «الحلال»، التي يمكن تعريفها بأنها شكل من أشكال السياحة الدينية المطابقة للقوانين الإسلامية". أما عن عائد هذه الصناعة؛ فعلى الرغم من حداتها فإن نسبة الأشتغال في فنادق السياحة الحلال بلغ نسبًا مرتفعة، تقترب أحيانا من الـ 100 %.

تجربة بريطانيا في السياحة الحلال

1 - التعريف ببريطانيا: تقع المملكة البريطانية المتحدة في غرب القارة الأوروبية، وتتكوّن من أربع دول متّحدة، تحت حكومة واحدة، هي: إنجلترا، وأيرلندا الشماليّة، واسكتلندا، وويلز. تقع شمالي غرب فرنسا، بين المحيط الأطلسي وبحر الشمال¹⁴.

2 - تجربة بريطانيا في السياحة الحلال: تشهد "السياحة الحلال" توسعا حقيقيا في المملكة البريطانية المتحدة، إحدى الدول الكبرى المصدرة للسياح، وذلك لصالح الجالية المسلمة الهامة التي يحتضنها هذا البلد: "شمس، وبحر، وحلال" هو إحدى الشعارات الأكثر جاذبية التي اختارتها وكالات الأسفار التي تتخصص أكثر فأكثر في هذا المجال، مستفيدة من الطلب المتزايد لدى جالية يرتفع عدد أفرادها إلى 25 مليون شخص. وإلى وقت قريب، كانت وكالات الأسفار التي تقدم خدمات "السياحة الحلال" تعد على رؤوس الأصابع، حسب تشارلز جونسون وكيل الأسفار في لندن. وكان هذا النوع من السياحة يقتصر في الماضي على الرحلات إلى





المملكة العربية السعودية لأداء العمرة أو الحج، أو حتى التنقلات في اتجاه باكستان والهند، البلدين اللذين تنحدر منهما غالبية المسلمين المقيمين في بريطانيا. إلا أن الأوضاع تغيرت الآن، حيث إن الأجيال الجديدة من المسلمين، التي لا تعتبر نفسها ملزمة بقضاء عطلتها في بلدها الأصلي، تسعى لقضاء العطلة في بلدان أخرى، مع التمسك بالتعاليم الدينية.

وأوضح جونسون أن المواطن المسلم، كما هو الحال بالنسبة لأي بريطاني متوسط الدخل، يسافر مرة واحدة على الأقل إلى الخارج سنوياً. واغتنمت الوكالات هذا التطور لتتخصص حصرياً في هذه السياحة التي تحترم القيم الإسلامية، من بينها "كريسنت تاورز" و"إسلاميك ترافلز". وتبدأ الخدمة، الموجهة عموماً للعائلات، برحلة في طائرة لاتقدم المشروبات الكحولية والمأكولات التي تتضمن دهون لحم الخنزير، بل حتى إنها تعلن الأذان للصلاة وترشد إلى اتجاه القبلة. كما أن العديد من الفنادق، التي دخلت غمار المنافسة للحصول على حصص من هذا السوق المتوسع باستمرار، تقدم مأكولات تتماشى مع الشريعة الإسلامية، وخدمات أخرى عصرية.

وكانت دراسة أصدرها المعرض العالمي للسياحة سنة 2007 في لندن، قد أظهرت أن "السياحة الحلال" ستشهد تطوراً هاماً في السنوات المقبلة، مشيرة إلى أن منطقة الشرق الأوسط، الوجهة المفضلة للسياح المسلمين، وستعرف ارتفاعاً في عائدات رحلاتها بنسبة 108 في المائة سنة 2011؛ لتصل إلى 51 مليار دولار. وأكدت هذه الدراسة أن "هذا التطور يتيح فرصاً ضخمة للسياحة الحلال"، مبرزة أن هذه الفرص ستعزز بالطلب المتزايد لدى المسلمين القادمين من العالم بأسره، خاصة أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية.



من جهة أخرى، يبقى البعد الثقافي مكونا أساسيا للمنتوج الذي تقدمه الوكالات المتخصصة في هذا القطاع. وتؤكد هذه الوكالات، ومنها "إسلاميك ترافلرز"، أن من بين أهدافها الأساسية النهوض بالسياحة في اتجاه البلدان الإسلامية، كأداة لاكتشاف التاريخ والإرث الحضاري للإسلام. كما تعتبر أن النهوض بالتبادلات الثقافية وفرص الأعمال في المجال السياحي "يحدث حسا تضامنيا" في صفوف المسلمين.¹⁵

إن السائح المسلم في الدول الغربية، ما زال هو الاستثناء وليس القاعدة فيما تقدمه الفنادق والمنشآت السياحية في هذه الدول. وهو في أغلب الأحيان يعتمد على نفسه في طلب الطعام الحلال تحديدا، كما يحمل أداة إلكترونية، مثل الهواتف الذكية، التي توفر له اتجاه الكعبة في أي مكان ينزل فيه. وفي بريطانيا لا توجد صعوبة في الحصول على وجبات حلال، سواء من المطاعم العربية والآسيوية المنتشرة في كافة المدن البريطانية، أم من منافذ السوبرماركت التي تبيع اللحوم الحلال.¹⁶

وتنتشر أيضا الأطعمة الحلال إلى الكثير من الأندية والمنشآت الرياضية، والتي يذكر منها نوادي أسكوت وتويكينهام وويمبلي وكلية تشلتنهام، وسلسلة فنادق ويتبريد والكثير من المدارس والكليات الدراسية وحتى المستشفيات الحكومية. وقلما توجد مدينة بريطانية لا تقدم فيها مطاعم منتجات حلال لمن يطلبها، وأحيانا أخرى لمن لا يطلبها. فقد شكت صحيفة «ميل أون صنداي» مؤخرا من أن «الكثير من المنشآت تقدم أطعمة حلال من دون تحذير روادها!»، وكان قد وجه اعتراض الصحيفة هو على «الأسلوب ألا إنساني الذي تذيب به الحيوانات»؛ بدلا من صعبها بصدمة كهربائية أولا، كما يحدث في المسالخ البريطانية. ولكن الكثير من المنشآت البريطانية التي تقدم اللحوم الحلال تقول إن قرارها يعتمد على اعتبارات النوعية والسعر، وليس على اعتبارات دينية. من ناحية أخرى،





تؤكد جهات بريطانية أخرى أنها لا تقدم سوى اللحوم الحلال، لأن معظم روادها يفضلون اللحوم الحلال عن غيرها .

الخلاصة

إن للسياحة الإسلامية أفاقاً جديدة في عوالم السياحة النوعية، فهي كمشروع؛ قادرة على المنافسة في سوق عالمي مزدحم بالبرامج والمشاريع، إلا أنه يبدو مخيباً للآمال، فمن المؤسف أن تكون المنتجات السياحية الإسلامية غائبة عن الساحة الدولية، وتكاد لا توجد لها حضوراً في المعارض التي تبرز فيها كل أنواع المنتجات السياحية، وهذه الأخيرة تزدهم بكل أنواع السياحة حتى الغربية منها، حتى تلك التي لا يوجد تأييد أخلاقي أو ديني لها، أما السياحة الإسلامية التي يدور فيها ملايين المسلمين حول العالم؛ والمتمثلة في زيارة العتبات المقدسة وغيرها من مدن العالم الإسلامي، فإن مما يؤلم النفس هو تخلفها عن سياق السياحة العالمية، فهي تفتقر إلى الخطط السياحية والبرامج والوسائل الإعلامية الواضحة، والتي تعبر عن التنمية السياحية التي تهدف إلى تحقيق الزيادة المستمرة المتوازنة في الموارد السياحية، وتعميق وترشيد الإنتاجية في القطاع السياحي، وكذا تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي في الدول الإسلامية وغيرها، حيث أن هناك طاقات وثروات سياحية مطمورة تحت غبار الزمان والمكان، وهي الآثار الإسلامية التي هي آثار الإنسانية جمعاء وملك لها، ولو أنها سلطت الأضواء عليها لأصبحت مركز إشعاع حضاري يعود نفعه على شعوب بلدانها، وعلى القطاع السياحي العالمي.¹⁷

ووفق أرقام منظمة السياحة العالمية، فإن سياح دول الخليج ينفقون 12 مليار دولار أمريكي سنوياً على السفر من أجل الترفيه. يمكن الاستحواذ



على حصة كبيرة من الإنفاق السياحي الخليجي عبر الاستثمار في صناعة السياحة الحلال. وبالرغم من الربح المتوقع من وراء هذه الصناعة، إلا أن هذه الصناعة مازالت تحبو وفي بداياتها الأولى، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها وحدها فقط كبديل عن السياحة التقليدية. لكن بالرغم من أن البعض ينظر إلى السياحة الحلال وعطلات الشواطئ التي تتوافق مع الشريعة باعتبارها خياراً لبعض العائلات المسلمة، فإن آخرين يعتقدون أنها شكلاً من أشكال الانعزال.

وتبقى السياحة الحلال مفهوماً مثيراً للجدل بين من يعتبرها انعزالية؛ وبين من يعتبرها خياراً للراغبين في التقيد بأحكام الشريعة الإسلامية،

إننا اليوم في أمسّ الحاجة إلى عدد من الأمور نجعل من خلالها السياحة الإسلامية وسيلة تنمية لبلداننا الإسلامية، ووسيلة دعوية لديننا، وقيمنا، ومبادئنا، ومنها:¹⁸

1 - إنشاء منظمة سياحية إسلامية تعمل على تشجيع السياحة بين البلدان الإسلامية وبين هذه البلاد وباقي بلدان العالم.

2 - إزالة العوائق والحواجز المادية التي تقف حجرة عثرة في وجه تطور حركة السياحة الإسلامية؛ من خلال إصدار القوانين والتشريعات التي تسهّل وتيسر ذلك.

3 - الأخذ بكل الوسائل وفنون الابتكار والإبداع في المجال السياحي، شريطة ألا تتعارض مع هويتنا وثوابتنا وقيمنا الإسلامية، وأن ينعكس هذا الإبداع على جميع مرافقنا السياحية؛ من فنادق ومطاعم ومواقع طبيعية وأثرية وغيرها.



3 - الاستفادة من السياحة في المجال الدعوي واتخاذها وسيلة لجذب غير المسلمين للإسلام، تماماً كما كانت في العهود الغابرة، حيث دخلت أعداد كبيرة من الشعوب في الإسلام عندما عرض التجار والسياح والمسافرون المسلمون مبادئ دينهم وقيمته النبيلة بأسلوب وسطي معتدل، فكانت النتيجة دخول الملايين من الشعوب والأقوام في الإسلام عن طوعية واقتناع.

الهوامش:

- 1 - مجلة الوعي الإسلامي ، أين موقع السياحة الإسلامية على خارطة السياحة العالمية؟! - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة الكويت العدد 532 بتاريخ 3 - 9 - 2010.
- 2 - عثمان محمد غنيم وم . بنيتا نبيل سعد. "التخطيط السياحي" الطبعة الأولى، دارالصفاء للنشر والتوزيع ، عمان 2001 ، ص 18.
- 3 - عثمان محمد غنيم وم . بنيتا نبيل سعد، "مرجع سابق، ص 24.
- 4 - نبيل الروبي "نظرية السياحة" مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2000 ، ص 21.
- 5 - ماهر عبد العزيز توفيق ، صناعة السياحة ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان، 1997 ، ص 23.
- 6 - عثمان محمد غنيم، بنيتا نبيل سعد، "مرجع سابق، ص 24.
- 7 - عثمان محمد غنيم، بنيتا نبيل سعد ، "مرجع سابق، ص 23



8- محمود كامل، السياحة الحديثة علمًا وتطبيقًا، الطبعة الأولى، الدار الجامعية، القاهرة، 1999، ص:13.

9 - تعريف شامل خاص بالباحثة .

10 -المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، الإدارة العامة التصميم و تطوير المناهج، سفر وسياحة حجز خدمات سياحية 184 المملكة العربية السعودية ص45 .

11 -جمعية البيئة العربية رسالة جمعية البيئة العربية في يوم السياحة العالمي تحت شعار (السياحة والتنوع الحيوي مشهرة برقم 137 / 2001 الإسكندرية 27 سبتمبر 2010 .

12 - متوفر على موقع <http://taseel.com/Display/Author/AuthorsPubs.aspx?ID=357> بتاريخ 23-6-2013

13 - متوفر على موقع <http://www.qatarshares.com/vb/index.php> بتاريخ 23-6-2013 .

14 - متوفر على: <http://islamicnews.net/Document/ShowDoc02.asp?DocID=49392&TypeID=2&TabIndex=1> : بتاريخ 24.03.2013 .

15 - متوفر على: <http://hespress.com/international/23285.html> بتاريخ 30-03-2013 .

16 - متوفر على: <http://www.aawsat.com/details.asp?section=67&article=712921&issueno=12465> بتاريخ 30-03-2013



الملتقى الدولي حول : مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد
الإسلامي الدكتور المعز لله صالح أحمد البلاغ جامعة قالملة يومي 03 و 04
ديسمبر 2012.

17 - متوفر على <http://www.sesric.org/publications-detail-ar.php?id=187> بتاريخ 23 - 6 - 2013

18 - مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة
الكويت متوفر على موقع <http://alwaei.com/index.php> بتاريخ 23
- 6 - 2013.

اضطرابات اللغة والكلام لدى المصابين بمتلازمة داون: الظاهرة والأسباب

أ/ نزهة خلفاوي (المركز الوطني للبحث العلمي
والتقني لتطوير اللغة العربية، ج . تلمسان)

تمهيد:

لم يعد التعليم في هذا العصر موجها إلى الأطفال العاديين فحسب، بل أصبح يستهدف حتى غير العاديين من ذوي الاحتياجات الخاصة القابلين للتعليم، بمن فيهم المتأخرون ذهنيا قصد العمل على إكسابهم ما أمكن من القدرات التي تساهم في إدماجهم الاجتماعي مما يقلل اعتمادهم على الآخر.

متلازمة داون هي من أكثر أنواع التأخر الذهني شيوعا، وقد أصبح العالم اليوم ينظر إليها كظاهرة طبيعية تتطلب تعاملًا إيجابيًا، هذا ما دفع بعجلة البحث العلمي إلى الاهتمام بالموضوع؛ إذ لم تعد الأبحاث المتعلقة بهذه الفئة مقتصرة على المختبرات الطبية ومختبرات علم النفس، بل أصبحت اللسانيات التطبيقية هي الأخرى توليها اهتماما خاصا من خلال البحث في أمراض اللغة والكلام بهدف خدمة اللغة العربية لدى هؤلاء الذين يعانون صعوبات في النطق.

من هنا جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على معاناة ذوي متلازمة داون اللغوية بالتعريف بالظاهرة والبحث في أسبابها، اعتقاداً مني بأن التفكير في أي برنامج علاجي لغوي لا يمكن أن يتم إلا بتحديد الأسباب والمظاهر، وبهذا نستطيع الإسهام في إنشاء منظومة تربوية لغوية خاصة بهذه الشريحة التي بدأت الحكومات والمجتمع المدني يفكران بجدية في إدماجها.

1 - من المنغولية إلى متلازمة داون:

بعد مرور أكثر من مائة وخمسين سنة على اكتشاف السبب الحقيقي لمتلازمة داون من طرف عالم الوراثة الفرنسي جيروم لوجين • ، ما زال الناس يتساءلون باستغراب عن المقصود بهذه التسمية عند سماعها، حتى إذا ما قيل لهم بأنها تطلق على من عرفوا بالمنغوليين من المتأخرين ذهنياً زالت لديهم علامات الاستفهام.

متلازمة داون أو عرض داون أو ثلث الصبغية 21 أو ما كان يعرف في الماضي بالمنغولية تعتبر أول سبب للإعاقة أو التأخر الذهني من أصل جيني. ففي سنة 1866 لفت الطبيب الإنجليزي لانجدون داون (L.down) •• أنظار العالم إلى فئة من المتخلفين ذهنياً في المجتمع، وركز على الملامح الوجهية، العينين المجعدتين، والأنف المسطح، وأسمى هذه الفئة بالمنغوليين نسبة إلى سكان منغوليا انطلاقاً من فكرة الانحلال العرقي. واقتصرت الأبحاث في هذه المرحلة على رصد الصفات المشتركة والأعراض عوض البحث عن الأسباب الحقيقية للمتلازمة، وترتب على هذا وضع المنغولي في قائمة البلهاء، واقترن وضعه بتلك التسمية التي غلبت عليها صفة الإقصاء والنظرة الدونية.



وبقي الحال كذلك قرابة قرن حتى عام 1959 حيث أدت أعمال كل من ريمون توربان (R.Turpin) ••• وجيروم لوجين (J.lejeune) إلى معرفة الأسباب الحقيقية لعرض داون والتي لا علاقة لها بالانتماء إلى عرق المغول، حيث اكتشفا بأن متلازمة داون تشوه خلقي ناتج عن خلل كروموزومي¹ يحدث خلا في المخ والجهاز العصبي ينتج عنه تأخر ذهني واضطراب في مهارات الجسم الإدراكية والحركية كما يظهر هذا الخلل ملامح وجهية وجسمية مميزة وعيوبا خلقية في أعضاء ووظائف الجسم.

تحدث هذه الحالة الجينية على مستوى الكروموزوم 21 الذي يحمل كروموزوما إضافيا. فيصبح إجمالي عدد الكروموزومات عند المصابين بمتلازمة داون سبعا وأربعين (47) كروموزوما في كل خلية بدل ستا وأربعين (46) كروموزوما في كل خلية عند الأشخاص العاديين.²

وتشير الأبحاث إلى أن سن الأم يلعب دورا هاما في احتمال حدوث الخلل الصبغي إذ تزداد نسبة ولادة الطفل بمتلازمة داون كلما زاد عمر الأم.³

يعاني المصابون بمتلازمة داون من عيوب خلقية وقابلية أكثر من غيرهم لحدوث بعض الأعراض الطبية بعضها خطير كمرض القلب والجهاز الدوري ولكن مع التقدم الطبي أمكن علاجها مما أتاح لهذه الفئة العيش والحياة بصحة جيدة ولمدة أطول.⁴ وتختلف قدراتهم العقلية والجسدية من شخص لآخر، وتتراوح نسبة ذكائهم ما بين 15 و 50 %⁵ كما يشتركون في سمات جسمية وخلقية.





2 - اضطرابات اللغة لدى فئة متلازمة داون:

يعاني المصابون بمتلازمة داون من اضطرابات اللغة والكلام، وتصبح في الكثير من الأحيان عائقا يمنعهم من الاندماج الاجتماعي والتعبير عن أنفسهم وحاجاتهم، ويمكن أن نصنف هذه الاضطرابات كالآتي:

- اضطرابات النطق والإبدال والحذف والتشويه.
- اضطرابات الصوت والطبقة والعلو والنوع.
- اضطرابات الطلاقة واللجاجة أو التلعثم في الكلام.
- اضطرابات اللغة " الحبسة وتأخر النمو اللغوي"⁶

تتعدد أشكال الصعوبات اللغوية لدى فئة متلازمة داون لعل من أكثرها شيوعا لديهم الحذف والإبدال والتحريف واستعمال الصيغ الجامدة والحبسة واللجاجة وغيرها، ويمكن أن يحدث أي نوع من الأنواع التي سبقت الإشارة إليها بأي درجة من التكرار، وبأي نمط من الأنماط، كذلك يمكن أن يتضمن كلام المصاب عيبا واحدا من عيوب النطق، أو قد يتضمن مجموعة من هذه العيوب أيضا؛ فإن عيوب النطق والكلام عند فئة المصابين بمتلازمة داون كثيرا ما تكون غير قارة وتتغير من مرحلة من مراحل النمو إلى مرحلة أخرى، علاوة على كل ذلك، فإن الطفل قد ينطق الصوت الواحد صحيحا في بعض الأوقات أو المواقف، لكنه يحذف أو يبدل أو يحرف نفس الصوت في أوقات أو مواقف أخرى. كما قد ينجح في إصدار الصوت إذا طلبنا منه إدخاله في كلمة، وربما يرجع ذلك لصعوبة انتقال أعضاء النطق من الوضع الذي تتخذه مع أحد حروف الكلمة إلى الوضع الذي يتطلبه نطق حرف آخر.





ومن الأمور البالغة الأهمية عند الكشف عن عيوب النطق ينبغي أن نحدد ما إذا كان خطأ ما من أخطاء النطق يعتبر عيباً حقيقياً من عيوب النطق أم أنه خطأ من الأخطاء اللغوية، وترجع أهمية هذا التمييز إلى أن أهداف العملية العلاجية وأساليبها تختلف تماماً بالنسبة للحالتين.

تتراوح عيوب النطق التي يعاني منها المصابون بمتلازمة داون من عيوب خفيفة إلى حادة، وفي الحالات التي تكون فيها عيوب النطق من النوع الحاد، يصعب فهم كلام الطفل. ومن ناحية أخرى يعاني الطفل معاناة شديدة عندما يحاول التعبير عن أفكاره أو حاجاته الخاصة في المحيط الأسري أو المدرسي أو في علاقاته مع الزملاء، إلا أن مدى وضوح كلام المصاب ليس العامل الوحيد الذي يؤثر في الحكم على درجة حدة الاضطراب، فالعمر العقلي - بلا شك - يعتبر عاملاً هاماً وخاصة في ضوء الطبيعة النمائية المبكرة فإنه يعاني من اضطراب أكثر حدة من طفل آخر من نفس سنه، لكنه لا يخطئ إلا في نطق الأصوات النمائية المتأخرة فقط، كذلك فإن عيوب النطق الثابتة والراسخة عند المصاب الأكبر سناً، عادة ما تكون أكثر حدة وصعوبة في العلاج من الأخطاء غير الراسخة عند طفل أصغر سناً وبوجه عام، يمكن القول: إن الأخطاء الثابتة أقل قابلية للعلاج من الأخطاء الطارئة أو الوقعية.

من ناحية أخرى فإن عدد عيوب النطق وأنواع هذه العيوب عامل مؤثر أيضاً في تحديد درجة حدة الاضطراب مع مراعاة أن عيوب الحذف تعتبر على مستوى الأطفال أكثر من عيوب الإبدال أو التحريف، وقد يرجع ذلك إلى قدرات الجهاز الصوتي ومدى قوة العضلات المتحركة فيه والتي تكون ضعيفة جداً في السنوات الأولى مما يجعل المصاب أكثر ميلاً إلى الحذف بدلاً من محاولة نطق الصوت والتي تؤدي لاحقاً إلى عيوب الإبدال والتحريف قبل أن يتمكن من إصدار تلك الأصوات بطريقة سليمة



وواضحة في مراحل أخرى، طبعاً مع الكثير من المساعدة، كذلك فإن العيوب المتضمنة أصواتاً تتكرر كثيراً في اللغة تكون واضحة بدرجة أكبر من الأخطاء التي تتضمن أصواتاً نادرة أو قليلة الاستعمال في اللغة عندما يكون الطفل قادراً على تصحيح عيوب النطق إذا ما توفرت الاستثارة السمعية والبصرية اللازمة، ويعتبر ذلك - عادة - دلالة علاجية جيدة على أن الطفل سوف يكون قادراً على تعلم إصدار الأصوات الصحيحة اللازمة للكلام، أما الأصوات الخاطئة التي لا تكون قابلة للاستثارة (أي عيوب النطق التي تستمر عند الطفل حتى مع وجود الاستثارة الإضافية والدلالات التي يقدمها المعالج) يصعب في العادة تدريب الطفل على تصحيحها.⁷

وحتى نتمكن من تقويم هذه العيوب التي يعاني منها المصابون بمتلازمة داون، لا بد من تشخيص الأسباب المؤدية لها والتي تختلف من حالة لأخرى، بالرغم من أنهم يشتركون في عدد من المشاكل الفيزيولوجية والعقلية والنفسية والاجتماعية التي تلعب دوراً كبيراً في زيادة حدة هذه العيوب.

3 - أسباب مشاكل النطق عند المصابين بمتلازمة داون.

من المهم أن نضع أيدينا على الأسباب التي تؤدي إلى تلك العيوب النطقية واللغوية لدى المصابين بمتلازمة داون، فمعرفة الأسباب تفسر لنا حدوث الأعراض والاضطرابات، مما يساعدنا لاحقاً في وضع خطة علاجية تقوم على التدخل المبكر لتجاوز أكبر قدر من العوائق وتذليلها.

وقد نقسم في هذا الصدد أسباب ظهور مشاكل اللغة لدى هذه الفئة إلى أسباب فيزيولوجية وأخرى عقلية وأخرى نفسية واجتماعية، مع الإشارة دائماً إلى أن كل هذا ناتج عن سبب جيني هو ثلث الصبغية 21.



3- 1 الأسباب الفيزيولوجية:

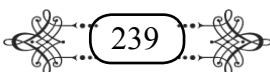
إن متلازمة داون في الأساس خلل جيني يؤدي إلى تشوه خلقي فيزيولوجي، ولعل أول ما يمسّه هذا التشوه هو المخ والجهاز العصبي⁸. فإذا كان المخ هو محرك جسم الإنسان والمسؤول عن كل حركاته وانفعالاته ومكتسباته، وإذا كان الجهاز العصبي هو الوسيط بين المخ وباقي أعضاء الجسم، فإنه من الطبيعي أن يكون الخلل الذي يصيب هذين الجهازين سببا في إصابة باقي الأجهزة المسؤولة عن عملية النطق، وبالتالي سببا في عدم تمكن المصاب بمتلازمة داون من النطق السليم، لما يعانيه من مشاكل على مستوى الأجهزة التالية:

3- 1- 1 جهاز السمع:

إن المصاب بمتلازمة داون يعاني من اضطرابات عصبية أكيدة تمس جميع حواسه والأجهزة المسؤولة عنها، وليس على مستوى هذه الأجهزة وحسب، إنما على المستوى المركزي (الدماغ) الذي وظيفته فهم الرسائل المنقولة إليه عن طريق الحواس وترجمتها⁹ فعلى مستوى السمع، يعاني هؤلاء من عدة مشاكل، بدءا من شكل الأذن الخارجية الحلزوني والذي لا يؤثر على عملية السمع ولكنه يبقى عاملا مميزا لهم عن باقي الأشخاص العاديين، وصولا إلى مشاكل أكثر تعقيدا، لعل أكثرها شيوعا:

- تكرار التهابات الأذن الوسطى الذي قد يؤدي إلى الصمم¹⁰ إن لم يعالج قبل بلوغ سن الخامسة¹¹.

- تأذي الأذن من الأصوات التي تفوق حدتها 4000 هيرتز، وسماعها مشوهة أحيانا.



- ضيق المجال السمعي مما يجعل الأصوات العالية مزعجة، وقد تصل لدرجة الإيلام¹².

- نقص السمع العصبي.

- نقص السمع التوصيلي¹³.

- ضعف عمليات تحليل المؤثر الصوتي والتمييز والتعرف على مستوى الدماغ¹⁴ مما يؤدي إلى صعوبات في الترجمة المركزية للرسائل السمعية المنقولة.

3-1-2 الجهاز العصبي:

يعاني المصابون بمتلازمة داون من مشاكل بصرية عصبية تسبب صعوبة في تحديد المعالم مما يجعل رؤيتهم للأشياء منحرفة؛ هذا ما يعرضهم لتعب كبير في إدراك عالمهم بصريا، وترجمة تلك المدركات البصرية. ومن أكثر أمراض العيون شيوعا بين المصابين بمتلازمة داون ما يلي:

- التهاب الجفنين: وهو أكثر أمراض العيون انتشارا بين هذه الفئة، إذ تقدر نسبة انتشاره بينهم بـ 47 % وهو راجع لضعف جهاز المناعة.

- الحول: وتقدر نسبة انتشاره بـ 43 % وهو راجع إلى ضعف عضلات العين من الجانبين الأيمن والأيسر¹⁵.

- القرنية المخروطية: وهو منتشر بينهم بنسبة 15% وهو أكثر شيوعا لدى الإناث منه لدى الذكور.

- الماء الأبيض: تقدر نسبة انتشاره بينهم بـ 13% ومن علاماته ظهور غشاوة على العين تتسبب في عدم رؤية الأشياء بنفس الوضوح¹⁶.



هذه الأمراض التي قد تصيب العين، فضلا عن ضعف البصر وعدم ثبوته عند المصابين بمتلازمة داون قد يؤثر سلبا على الاكتساب اللغوي الذي يتطلب بشكل أو بآخر حاسة البصر.

3-1 - 3 جهاز النطق:

قبل الحديث عن التشوهات التي يعاني منها المصابون بعرض داون على مستوى جهاز النطق، لا بأس من الحديث عن المشاكل التي يعانون منها على مستوى الجهاز التنفسي كونه منتج المادة الخام لعملية النطق (الهواء الذي يتحول إلى صوت).

*الجهاز التنفسي

يعاني المصابون بمتلازمة داون من اضطرابات متكررة في الجهاز التنفسي، بعضها قد يكون لعيوب في الرئة نفسها، والأخرى ناتجة عن اضطرابات القلب أو نقص المناعة. ولعل أهم العيوب المؤثرة على عملية النطق:

- ضيق الحنجرة.

- نقص عدد الحويصلات الهوائية في الرئة.

- ضعف حركة الصدر لارتخاء العضلات.¹⁷

هذه الاضطرابات تجعل توفير الهواء اللازم لعملية النطق أمرا صعبا ومتعبا. مما يعيق هذه العملية الأخيرة..

قد وفرت الصوتيات التطبيقية مجموعة من الأجهزة المتطورة من أجل خدمة البحوث اللسانية، ويمكن الاستفادة منها في تشخيص أسباب عيوب النطق عند المصابين بمتلازمة داون وتحديد درجة الاضطراب أو الإعاقة، فبالنسبة لتشخيص مشاكل التنفس عندهم يمكن الاستعانة



بجهاز مقياس التنفس (respirometer) لقياس كمية الهواء المستعملة أثناء الكلام، وإن كانت كافية بالمقارنة مع الكمية المستعملة من طرف الأشخاص العاديين.¹⁸

وستحدث فيما يلي عن أهم الاضطرابات التي يعاني منها مصابو متلازمة داون على مستوى جهاز النطق:

***الحنجرة:** توصف حناجرهم بالضيق، وبالنقص على مستوى الأوتار الصوتية، مما يجعل أصواتهم تتصف بالخشونة.¹⁹

***الحنك:** وهو مقوس بشكل كبير مما يصعب عملية التقاء اللسان به عند نطق بعض الأصوات.

***الأسنان:** تتميز بتشوه تركيبها وتفرقها خاصة الأسنان السفلية²⁰ مما يسمح للهواء المحبوس داخل التجويف الفموي من أجل إنتاج صوت انفجاري بالتسرب.

***الفك السفلي:** صغر عظامه وضعف عضلاته وأربطته، يعيق حركته كما يؤدي إلى سوء إطباق الفكين و الأسنان، بالإضافة إلى تأثيره على درجة انفتاح الفم والتجويف الحلقي أثناء الكلام.²¹

***الشفتان:** تتميزان بكبر حجمهما وتشققهما²²، ولكن ذلك قد لا يؤثر في سلامة النطق.

***اللسان:** من المعروف أن جهاز النطق يتحكم فيه ما يقرب من مئة عضلة (منها السبع عشرة عضلة التي تحرك اللسان) تجعل الجهاز الصوتي في أوضاع مناسبة لإخراج الأصوات التي ننطقها ويتم هذا في انسجام تام وتحت إدارة مباشرة من الدماغ²³





يعتبر اللسان أهم عضو من أعضاء جهاز النطق لما يتميز به من لين وقابلية لحركات واسعة ومتمركزة في وسط الفم بفضل عضلاته السبع عشرة التي تتيح له هذه الحركة²⁴، مما يجعله أكبر عائق من عوائق النطق التي يعاني منها المصاب بعرض داون، فلسانه يتميز بكبر حجمه مقارنة باللسان العادي، كما يتميز بتشققه وضعف عضلاته، مما يعيق حركته ويجعلها بطيئة.²⁵

المصاب بمتلازمة داون يجد صعوبة كبيرة في نطق الأصوات التي تستدعي تحريك اللسان كأصوات الغين والخاء والكاف والقاف. ومن أجل إثبات تسبب اللسان في هذا العجز يمكن الاستعانة بجهاز رسام الحنك الإلكتروني (electropalatograph)، وهو "جهاز مكون من حنك اصطناعي مصنوع من البلاستيك ويحتوي على 64 حالبا يزيد عددها أو ينقص حسب نوع الجهاز. يتم تثبيت الحنك الاصطناعي في الفم ملاصقا للحنك الطبيعي وموصولا بحاسوب، أثناء التجربة، يعرض الجهاز الحوالب التي لا يلامسها اللسان أثناء التحدث إما على الشاشة أو بالطباعة على الورق، راسما أجزاء الحنك التي يلامسها اللسان أثناء الكلام كل 10 ميلي ثانية (أي كل 1/100 من الثانية)"²⁶

من المعروف أن كل المصابين بمتلازمة داون يعانون من ارتخاء العضلات، ومن أجل معرفة أي عضلات جهاز النطق مسؤولة عن إحداث شيء من العجز في النطق، يمكن الاستعانة بجهاز بمكهار العضلات (EMG-Electromyograph). وهو جهاز يستخدم لمعرفة حركة العضلات المصاحبة لنطق الأصوات، وذلك بقياس الشحنة الكهربائية الواردة من الدماغ إلى العضلات والتي تؤدي إلى تقلصها، ومن ثم يتم تتبع وضع العضلات التي تشارك في حركة إخراج صوت ما وتقلصه.



بهذه الطريقة يمكن دراسة حركة عضلات اللسان والشفيتين والفكين للمصاب بمتلازمة داون، وتحديد درجة عجزها.

***التجويف الأنفي:** يتميز بالضييق وبيعض التشوهات، كما يتميز بصغر فتحتي الأنف وامتلائهما بالمخاطية مما يعيق خروج الهواء²⁷ عند نطق بعض الأصوات كالميم والنون، إذ يمكن قياس انسياب الهواء من الأنف عن طريق مقياس انسياب الهواء (pneumotachograph) وهو جهاز يتكون من كمادة تغطي الأنف وتحتوي على لاقط صوتي بحيث تكون الكمادة متصلة بجهاز قياس حجم الهواء الخارج من الأنف بالنسبة لعامل الزمن²⁸، ويأتي دور هذا الجهاز في حالة الإصابة بمتلازمة داون عند مقارنة كمية الهواء الخارج من أنف عينة من المصابين بكمية الهواء الخارج من أنف عينة من الأشخاص العاديين عند نطق بعض الأصوات التي ينساب الهواء معها عبر الأنف.

2-3 الأسباب العقلية:

إن الخلل الكروموزومي مسؤول عن التغيرات العصبية وعلى مختلف الاضطرابات التي يتميز بها النمو الفيزيولوجي والعقلي عند المصابين بمتلازمة داون. وقد تحدث التغيرات العضوية قبل الولادة، بالتحديد أثناء تطور الجنين في الستة أشهر الأخيرة من الحمل، فيؤثر ذلك الخلل على تطور وظيفة الدماغ وهذا الأخير هو المحرك الأساس في مراقبة مختلف جوانب التنسيق الجسدي والذكاء ومختلف الوظائف العصبية والمفاهيم السلوكية التي تسبب تخلفا عقليا عند هذه الفئة.

يتميز تطور الدماغ عند المصابين بمتلازمة داون بالبطء، ففي سن الخامسة عشرة يكون حجم الدماغ عند هذه الفئة يساوي حجم دماغ الأطفال العاديين ممن يبلغ عمرهم سنتين ونصف²⁹ وكلما ازداد



المخ في التطور كلما كان هناك اكتساب جديد للنشاطات، إذ تكون في الأول بسيطة كالنشاطات الحركية، ثم تأتي النشاطات المعقدة كالكلام والقراءة، ولكن اكتسابها يبقى متأخرا وبطيئا مقارنة به عند الأطفال العاديين، وذلك بسبب بعض الاضطرابات التي يعانون منها على مستوى بعض العمليات العقلية، كالإدراك والانتباه، والإدراك الحسي والذكاء...

3- 2- 1 الذكاء:

إن ذكاء الطفل وكيف إلى حد ما السرعة التي يستجيب بها جهازه الصوتي للنطق بالكلام، كما وكيف مدى قدرته على استخدام لغة الحديث، حيث تبين البحوث أن الطفل ضعيف الذكاء أبطأ من الذكي في حديثه وأنه كذلك أقل قدرة على التمكن من الكلمات والتراكيب، ومن هنا كان للقدرة اللغوية دلالتها على ذكاء الفرد. فكثيرا ما نلاحظ أن الطفل ضعيف القدرة على استخدام اللغة يكون ضعيفا في ذكائه العام.³⁰

يتراوح مستوى ذكاء المصابين بمتلازمة داون بين 40 إلى 45 درجة، إلا أن هذا الانخفاض في الذكاء لا يعني انخفاض المستوى العقلي تماما لذا يجب أن يُخص الطفل بكفالة مبكرة وبرامج مكثفة وذلك لكي يكتسب قدرات عقلية تمكنه من امتلاك بعض النشاطات التي تدمجه في الحياة³¹ الاجتماعية، فقد ذكرت الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي في أحد تصنيفاتها التربوية أن الأشخاص الذين تتراوح نسبة ذكائهم بين 30 و 50 قابلون للتدريب.³²

3- 2- 2 الإدراك الحسي:

إن الإدراك الحسي يلعب دورا هاما في تعلم النطق الصحيح، ونقصد بالإدراك الحسي ذلك التحليل الداخلي أو التفسير للمحسوسات مما يتم



عن طريق المخ، فنحن دائما بحاجة إلى تفسير محسوساتنا المنتقاة والتي هي موضع انتباهنا في ضوء خبراتنا الماضية لنذكرها أخيرا³³.

فالأصوات التي تستقبلها الأذن مثلا تبقى إحساسا مجهولا إذا لم يتعرف عليه الدماغ ولم يفسره، ومن هنا تأتي أهمية الإدراك الحسي.

يعاني المصابون بعرض داون من صعوبات أكيدة على مستوى الإدراك الحسي إذ أن هذه العملية تأتي عندهم متأخرة، بمعنى أن تفسير المحسوسات وترجمتها يتم متأخرا، وقد لا يتم في بعض الأحيان³⁴.

3 - 2 - 3 الانتباه:

إن امتلاك الإنسان لعدد من الحواس التي تعمل معا بنشاط دائم في نفس الوقت يجعلنا نتساءل: كيف يتسنى لنا أن نكون واعين بمثير واحد على حدة بمعزل عن المثيرات الأخرى،³⁵

الإجابة عن هذا التساؤل تقودنا مباشرة إلى الانتباه الذي يعد أساس إتمام العمليات العقلية والمعرفية بنجاح كتلك التي تتم عن طريق الوعي مثل التعلم.

يعرّف الانتباه بأنه عملية الإدراك الاختباري، وتتضمن تركيز وعي الفرد على مثير معين دون غيره من المثيرات، فهو يساعد الفرد على حفظ المعلومات وتخزينها بأسلوب جيد في المراكز العليا بالمخ مما يساعد في استرجاعها واستخدامها مرة أخرى عند الحاجة إليها، والمهارات اللغوية عند الطفل لا تكتمل مع الانتباه الجيد والتواصل البصري مع الأفراد المحيطين به.

يعاني الكثير من الأطفال ممن لديهم متلازمة داون من تشتت في الانتباه وضعف في التواصل البصري، الأمر الذي يساهم في تأخر نمو



اللغة لديهم بشكل ملحوظ مع وجود عيوب عديدة في مخارج الألفاظ، فالانتباه هو الخطوة الأولى من مهارات ما قبل الكلام، لذا يجب العمل على تنمية انتباههم.

وينقسم الانتباه إلى عدة أنواع تتم من خلالها العملية التعليمية والارتقاء بجميع قدرات الفرد اللغوية والذهنية والإدراكية والسلوكية والاجتماعية والأكاديمية، ولكل نوع طابع خاص في كيفية توصيل المعلومات والخبرات للفرد، ومن هذه الأنواع³⁶:

الانتباه الإرادي: وهو ما يحدث حين يتجه الفرد بإيجابية وفعالية واهتمامه إلى إشارات حسية يعينها ويهمل ما عداها.

الانتباه اللاإرادي: وهو ما يحدث عندما تجذب انتباهنا إشارة حسية دون قصد منا وذلك كما في حالة سماعنا لصوت غير مألوف.

الانتباه التلقائي: حيث يوجه الفرد تركيزه ووعيه بدافع فطري غريزي إلى المثير، فهذا النوع يحدث من تلقاء الفرد ذاته³⁷

ويتأثر الانتباه بمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، فمن العوامل الخارجية المؤثرة فيه: شدة المثير وحدته وتغيره وانتظامه بالإضافة إلى الألوان وعلو الصوت.

ومن العوامل الداخلية المؤثرة في الانتباه نذكر: الاهتمام والحرمان الجسدي أو الاجتماعي والتعب ومستوى الاستثارة.³⁸

يمر الانتباه بعدة مراحل خلال السنوات الأولى من حياة الطفل وتلعب الأسرة دورا بالغ الأهمية في نمو الانتباه وتطوره، ومساعدة الطفل على الانتقال من مرحلة إلى أخرى في التوقيت الطبيعي لها، مما يساعد على



الارتقاء بجميع قدرات الطفل ويمر الأطفال ممن لديهم متلازمة داون بجميع مراحل النمو الطبيعي للانتباه ولكن أحيانا يظهر لدى الكثير منهم تشتت في الانتباه وضعف في التواصل البصري مما يؤدي إلى التأخر في اللحاق بالمستوى الطبيعي للانتباه طبقا للعمر الزمني للطفل ويؤثر ذلك على نمو قدراته بوجه عام³⁹

3-3 الأسباب النفسية والاجتماعية.

عادة ما نذكر الأسباب الاجتماعية لاضطرابات النطق مع الأسباب النفسية وذلك لأنها متداخلة معها، ويبدو أن هناك عملية واحدة ويشترك فيها العامل الاجتماعي والنفسي⁴⁰.

فكثيرا ما تكون العوامل الاجتماعية المحيطة بالمصاب بمتلازمة داون سبب بعض ما يعانيه من اضطرابات نفسية وكثيرا ما تكون اضطراباته النفسية سببا في اختلال علاقاته الاجتماعية، وهذا كله يؤثر بشكل كبير على سلامة النطق عنده، خاصة في المراحل الأولى من عمره (الطفولة والطفولة الثانية).

بالإضافة إلى ذلك كثيرا ما ترتكب الأسرة والمحيط الاجتماعي عامة أخطاء في تعاملها مع الطفل المصاب بعرض داون مساهمة - ودون قصد - في تفاقم صعوبات النطق لديه ولعل أكثر هذه الأخطاء ما يلي:

3-3-1 الدلال المفرط:

إن معرفة إصابة الشخص بمتلازمة داون تتم حال ولادته ويمكن أن تعرف قبل ذلك بإجراء بعض الفحوصات.⁴¹

يعتبر كثير من الآباء - وحال معرفتهم - أن لديهم طفلا مصابا بعرض داون، معاقا ومتأخرا ذهنيا وبالتالي يجب معاملته معاملة خاصة، غير



واعين بخصائص هذه الفئة وحدود قدراتها وهنا تتخذ المعاملة الخاصة شكلين: إما الإهمال أو الدلال المفرط، في الحالة الثانية يعتبر الآباء أن النطق والكلام يتعبان طفلهم ويشعرانه بالنقص بسبب الصعوبة التي يعانها، فيجتهدون في تخفيف العبء عنه بمحاولة معرفة ما يفكر فيه وتوفيره قبل أن يطلب ذلك⁴².

فالأم مثلاً تمنح طفلها الماء ليشرب بمجرد أن يشير بيده إلى فمه، أو قد تشعل له التلفاز بمجرد أنه أشار إليه وبذلك فإنها - وبدون قصد - تقلص محاولات ابنها اللغوية وهي بذلك تحرمه من أن يتعلم من خلال الخطأ والمحاولة الثانية والتكرار.

2-3-3 الإهمال:

وهو شكل آخر من أشكال المعاملة الخاصة فكثير من الأسر ترى أن المصاب بعرض داون مختل عقلياً لا ينبغي إضاعة الوقت أو الجهد معه لأن النتيجة واحدة، وبذلك فهم يحرمونه من أية فرصة علاج قد تتاح له عن طريق التدخل المبكر، كما أنه يحرم من التعليم أو الالتحاق بالمراكز الخاصة في العديد من الأحيان، مما يجعل قدراته بصفة عامة وقدراته اللغوية بصفة خاصة تبقى محدودة.

كما أن الإهمال وعدم إشراك المصاب بعرض داون في الحياة الاجتماعية داخل الأسرة أو خارجها يزيد من صعوبات خاصة منها صعوبة النطق. فالمصاب بعرض داون ونظراً لما يعانيه من تشوه على مستوى جهاز النطق بحاجة دائماً إلى الممارسة والتمرين اللغوي ليتمكن من السيطرة على أصوات اللغة ومفرداتها في السن المناسب.



3-3-3 عدم المعرفة بقدراتهم الخاصة:

إن جهل الأسرة بقدرات طفلها الخاصة وبإمكاناته الفيزيولوجية والعقلية تساهم في تفاقم اضطرابات النطق لديه فكثيرا ما يطلب من الطفل في سن مبكرة إصدار بعض الأصوات وعندما يعجز يعنف ويقارن بطفل عادي في سنه يحسن إصدار تلك الأصوات أو الكلمات؛ اعتقادا أن هذا قد يشكل حافزا للطفل المصاب هذا الذي وفي تلك المرحلة لا يملك القدرة الفيزيولوجية (جهاز النطق) والعقلية (الإدراك الحسي، الانتباه،...) اللازمة في فهم ما يطلب منه وإعادته.

ويلعب التنبيه فوق الحد الطبيعي أثرا سلبيا على مهارة لغة الطفل، فقد وجد أن الطفل الذي يجبر على قول ألفاظ معينة كثيرا ما يكون سلبيا في نموه اللغوي وهذا يعني أن التنبيه فوق الحد الطبيعي وعدم تقدير قابلية الطفل اللغوية والطلب منه بأن يتحدث لغة تتجاوز قدراته تؤدي إلى نتائج سلبية تؤخر كلام الطفل.⁴³

بهذه الطريقة يدفع عن غير قصد بالمصاب بعرض داون إلى صعوبات أخرى، كأن يرفض الكلام أو ينعزل وقد يصبح عدوانيا في العديد من الأحيان.

3-3-4- تشجيعه على الخطأ:

إن الكثير من عيوب النطق التي يعاني منها المصاب بعرض داون ليست إلا عادة مكتسبة لا دخل لجهازه الصوتي أو قدراته العقلية فيها، فكثيرا ما يخطئ الأطفال في سن الصغر في نطق بعض الأصوات كما قد يبدلون الكلمات والمقاطع الصوتية، وعدم انتباه الأسرة لهذه الأخطاء أو إهمالها والعمل على تصحيحها، يجعل الطفل يعتقد أنها صحيحة فيستمر



في نفس الخطأ حتى يصبح عادة راسخة يصعب إزالتها أو تصحيحها إلا بعرضه على أخصائي تقويم النطق؟.

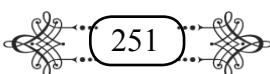
3 - 3 - 5 افتقاره للحنان والحب اللازمين:

يخضع النمو اللغوي إلى الطريقة التي يعامل بها الطفل، أي قائمة على الضغط والسيطرة أم الحرمان وعدم إتاحة الفرصة التي تمكنه من اكتساب الخبرات؟ أم هي قائمة على أساس الحب والعطف والتشجيع؟.

إن حرمان الطفل من الشعور بالحب والتشجيع وانعدام الحوافز وضآلة فرص اكتساب الجديد من الخبرات يبطئ من سرعة إتقان مخارج الحروف واكتساب الكلمات الجديدة، وعلى العموم فإن الأطفال الذين يستلمون إشارات كثيرة للكلام وتشجيع استجاباتهم، يتكلمون أسرع كما أن طريقة كلامهم أفضل.⁴⁴

هذه العوامل الاجتماعية وغيرها تساهم بشكل كبير في إعاقة تطور النطق السليم وتعلمه بالنسبة للمصاب بمتلازمة داون كما أنها قد تكون سببا في العديد من اعراضه النفسية والتي تعيق هي الأخرى تطور نطقه والتي نذكر منها:

الشعور بعدم الثقة في النفس: إن تشوهات المصاب بعرض داون الفيزيولوجية التي تعيق عملية النطق لديه بالإضافة إلى جعله يشعر بالعجز الدائم من طرف محيطه الاجتماعي سواء من خلال الدلال والاهتمام المفرطين، أم من خلال الإهمال، كذلك مقارنة بإخوته وجيرانه وأصدقائه يدعم لديه الشعور بعدم الثقة بالنفس مما يجعله يتخوف دائما من الكلام خشية الخطأ الذي يسبب له إحباطا جديدا أو يعرضه للسخرية.⁴⁵





الانعزال: يكون أطفال متلازمة داون في مراحل الطفولة الأولى ميالين للانعزال، كسالى ولا رغبة لديهم في المشاركة في النشاطات الجماعية وهذا يجعل احتكاكهم بمن هم أكبر منهم سنا ومشاركتهم اللغوية قليلة مما يساهم في بطء تعلم النطق السليم، وقد يكون مرد هذا الانعزال إلى الخوف من الفشل في اللغة بنوع خاص أو من الفشل الاجتماعي لسعة الفارق بينه وبين زملائه في الكفاية.⁴⁶

الشعور بالنبذ: إن بعض الإهمال قد يجعل الطفل المصاب بعرض داون يشعر بالنبذ مما يجعله يفقد الثقة في المحيطين به ويرفض أي نوع من أنواع المساعدة أو الاحتكاك وهذا يجعله يعيش في منأى عن الحياة الاجتماعية وبالتالي فإن تطوره اللغوي يبقى بطيئاً.

الخلل: يعرف عن المصابين بعرض داون بأنهم خجولون في مرحلتي الطفولة والطفولة المبكرة، لكن سرعان ما يصبحون اجتماعيين في المراحل اللاحقة، ولكن ونظراً لأهمية المرحلتين السابقتين في اكتساب اللغة وتعلم النطق فإن الخلل يعيق ذلك، كما قد يعيق العملية العلاجية، فالطفل الخجول يرفض التعامل مع أخصائي علاج عيوب النطق (l'orthophoniste) مما يجعل عملية التقويم غير ممكنة.⁴⁷

في ختام هذه الورقة البحثية يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

* التعامل مع فئة متلازمة داون ينبغي أن يظل بعيداً عن الصورة النمطية اللصيقة بها، والمتجذرة بعمق في العقل العام، الذي لا زال يسميهم بالمنغوليين - مع ما يحمل المصطلح من خلفيات-، والسعي لتصميم طرق إستراتيجية بديلة لتعليمهم، مع الأخذ بعين الاعتبار الأسباب التي تعيق ذلك.





* عرض داون من أكثر أنواع التأخر الذهني انتشارا، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن المصابين بهذا العرض قابلون للتعلم والإدماج المدرسي والاجتماعي، ولا يتم هذا إلا بتظافر جهود الأسرة والباحثين المختصين والمؤسسات المعنية.

* يظل برنامج التدخل المبكر هو الحل الأمثل للحد من عيوب اللغة والكلام لدى فئة متلازمة داون، ولا يتم إعداد هذا البرنامج إلا من طرف الأخصائيين في حقل معرفي واحد، بل ويتطلب عملا زُمريا، يجمع بين المختصين في دراسة أمراض الكلام من اللغويين والمختصين في علم النفس والاجتماع، وأخصائي التربية، والأطباء في مختلف التخصصات، مراعاة لخصوصيات هذه الفئة على جميع المستويات.

* السعي إلى إنشاء مؤسسة وطنية ورسمية للتكفل الشامل بهذه الفئة، تضمن التنسيق بين مخلف التخصصات خدمة لهذه الفئة في المقام الأول، وللغة العربية تواصلا واتصالا في المقام الثاني.

تبقى هذه النتائج المتوصل إليها جزءا من مشروع متكامل نسعى لتحقيقه على أرض الواقع؛ إيماننا منا بقدرة هذه الفئة على التعلم والاندماج في المجتمع، إن لقيت الرعاية والدعم المناسبين، ومساعدتها على تجاوز اضطرابات اللغة والكلام قد تكون خطوة مهمة في سبيل ذلك.



الهوامش:

• - جيروم لوجين: (Jérôme Jean Louis Lejeune) إحصائي علم الوراثة الفرنسي وأحد أفراد فريق ريموند توربان، اكتشف سنة 1958 رفقة فريقه تثالث الصبغية 21 المسبب لمتلازمة داون

•• - لانجدون داون: (John Langdon Dawn 1828_1896) طبيب بريطاني اشتهر بوصفه الدقيق لملاح فئة من المتأخرين ذهنيا، أطلق عليهم بعد ذلك اسم المنغوليين نسبة للمنحدرين من عرق المغول بسبب التشابه بينهم، ليظهر بعد ذلك أن لهذه التسمية دلالات سلبية ومؤذية، كما أنها غير صحيحة من حيث دلالتها العرقية.

••• - ريموند توربان: (Raymond Alexandre Turpin 1895_1988) عالم الوراثة فرنسي، درس هو وفريق من طلبته من بينهم جيروم لوجين، الخصائص الجينية للأطفال المنغوليين كما سماهم داون، ليكتشفوا بعدها بأن لا علاقة لهم بعرق المغول، وأن سبب حالتهم هو وجود كروموزوم زائد في الصبغية 21، ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه الفئة تسمى بحاملي متلازمة داون، أو تثالث الصبغية 21.

1- www.trisomie21-geist21.fr

2- dictionnaire de psychologie, Norbert Sillamy, édition Janine faure, 1991, p173

3- Encyclopédie Encarta, ©Microsoft Corporation.2005.Tous droits réservés.



4 - فاخر عاقل، معجم علم النفس: إنجليزي فرنسي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1985، ص112.

5 - كمال الدسوقي، الطب العقلي و النفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، دط، 1984، ص210

6 - سهير محمد سلامة شاش، اضطرابات التواصل، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، ط2، 2014، ص55.

7 - عن موقع: أطفال الخليج ذوو الاحتياجات الخاصة، www.gulfkids.com

8- M. Cuilleret, trisomie21 aides et conseils, Masson, Paris, 4éme édition, 2003, p7

9- M. Cuilleret, trisomiques parmi nous, Snep, Bruxelles, 1981, p50

10 - M. cuilleret, trisomiques parmi nous, p52

11 -آمال الشماع، كتاب من لا يحضره طبيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1983

12 - M. Cuilleret, trisomie 21 aides et conseils, p7

13 - www.trisomie21@geist21.fr

14 - مصطفى نوري القمش، الإعاقة السمعية واضطرابات النطق واللغة دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن 1999، دط، ص15

15 - M. Cuilletert, trisomie21 aides et conseils, p7

16 - منى صبحي الحديدي، مقدمة في الإعاقة البصرية، دار الفكر للطباعة، الأردن، دط، 1998، ص 51.

17 - عن موقع الجمعية البحرينية لمتلازمة داون www.bdss.org ، إعداد سارة محمد زكريا، أخصائية تربية خاصة في مركز العناية بمتلازمة.

18 - منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 2001 ، ص176.

19 - J.A Rondal et Lambert, questions et repenses sur le mongolisme, p45.

20 - D. Smith- Awilson, l'enfant trisomique, édition centurion, 1979, p66

21 - عن موقع: أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة. www.gulfkids.com

22- www.trisomie21@geist21.fr

23 - منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، ص180.

24- François le thunche, la voix : anatomie et physiologie des organes de la voix et de la parole, p129

25- www.trisomie21@geist21.fr

26 - منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، ص181.

27- J.A Rondal et Lambert, questions et repenses sur le mongolisme, p45



- 28 - منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، ص 180
- 29 - J.A Rondal et Lambert, questions et repenses sur le mongolisme, p46
- 30 - صباح حنا هرمز، سيكولوجية لغة الأطفال، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط1، 1989، ص122
- 31- D. Smith- Awilson, l'enfant trisomique, p66
- 32 - كامل محمد محمد عويضة، سيكولوجية التربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص124
- 33 - نفسه، ص123.
- 34- M. Cuilleret, trisomie 21 aides et conseils, p8
- 35 - كامل محمد محمد عويضة، سيكولوجية التربية، ص123.
- 36 - عن موقع الجمعية البحرينية لمتلازمة داون www.bdss.org ، إعداد سارة محمد زكريا، أخصائية تربية خاصة في مركز العناية بمتلازمة داون.
- 37 - المرجع السابق .
- 38 - كامل محمد محمد عويضة، سيكولوجية التربية، مرجع سابق، ص131 - 132.
- 39 - عن موقع الجمعية البحرينية لمتلازمة داون www.bdss.org ، إعداد سارة محمد زكريا، أخصائية تربية خاصة في مركز العناية بمتلازمة داون.



40 - صباح حنا هرمز، سيكولوجيا لغة الأطفال، مرجع سابق، ص

164

41- Encyclopédie Universalys, ©Microsoft Corporation.2003.
Tous droits réservés.

42- M.Cuilleret, tridomie21 aides et conseils, p51

43 - صباح حنا هرمز، سيكولوجيا لغة الأطفال ، ص 142.

44 - المرجع نفسه ص 143

45 - عن موقع الجمعية البحرينية لمتلازمة داون www.bdss.org ،
إعداد سارة محمد زكريا، أخصائية تربية خاصة في مركز العناية بمتلازمة
داون.

46 - صباح حنا هرمز، سيكولوجيا لغة الأطفال، ص 166

47 - L'équipe d'éducateurs de l'école des parents, les
difficultés de votre enfant, Atelier pascal Vercken, 1977, p113.

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغبة - الجزائر-

2016

Achevé d'imprimer sur les presses

ENAG, Réghaïa

-Algérie-

Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11

